تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الثالثة - العدد الثامن والعشرون - شباط (فبراير) ١٩٨١ - الموافق ربيع الثاني ١٤٠١هـ

- المقاومة الشعبية السرية ضد النازية
- أضواء على بطولة العالم في الملاكمة

الماضي الذي سيأتي في عددنا المقبل



معركة ستالينغراد



لومومبا

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الثالثة - العدد الثامن والعشرون - شباط (فبراير) ١٩٨١ - الموافق ربيع الثاني ١٤٠١هـ

تصدر عن دار النشر العربية في منتصف كل شهر

رئيس التحرير : فاروق البربير

المستشار : د. أنيس صايغ — المدير المسؤول : محمد مشموشي

الإنتاج : مطبعة المتوسط ش.م.ل. ● التوزيع : الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

ثمن النسخة

لبنان :	٥ ل.ل.	سوريا :	٦ ل.س
العراق :	٨٠٠ فلس	تونس :	١ دينار
السعودية :	٨ ريال	الكويت :	٧٠٠ فلس
الاردن :	٥٠٠ فلس	أبوظبي :	٨ درهم
دبي :	٨ درهم	قطر :	٨ ريال
البحرين :	٨٠٠ فلس	عدن :	٨ شلنات
مسقط :	٨٠٠ بيزة	المغرب :	٦ درهم
فرنسا :	١٠ فرنكات	بريطانيا :	جنيه استرليني
		اميركا :	٣ دولارات

الإشتراكات

(بما فيها أجور البريد الجوي)

في لبنان : للأفراد	٧٥ ل.ل.
للمؤسسات والدوائر الحكومية	٢٠٠ ل.ل.
في الوطن العربي : للأفراد	١٠٠ ل.ل.
للمؤسسات والدوائر الحكومية	٢٥٠ ل.ل.
خارج الوطن العربي : للأفراد	١٥٠ ل.ل.
للمؤسسات والدوائر الحكومية	٣٠٠ ل.ل.

تدفع قيمة الإشتراك مقدمًا نقدًا أو حوالة مصرفية أو بريدية .

ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت . لبنان • بناية أبو هليل - شقة ١١ • شارع السادات - تلفون : ٨٠٠٧٨٣

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST. ABOU HLEIL
BLG. P.O.B. 5905
TEL. 800783
BEIRUT, LEBANON

Vol.3. No. 28. Feb. 1981
ANNUAL SUBSCRIPTION
$ 75 (INCLUDING $ 25 FOR
ADDITIONAL AIR MAIL CHARGES)
MAIL ALL COMMUNICATIONS,
INCLUDING SUBSCRIPTIONS TO:
«HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD»

في هذا العدد



قصور الحمراء
(راجع المقالة ص٢٥).

■ المقالات الواردة توزّع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الإجتماعية للكتاب. تراعى في الألقاب الصفات العلمية فقط ■

الموضوع — الصفحة

● المقالات والدراسات تُرسَل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة: ص.ب ٥٩٠٥ في بيروت.
● المقالات والدراسات التي تُنشَر لا تعبِّر بالضرورة عن آراء المجلة.
● المواد الواردة إلى المجلة لا تُرَدّ إذا لم تُنشَر.



الحرب والسلم

عبر التاريخ

من تجارب أرنولد توينبي

إعداد قسم التوثيق والأبحاث

الحياة مسرحية نشاهدها، ويلعب كل منا دوراً رئيسياً فيها.. فنحن نشهد ما يدور في معترك الحياة من احداث، ثم نجد انفسنا مدفوعين بدوافع مختلفة إلى ان نترك مقاعدنا المريحة وسط القاعة التي تعرض فيها المسرحية. لكي نتدخل فيما يجري امامنا من احداث على خشبة المسرح.

تعالج المسرحية عادة موضوع الصراع بين القوى المتناقضة في الحياة، فيجد الانسان نفسه وبدون وعي منه مندمجاً وبشكل ايجابي في داخل هذا الصراع، حتى يسهم في دفع الحياة إلى الامام، او السير بها إلى الخلف، حسب طبيعة شخصيته واهدافه، هذا لان كل انسان يشعر عادة بأنه يجب عليه ان يفي بالتزاماته وواجباته نحو غيره من البشر، الامر الذي يدفعه إلى محاولة مقاومة الخطر الذي قد يتعرض له اخوانه من ابناء الجنس البشري اينما كانوا.. وابسط مثال على ذلك مظاهرات الشباب التي قامت في مختلف دول القارة الاوروبية احتجاجاً على الحرب الامريكية العدوانية على شعب فيتنام. وذلك هو نفس الموقف الذي اتخذه توينبي بضمير حي ووعي كامل عندما ادان التدخل الامريكي من منطقة جنوب شرقي آسيا. وتوينبي بهذا يشهد مأساة البشر في هذه الحياة. ويلتزم بأن يكون صادقاً مع نفسه ومع الآخرين، بالوقوف إلى جانب الحق.. وبالوفاء بما

(*) مؤرخ انكليزي شهير ولد عام ١٨٨٩ مدرس اللغة البيزنطية والاغريقية، مدير قسم الصحافة والبحث الأجنبي، استاذ التاريخ العالمي في جامعة لندن.

عليه من التزامات نحو غيره سواء كانت هذه الالتزامات معنوية او مادية.

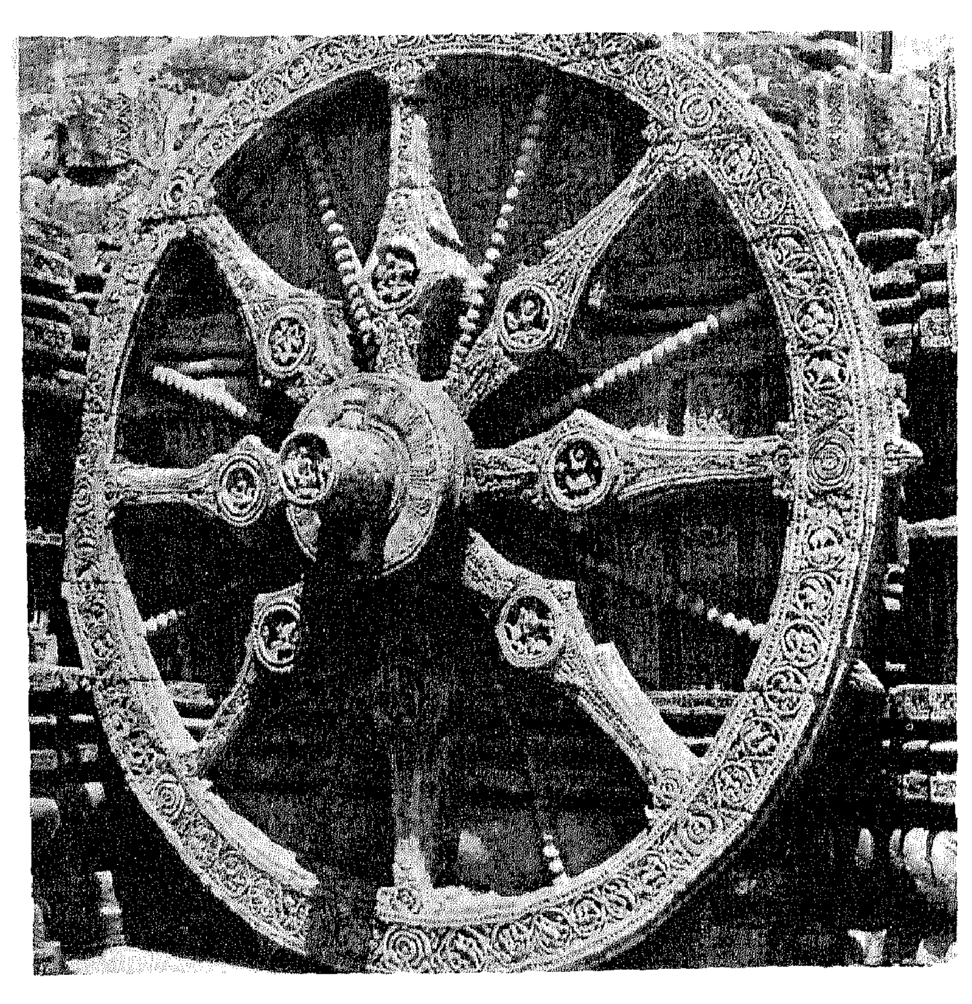
وتظهر مواقف توينبي الايجابية نحو الحياة بشكل واضح ومتكامل في آخر كتاب اصدره بمناسبة عيد ميلاده الثمانين بعنوان «تجارب» ويتسم هذا الكتاب باختلافه عن كتب آرنولد توينبي الاخرى فكلماته تقدم للقارىء معبرة عن تعاطف توينبي الانساني الرفيق، واحساسه بالخوف الشديد على مستقبل الجنس البشري. ونجد مثالاً لذلك في ترديد توينبي الدائم والمتكرر لما قاله الشاعر الروماني تيرانس «انني واحد من البشر.. ولذا فليس ثمة شيء انساني لا اشعر نحوه باهتمام بالغ». والطريف في هذا الكتاب ايضاً انه لا حدود للموضوعات التي يتحدث عنها الكاتب، لانه يتناول اموراً مطلقة لا يمكن تحديد بدايتها او نهايتها.. وتبدأ هذه الموضوعات بالحديث عن الحياة وظواهر الوجود من الميلاد حتى الموت.. وبعض هذه التجارب نعرفها، لكننا لا نمارسها او نتحكم فيها.. ولكنها تفرض علينا.. نحن لا نحدد تاريخ ميلادنا.. وبالمثل فاننا لا نعرف متى سينتهي وجودنا، ثم يصل توينبي في كتابه عن تجاربه في الحياة إلى حقيقة هامة لا سبيل امامنا إلى الفرار منها، بل من واجبنا مواجهتها والعمل على تغييرها.. وهي ان مستقبل البشرية ليس مستقبلاً يوحي بالامل او يدعو إلى التفاؤل، وان الانسان في سبيله إلى تدمير ذاته بيده، وبالوسائل التي يتوهم انها سوف تتيح له حياة افضل.. تلك الحقيقة تتمثل في ان ما حققه الانسان من انجازات تساعده على الحياة، قد استحالت في واقع الامر إلى وسائل تودي به إلى الفناء والهلاك.

خطأ على خريطة العالم:

يرى توينبي في بداية كتابه، انه من الغريب انه ما زال على قيد الحياة حتى الآن.. خاصة وانه يعتقد انه لا بد ان هناك خطأ ما على خريطة العالم جعله يعيش حتى الآن.. فليست حياته نتيجة طبيعية للاحداث التي شهدها العصر الذي عاش وما زال يعيش فيه.. بل هي نتيجة متناقضة مع هذه الاحداث. ولد توينبي في عام ١٨٨٩ في انجلترا ونشأ فيها.. وكادت ان تطحنه طاحونة الموت التي اقيمت في عام ١٩١٤ عندما نشبت الحرب العالمية الاولى، والتي التهمت نصف معاصريه في ذلك الوقت.. ولكنه لم يكن صالحاً لاداء الخدمة العسكرية لوجود عيب جسماني معين لديه. ولو كان توينبي قد شارك في القتال في الحرب العالمية الاولى لما ظل على قيد الحياة حتى الآن.. يقول توينبي انه كان من المحتمل ان يموت فيما بين عامي ١٩١٥ و ١٩١٦، إلا انه عاش في الواقع مدة تزيد عن نصف قرن بعد تلك السنين الرهيبة. ومن هنا فكلما تردد ذكر تاريخ «اغسطس» /آب/١٩١٤» يحدث له وقع مؤثر في النفوس.. ويشعر الكثيرون بالانفعال الشديد والعميق كلما لاحت امامهم ذكريات تلك الفترة من الزمن. ومن الغريب انه قد نشبت حرب عالمية ثانية بعد تلك الحرب الاولى، ومع هذا فان تلك الذكريات التي وقعت في بداية القرن العشرين كانت بمثابة صدمة ذات تأثير بالغ على كثير ممن عاصروا تلك الحرب. ويقول توينبي ان اندلاع الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩ لم يكن تجربة جديدة بالنسبة له وبالنسبة لمعاصريه. فمجرد تعرض المرء لتجربة الحرب العالمية الاولى جعله يتوقع ما سيتعرض له مرة ثانية. ولهذا فلم تكن الصدمة الثانية على نفس الدرجة من العنف، كما كانت الصدمة الاولى.

وهناك سبب آخر يجعل توينبي يشعر بالحزن لمجرد ذكر تاريخ «اغسطس/آب/١٩١٤»، وهو ان اندلاع الحرب العالمية الاولى، كان تغييراً له دلالته في تاريخ بريطانيا اكثر من اي دولة اخرى اشتركت في الحرب. ذلك ان بريطانيا لم تتعرض لخوض اي حرب كبيرة حتى عام ١٩١٤ ولمدة تربو على قرن من الزمان. فقد كانت معركة ووترلو في ١٨ يناير ك٢ ١٨١٥ آخر حرب اشتركت فيها بريطانيا.. لدرجة ان منهج دراسة التاريخ في المدارس الانجليزية كان ينتهي عند معركة ووترلو، مع ان بريطانيا اشتركت بالفعل في خلال هذه الفترة من الزمن في عدد من الحروب الصغيرة.

وشهد توينبي بعد نهاية كل من الحربين العالميتين الكبيرتين مؤتمري السلام اللذين عقدا



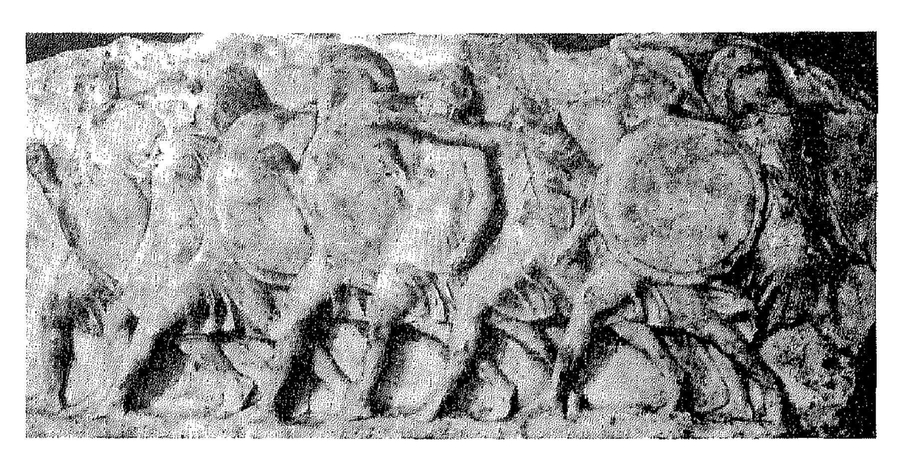
الدولاب:
رمز للخلق الدائم.

في باريس لتحقيق السلام بعد هاتين الحربين. ويثير هذان المؤتمران في نفس توينبي شعوراً يمتزج بالدهشة والاحباط واليأس.. وذلك لان هذه التجربة قلبت ما يؤمن به من نظريات رأساً على عقب.. فكل من يؤمن دينياً بالكتب السماوية، سواء كان مسلماً او مسيحياً او يهودياً، يؤمن بأن التاريخ يسير في خط مستقيم، وليس في حركة دائرية.. حيث ان التاريخ يبدأ منذ بدء الخليقة من نقطة انطلاق متجهاً نحو تحقيق هدف معين بذاته.. ويعطي هذا الهدف للحياة في هذا الكون معنى سامياً ويفعم النفس الانسانية بالامل دائماً.. إلا ان انعقاد مؤتمري السلام في باريس مرتين وبطريقة تكاد تكون واحدة ومتشابهة تجعل المرء يؤمن «بالنظرية الدائرية» في التاريخ.. تلك النظرية التي تتناقض بالفعل مع ما نؤمن به من نظريات ومعتقدات راسخة في نفوسنا بالفعل.. كما ان سير التاريخ في حركة دائرية يجعلنا نشعر باليأس والاخفاق في كثير من الاحيان، ويبدّد من النفس الشعور بالامل والتفاؤل.. وإذا كان وجود الهدف في الحياة يعطيها معنى سامياً ويفعم الاعماق بالامل في المستقبل، فان سير التاريخ في خط دائري يجعله يبدو لنا وكأنه يؤكد ما سبق ان قاله الشاعر الانجليزي الكبير ويليام شكسبير: ان التاريخ «حكاية يحكيها شخص ابله، لا معنى لها او مغزى».

يا لها من نكتة مروعة:

كان آخر مؤتمر سلام حضره توينبي في باريس في عام ١٩٤٦ بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وكان قد حضر قبل ذلك مؤتمراً آخر للسلام في باريس في عام ١٩١٩.. وقد حضر هذين المؤتمرين بوصفه موظفاً في وزارة الخارجية البريطانية.. وبذا فان مؤتمر السلام الثاني عقد بعد مرور سبعة وعشرين عاماً على انعقاد المؤتمر الاول .. وهنا يتوقف

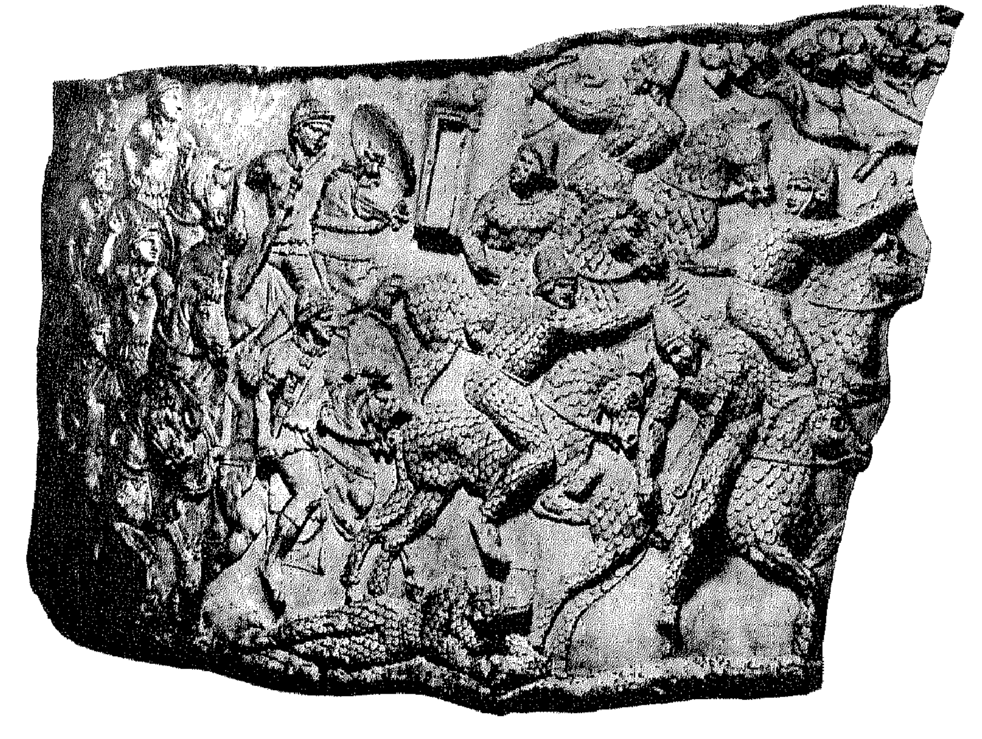
تـوينبي ليتساءل بشيء من الخوف والذعر على مصير الانسانية في المستقبل، وفي مواجهة مـا جلبه الانسـان على نفسه من ويلات الحرب. يتساءل ويقول: هـل يحتمل أن يعقـد هذا المؤتمـر كل سبعة وعشرين عاماً؟ وإذا كان هذا المؤتمر سيعقد بالفعل على هذا النحو، فهل سنشهد مؤتمراً آخر في باريس في عام ١٩٧٣؟. يا لها من فكرة مروعة!! ذلك لان انعقاد مؤتمر سلام ليس بالضرورة تعبيراً عن حب او رغبة الانسان في السلام، بل هو رمز لنهـاية حـرب عالميـة اخرى.. فهل سنشهد حرباً عالمية ثالثة، وهل سيقدر لنا ان نعيش حتى نشهد هذه الحرب؟.





من الواضح انه قد تنشب حرب عالمية اخرى.. واذا اندلعت هذه الحرب، فليس من المحتمل اننا سنعيش حتى نشهد نهايـة هذه الحرب. كما انه من المؤكد انه لن يعقد مؤتمر سلام آخر.. والدافع الذي يجعل المرء يؤكد بأنه لن يعقد مثل هذا المؤتمر، هو الواقع التكنولوجي الجديد في المجال العسكري بعد تطوير الاسلحة

«العنف» يُؤرخ له ويُفخر به منذ بدء التاريخ



النووية.. كما ان الحرب العالمية القادمة سوف تكون حرباً نووية.. حرباً تفني وتبيد.. حرباً لا تدعو إلى حياة او سلام.. ولهذا يقف توينبي موقفاً مناهضاً لجميع اشكال الحروب بين البشر، ويدعو إلى الغائها كفكرة ومؤسسة تعتبر وصمة عار في جبين الحضارة الانسانية..

فالحرب في تقديره كالعبودية تماماً، تمتهن الكرامة الانسانية.. المنتصر فيها كالمهزوم. كما هو الحال بالنسبة للسيد والعبد.. العبد اسير لسيده وخاضع لاوامره وارادته، والسيد هو الآخر أسير لنظرته الانسانية الضيقة ولانانيته المطلقة. الحرب في الواقع شر من الشرور الاجتماعية التي ابتلى بها المجتمع الانساني منذ بدأ الصراع بين الخير والشر على الارض.

لا يمكن السماح بشيء منها او التوصل إلى حل وسط بشأنها.. لا بد من الغائها تماماً.. ولا خلاص للبشر بدون ذلك. ولذلك لا يؤمن توينبي بالغاء الاسلحة النووية والاحتفاظ بالاسلحة التقليدية.. بل يؤمن توينبي بأنه من الضروري والحتمي الغاء الحرب كهدف ووسيلة، والقضاء على جميع انواع الاسلحة نووية كانت او تقليدية.. وتنبع عقيدته هذه من ايمان عميق بضرورة ان يعيش الانسان حياة حرة كريمة، ولهذا يسمح توينبي بشكل من اشكال الحروب، يعتقد البعض انه قد يتناقض بشكل غير مباشر مع رأيه في الحرب.. ولكنه في الواقع يتفق مع آرائه في الحرب التي يدعو إلى الغائها من اجل كرامة وانسانية الانسان. فهو يحبذ الحرب في حالة واحدة.. في حالة مقاومة العدوان.. ذلك لانه يعتقد انه ليس من الخير او الصواب عدم توفير المقاومة المسلحةضد عدوان مسلح يقوم به جماعة من العسكريين..

وعدم مقاومة العدوان المسلح يجعل العالم يقع في ايدي جماعة من الاشرار الذين تتوفر لديهم الوسائل العسكرية.. وتصبح الحرب في هذه الحالة حرباً مقدسة.. وعندما يتعمد الانسان ان يشعل هذه الحرب المقدسة.. ويشعلها من اجل القضاء على كل الحروب بعد ذلك، فان الانسان يستخدم «الشر» بذلك كمصل يقضي به على الشر ايضاً.

ايمان عميق بالدين:

يؤمن توينبي بالمسيحية ايماناً عميقاً راسخاً، ولكنه لا يقف من الدين موقف الرجل العادي الذي يقبل الامور كما هي بدون نقاش او جدال.. فهو يرى ان الدين ضرورة انسانية تخلق توازناً حقيقياً بين كل ما هو مطلق وبين كل ما هو محدود.. بين القيم الاخلاقية وبين الماديات التي صنعها الانسان. وفي كتابه هذا يبدأ توينبي بالحديث عن الدين بتقديم تعريف له، فيقول ان الدين يعني بالنسبة له انه يمثل علاقة الانسان بالحقيقة المطلقة الكامنة فيما وراء ظاهرة الوجود في الكون الذي وجدنا انفسنا نعيش فيه.. ويؤكد توينبي ان هذه المحاولة لتعريف الدين تثير الجدل.. إذ ان هناك من يعتقدون بأن الدين يمكن تعريفه بأنه وهم، حيث ان هؤلاء يؤمنون بأنه ليس هناك ثمة شيء اسمه الحقيقة المطلقة. وهؤلاء الذين يؤمنون بأن الدين نوع من الاوهام، بوسعهم ان يؤمنوا بأن الوهم امر واقع.. او انه اعتقاد يسري في اعماقهم لكي يخفف من آلام الحياة التي يشعر بها الانسان. وإذا آمن الانسان بأن الحقيقة المطلقة موجودة بالفعل، وان ذلك العنصر الروحي مرتبط بها، فان ذلك العنصر الروحي الكامن في الطبيعة البشرية سوف يكون المرشد الذي يدله على مفهومه المحدد للحقيقة المطلقة. والحقيقة المطلقة نفسها ما زالت افتراضاً غير محدد، على الرغم من ان هناك البعض ممن يعتقدون بأنهم مروا بهذه التجربة، وعرفوا ابعادها كما يعرفون انفسهم وكما عرفوا غيرهم من الرجال والنساء.

ويرى توينبي ان الغاية المنشودة من وراء الايمان بالدين بمختلف اشكاله ومظاهره، هي ايمان البشر بمزيد من الحب.. هذا لان توينبي يؤمن بالحب ايماناً عميقاً، وكان دافعه إلى هذا الايمان ما علمته له الكراهية والاحقاد من دروس في هذه الحياة.. والايمان بمزيد من الحب يؤدي إلى ان يسود السلام عالمنا المضطرب.. فالحب اقدس المشاعر الانسانية وانبلها.. والحب من ناحية اخرى وسيلة وغاية.. وسيلة تؤدي بنا إلى حياة افضل، وغاية تجعل



الموت «زينة»... من صور الحرب العالمية الثانية.

الانسان يشعر بأسمى حالات السمو والنقاء الذاتي.. وتسمى تلك الحالة «نرفانا» (Nervana). ويفرد توينبي جزءاً كبيراً من حديثه عن الدين للحديث عن الحب.. ويمكننا ان نلمس من تاريخ الحياة الانسانية ان الحب لم يكن اطول عمراً من الانانية. فالانانية شعور قديم قدم الحياة نفسها.. لكن الحب كان موجوداً على ظهر الارض قبل خلق آدم وحواء، وكانت مظاهر هذا الحب تتمثل في سلوك الطيور والثدييات التي لا تنتمي إلى الجنس البشري.. وعندما جاء البشر إلى الارض، جاء الحب معهم.. والاحقاد ايضاً.. ويختلف اسلوب الحب في التعامل معنا عن اسلوب الضمير.. فالضمير يأمرنا ويدفعنا إلى القيام بأشياء معينة. اما الحب فيلهمنا.. وكل ما نريد ان نفعله بدافع من الحب نقوم به لاننا نريد ذلك. وحقاً فان الحب نوع من الرغبة، ولكنه نوع من الرغبة التي تنتزعنا من انفسنا وتجعلنا نتجاوز الذات الانسانية التي تحيط بنا وبوجودنا. ويعني الحب مزيداً من الحرية للانسان، بينما يعني الضمير فرض القيود على الانسان.. وفي نفس الوقت نحن احرار في ان نرفض نداء الحب، كما ان لدينا نفس الحرية لكي نرفض ما يحاول الضمير ان يمليه علينا. ومع هذا يعتبر الحب والضمير من الحقائق الروحية او المعنوية في الحياة. وعندما نواجه تلك الحقائق نجد ان كلا منهما له قيمة داخلية مطلقة وقوة ذاتية بالنسبة لنا. وما زال جانب كبير من تلك الحقائق والامور غامضاً بالنسبة لنا ويصعب علينا تفسيره.. وقد نذهب إلى الاعتقاد بأن البشر سوف يواصلون

التفكير في هذه الامور طالما ظل الجنس البشري موجوداً على ظهر الارض.

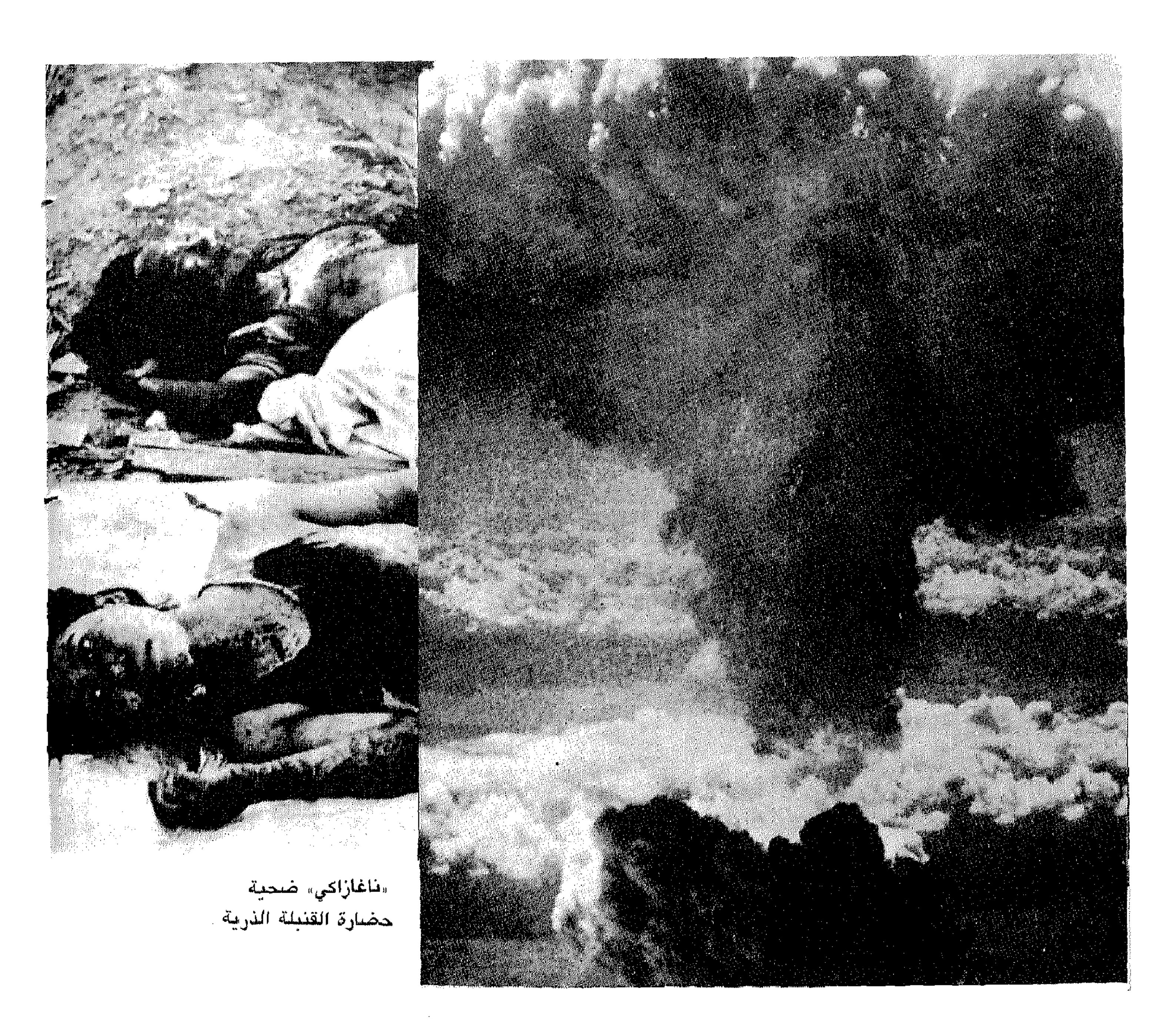
ويلتقي الحب والحرمان في الحياة دائماً على هذا الكوكب بعلاقة غير مباشرة.. فكلما احب شخص رفيقاً له، شعر بحزن اعمق لدى فراقه.. ويكون الموت عادة هو السبب في هذا الفراق. لكن القيمة المطلقة للحب تتمثل في انه يجعل للحياة معنى، ويجعل ازمة الانسان في مواجهة الحياة الصعبة التي يعيشها تستحيل إلى موقف مقبول ومن الممكن احتماله. ومع ان الحب لن ينقذ الحياة من الموت والفناء، إلا انه يمكن ان يخلق للحياة هدفاً تسعى إلى تحقيقه. وبعبارة اخرى فانه عندما يتم تحقيق هذا الهدف من الحياة، فلن يستطيع الموت ان يقضي على ما تم انجازه بالفعل، حتى بعد ان يقضي الموت على جسم الانسان ويقتله، والحب بهذا المعنى اقوى من الموت.

الشؤون الإنسانية.. والطبيعة الإنسانية:

اعود مرة اخرى فأكرر قولي بأن توينبي عاش حتى بلغ الثمانين من عمره، وبذا فان حياته تعتبر حياة طويلة بالفعل، وذلك بالمقارنة بمتوسط الاعمار في مختلف البلدان. وقد جاءت هذه الحياة الطويلة في جزء من العالم اكتسحه الموت والدمار اكثر من مرة، وفي وقت زاد فيه معدل سرعة التغير في الشؤون الانسانية. ويجب علينا ان نفرق بين «الشؤون الانسانية» و «الطبيعة الانسانية».. فالشؤون الانسانية تتغير تبعاً للظروف الاجتماعية والسياسية التي تطرأ على مجموعة من الناس في مجتمع انساني معين. اما الطبيعة الانسانية فمعدل التغير فيها بطيء نسبياً ولا يمكن ان نلمسه بسرعة. مثال ذلك ان الطبيعة الانسانية لم تتغير منذ ان تحولت حياة الانسان من الحالة البدائية إلى حياة اكثر تمديناً وتحضراً.. وهذا البطء في تغير الطبيعة الانسانية قد يدفعنا إلى القول بأن الطبيعة الانسانية تكاد تكون جامدة ومتوقفة عن الحركة نسبياً.

ويخضع تطور وتغير الشؤون الانسانية لعدة عوامل - اهمها تناقل اساليب التعليم والثقافة - من جيل إلى آخر.. ويختلف التعليم والثقافة عن الطبيعة وعن انجاب الاطفال، فتلك امور يمكن التحكم فيها بالوعي والارادة.. وبالتالي فان تناقل الثقافة والعلم من جيل إلى آخر لا يتم بطريقة تلقائية او وفقاً لمعايير مضبوطة، بل هي امور يتحكم فيها تلقي جيل من الاجيال لهذا النوع من التراث. الثقافة على درجة كبيرة من المرونة وعدم الاستقرار وذلك بخلاف الطبيعة. وحتى الاجيال التي تتلقاها وتتناقلها تتآمر للحفاظ على عدم تغيير ثقافة ذلك المجتمع، إلا ان الثقافة تتغير عادة من خلال عملية الانتقال، على الرغم من محاولة كل جيل تجميد ذلك التراث.

وإذا تركنا الطبيعة الانسانية جانباً لبطء معدل حركتها وتغيرها، والقينا نظرة على الشؤون الانسانية القابلة للتغير والتبدل بصفة مستمرة. لوجدنا ان العالم المتوتر الذي نعيش فيه اليوم يختلف بشكل مذهل عن العالم الذي نشأ فيه توينبي في بداية حياته. ولد توينبي في نهاية القرن التاسع عشر وفي عالم يسوده الامن والاستقرار. وافعمت نفوس الناس في ذلك الوقت بشيء من التفاؤل «الساذج» في المستقبل. وبدا في اعين معاصري ارنولد توينبي انهم سيعيشون حتى يشهدوا الامن والاستقرار وهما يسودان العالم كله وإلى الابد. وافترض البعض ايضاً ان الاطار الحضاري للعالم الجديد سيستند بشكل اساسي إلى الحضارة الغربية، وكان من المسلمات في نهاية القرن التاسع عشر ان الحضارة الغربية جاءت لتبقى ومن المستبعد اضمحلالها او انهيارها - وذلك بخلاف رأي اروالد شبنجلر الذي اكد في كتابه «اضمحلال الغرب» ان الحضارة الغربية في سبيلها إلى الانهيار.. ومن صلف سكان العالم الغربي انهم كانوا يعتقدون انه ليست هناك شعوب اخرى تعيش في العالم من دونهم.. فكانوا يصفون انفسهم بأنهم «متحضرون»، ومن كانوا من دونهم ليسوا سوى «وطنيين» او سكان اصليين لا اكثر ولا اقل، بمعنى انهم محرومون من الحقوق الانسانية. هذا بالرغم من ان اهل الغرب شهدوا حضارات اخرى تنهض ثم



«ناغازاكي» ضحية
حضارة القنبلة الذرية

تندثر.. وتأتي ثم تنقرض، ولكنهم لم يراودهم ادنى شك في ان حضارتهم ستظل باقية.

وعندما وقعت الكارثة في عام ١٩١٤ ونشبت الحرب العالمية الاولى لم يكن يتوقعها احد من قبل، انجرف العالم في تيارها بعد ذلك، وبدأ توينبي ومعاصروه يستيقظون بعد ان اصيبوا بصدمة عنيفة.. وتفتحت العيون على حقيقة الوجود الانساني المؤلمة. وتبدد بذلك الوهم الذي كان توينبي يعيش فيه من ان الامن والاستقرار سوف يسودان العالم الجديد.. ومنذ ذلك الوقت تدهورت الحالة السيئة التي تعرضت لها الشؤون الانسانية، واصبح المستقبل منذراً بكثير من الشر وقليل من الخير.. فلقد نشب القتال في الحرب العالمية الاولى بالاسلحة التقليدية، ولكنه منذ ذلك الوقت تم اختراع اسلحة اكثر فتكاً ودماراً من الاسلحة التقليدية العادية.. فتم اختراع انواع من القنابل ذات قدرة عالية على التدمير، منها قنابل النابالم، والقنابل الحارقة والقنابل الذرية.. وهناك ايضاً وسائل الحرب الكيماوية التي تعتبر من اسوأ المخترعات الحربية التي توصل الانسان إليها. واستخدمت الولايات المتحدة بالفعل في فيتنام كل ما لديها من ادوات القتل والتعذيب فيما عدا القنابل الذرية. ولذا يرى توينبي اننا نعيش

في عصر يشبه العصور المظلمة في العصور الوسطى، إذ تتعرض في عصرنا هذا شعوب كاملة لمختلف قوى القهر والعدوان، وذلك دون تفرقة بين النساء والاطفال والشيوخ. وفي عصرنا هذا نشهد بربرية فظيعة تعتبر مظهراً من مظاهر الظلم والتعصب الذي يعاني منه البشر بما في ايديهم من اسلحة ومخترعات فتاكة تجعلهم أسوأ حالاً مما كان عليه الجنس البشري في العصور الوسطى. وقد لمسنا هذا السوء الذي عانت منه الشؤون الانسانية فيما بين عامي ١٩١٤ و ١٩٦٩، حيث اصيب الانسان بعدد كبير من الصدمات والكوارث.

ومع هذا ولسوء الحظ فان الاتجاه إلى نبذ الحروب - وهو نبذ يجب ان يكون تاماً وشاملاً منذ ان دخل عالمنا الحديث العصر النووي - ما زال ضعيفاً ونحن في عام ١٩٦٩، ولم تلجأ اليه حتى الدول التي عانت من ويلات الحروب.

ويعود توينبي إلى تأكيد رأيه الذي تحدث عنه من قبل باقتناع وحماس شديدين، من انه يرى انه من الضروري بالنسبة للجنس البشري ان يبادر بالغاء الحرب، سواء كانت وسيلة او غاية في حد ذاتها، وذلك حتى يتحقق الامن والاستقرار على ظهر الارض. ويقدم توينبي مثلاً علمياً على صدق ما يقول من ان الحرب لا تحقق هدفاً ولا تجلب فائدة بقدر ما تجلب من دمار وفناء. فما حدث بالنسبة لالمانيا يعتبر موعظة على درجة كبيرة من الاهمية بالنسبة لغيرها من الدول ذات الميول العدوانية. فلقد كانت المانيا تؤمن بأن استمرار نجاحها في المجال العسكري من شأنه ان يحقق لها كل ما تصبو اليه من اهداف سياسية. ولم تفطن إلى حقيقة هامة تتمثل في ان الدولة التي تنجح في تحقيق انتصار عسكري على دولة اخرى وفي عدد من المعارك من الممكن ان تمثل تهديداً لغيرها من الدول.. ولنفسها ايضاً.. ولقد كانت نهاية المانيا التي غزت عدداً من الدول الاوروبية، والتي كانت تمثل تهديداً للعالم كله في ذلك الوقت، هو انها قضت على نفسها بنفسها.. ويسمى هذا «بالتدمير الذاتي».

وفي عام ١٩٦٩ يمكننا ان نجد دليلاً على صدق ما نقول، يتمثل فيما اصيبت به الولايات المتحدة واسرائيل من فشل واحباط بعد ان لجأت كل منهما إلى الحرب كوسيلة لتحقيق اهدافها.. لقد فشلت هاتان الدولتان في فرض السلام على اعدائهما حتى الآن.. فقد تتمكن اسرائيل من كسب اكثر من معركة وفي احتلال مزيد من الارض، ولكن العرب سيظلون صامدين في ميدان القتال.. حيث انهم لديهم مساحات شاسعة من الاراضي تمتد من المحيط إلى الخليج.. كذلك لن تحقق الولايات المتحدة الامريكية ما تصبو إليه في فيتنام مهما قاتلت حيث يتوفر لابناء فيتنام مساحات شاسعة من الارض تمتد من فيتنام الشمالية حتى الصين الشعبية، التي لن تحاول الولايات المتحدة ان تدخل في مواجهة مباشرة معها لانه من المؤكد انها لن تنتصر في مواجهة من هذا النوع. وعدم تحقيق السلام في فيتنام لا يهدد اراضي الولايات المتحدة تهديداً مباشراً، كما هو الحال بالنسبة لاسرائيل.. فاذا لم تتمكن اسرائيل من تحقيق السلام فلن يمكنها البقاء بعد ذلك في الشرق الاوسط.. ولا يستطيع العرب بدورهم ان يقبلوا وجود اسرائيل كجارة لهم نظراً لما الحقته بهم من اذى واضرار لا يمكن احتمالها.. ولن تبادر اسرائيل كذلك بأن تقدم للعرب ما يريدونه من تنازلات نظراً لان من العسير عادة على اي طرف ينتصر في حرب ان يتنازل عن النصر الذي جعله يشعر بالصلف والغرور... وانتصار اسرائيل هذا من الممكن ان يجعلها عمياء عن ادراك ان النصر العسكري الذي حققته لا يزيد عن كونه مجرد رصيد ضائع في عالمنا الذي نعيش فيه. وما حققته اسرائيل من نصر عسكري ادى إلى خلق حائل نفسي يحول دون تحقيقها ما ترجوه من اهداف.. ويبدو هذا الكلام متناقضاً، الا انه الحقيقة كاملة.

وقد اتهمت اسرائيل الحكومات العربية بأنها هي التي خلقت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، وانهم رفضوا توطين اللاجئين الفلسطينيين العرب في اراضيهم.. وهذه المزاعم مرفوضة من الاصل.. لان السبب الرئيسي لنزوح الفلسطينيين عن اراضيهم وديارهم، هو

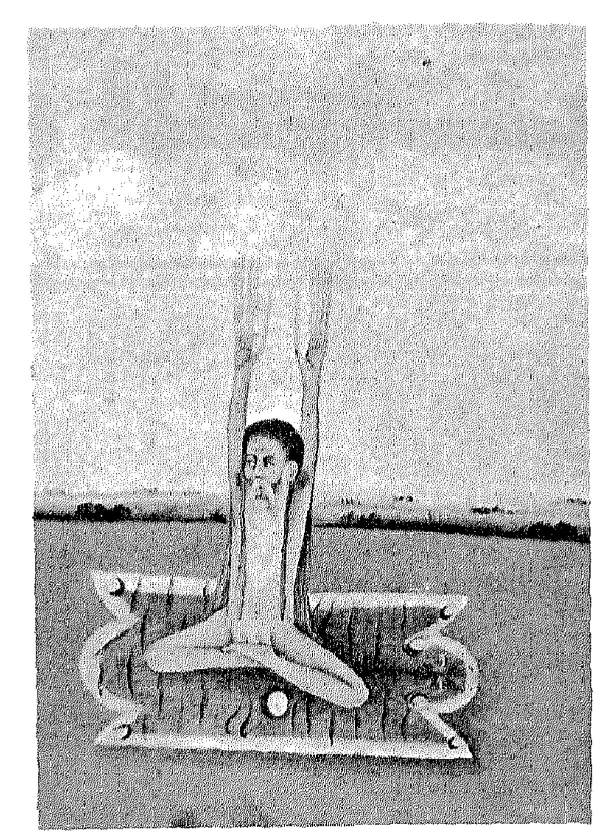
ما قامت به السلطات الاسرائيلية من ارهاب عنيف ضد الفلسطينيين العرب. ومن ابرز مظاهر هذا الارهاب مذبحة «دير ياسين» التي اقامتها القوات الاسرائيلية المسلحة في قرية عربية آمنة.. وكان هذا الارهاب يهدف إلى اجبار عرب شعب فلسطين على مغادرة دياره والنزوح عن اراضي فلسطين. ومنحت الدول العربية، وخاصة مصر والاردن، اللاجئين الفلسطينيين حقوقاً مدنية كاملة كمواطنين في داخل اراضيها، وفرص الاعاشة والتعليم في المدارس والجامعات المصرية والاردنية.. ولم يكن من الممكن فرض توطين الفلسطينيين رغماً عنهم وضد رغبتهم في اي من البلاد العربية، حيث انهم عازمون على تحمل الحياة «في المنفى» وفي المخيمات، على امل تحقيق امنيتهم في استعادة اراضيهم وديارهم. ويقول توينبي:

«يعتبر الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين نقطة سوداء في التاريخ الحديث عامة وتاريخ الاستعمار الاستيطاني بأسره في العصر الحديث خاصة.. حيث اخذ الصهاينة الاوروبيون في ممارسة الاستعمار الاستيطاني في فلسطين في شكل سلب ونهب لممتلكات العرب، في الوقت الذي كانت فيه شعوب اوروبا الغربية تتخلى عن السيطرة على مقدرات الشعوب الاخرى في آسيا وافريقيا».

الانسان والتكنولوجيا:

من اكثر الامور اثارة للسخرية والناجمة عن الانجازات التي حققها الانسان من تقدم علمي وتكنولوجي يمثل ابرز مظاهر الحضارة الحديثة، ان نضال الانسان من اجل ان يصبح سيداً للموقف، بدلاً من ان يكون عبداً له، نجم عنه مجرد استبدال ذلك النوع من العبودية بنوع آخر من العبودية. وبعبارة اخرى، حاول اسلافنا في سعيهم للوصول إلى درجة ارقى من الانسانية والحضارة، ان يتخذوا الخطوة الاولى نحو تعديل وتغيير البيئة التي كانوا يعيشون فيها حتى تلائم واقعهم وحاجاتهم. واول دليل حي ملموس على اتخاذ هذه الخطوة هو الاحجار التي كانوا يقومون بنحتها لصناعة ادوات يمكن ان تخدمهم، اكثر مما كانت عليه هذه الاحجار في شكلها البدائي. وقد اعتبرت هذه المحاولة في حد ذاتها بمثابة انتصار من الانسان على الطبيعة. وتلك كانت محاولة للتحرر من استعباد الطبيعة للانسان. ولكن كان ثمن التحرر من تلك العبودية هو خضوع الانسان المعاصر لعبودية البيئة الصناعية التي خلقها بتطوير التكنولوجيا، التي حققها عن طريق غزوه للطبيعة في بداية الامر. ويتعرض الانسان في العصر الحديث لخطر حقيقي من انه قد يقضي عليه وحش مخيف - التكنولوجيا - خلقه الانسان بيده. ويهدد بالقضاء على مكونات شخصية الانسان في هذا العصر. ولعل هذا الخطر والشعور به هو السبب في قيام المظاهرات العنيفة والعارمة التي فجرها الشباب في جميع انحاء العالم في فرنسا في الغرب في الصين واليابان في اقصى الشرق. ولعل هذا السبب ايضاً في تزايد اهتمام المثقفين فان تزايد اهتمام المثقفين من الشباب بالفلسفة الوجودية التي تعتبر فلسفة تنطوي على قدر كبير من المشاعر، اكثر من كونها فلسفة عقلانية وتعبر كل هذه المشاعر بأشكال مختلفة عن الضيق ونفاذ الصبر، وعن الاعتقاد بأن العنف هو السبيل الوحيد للفت الانظار والاهتمام، لدى السلطات والمسؤولين الذين يتكونون من مجموعة من البشر تفتقر إلى الانسانية.

وفي ظل هذا الواقع المعقد، سوف تصبح الحرب العالمية الثالثة حرباً من نوع يختلف عن الحربين العالميتين الاخيرتين، وعن اي حرب سابقة نعرفها، سواء كانت حرباً عالمية او اهلية. ومن حسن الحظ ان هذه الحرب ستكون مختلفة عن غيرها من الحروب، لانه إذا ما نشبت حرب عالمية ثالثة، فسوف تكون حرباً نووية.. من المستحيل علينا التنبؤ بما ستجلبه علينا من دمار وهلاك، الا ان الحرب العالمية الراهنة ليست حرباً تدور بين جيوش بشرية متصارعة، بل هي حرب دائرة بين الطبيعة الانسانية ضد التكنولوجيا.. وهي ثورة عنيفة قام بها افراد الجنس البشري ضد التقدم العلمي الذي يحاول القضاء على شخصياتهم وقيمهم الانسانية.. ويمكن وصف هذه الثورة



هل سيتسلم السلام؟

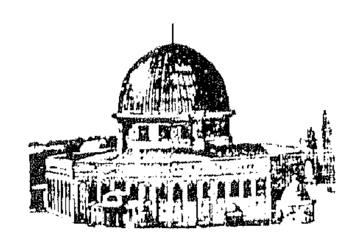
بأنها «حركة مقاومة» شرعية يقوم بها المناضلون من اجل الحرية، ضد ما وصفه الاديب الانجليزي المعروف الدوس هكسلي «بالعالم الجديد الشجاع».. ومع هذا فان هذه الحرب لا تخلو من العنف.. وتجري عمليات هذه الحرب على شكل مظاهرات تندلع في الشوارع، تتحدى ممثلي السلطة الرسمية في الدولة من رجال الشرطة وقوات الامن.. ويذهب بعض المتظاهرين إلى حد اقامة المتاريس في الشوارع والدروب، والقاء القنابل واطلاق النار على خصومهم. لكن الخسائر التي كانت تنجم عن هذه الاضطرابات، وعن هذا المظهر من مظاهر الحرب كانت طفيفة بالمقارنة بما ازهق من ارواح، وما فقد من ممتلكات في كل حرب من الحروب المحلية التي كان يستخدم فيها ما يسمى بالاسلحة التقليدية.

ونحن لا نستطيع التنبؤ بنتيجة الحرب العالمية الراهنة، وبنتيجة الصراع الدائر بين الانسان والتكنولوجيا! ويتساءل توينبي: هل يمكن للانسان ان يفرض ذاته ضد التكنولوجيا بدون ان يلجأ إلى تحطيم البيئة الصناعية التي قدمتها التكنولوجيا له؟ وهل سنعيش مزيداً من العمر عبيداً لهذا السيد الذي لا شخصية له؟ ان الاجابة على هذه التساؤلات في عام ١٩٦٩ ما زالت في علم الغيب.. لكن البشر في ايديهم ايضاً القدرة على فرض القيم الانسانية سواء بالانتصار على التكنولوجيا، او بالتعايش معها.. المهم هو ان يسود الحب والخير والحق.. وتلك قيم بسيطة في ظاهرها، ولكنها عسيرة المنال في حقيقة الامر. ◘



لفظ «خديوي»

«الخديوي» لفظ فارسي أصله «خديو» يلفظ «خديف» على الاصطلاح الفارسي. ومما يحسن ذكره أن هذا اللقب مشتق من أصل تشترك فيه اللغة الفارسية واللغات الجرمانية ويدل على اسم الجلالة فهو في الفارسية «خدا» وفي الانكليزية (God) وفي الألمانية (Gott) وفي الانكلوسكسونية (Gudh) وفي الدانماركية (Gud) وكلها تدل على اسم الجلالة وفيها معنى السيادة والسلطة فاختاروا لفظ «خديو» أو «خديوي» لقباً لأمير مصر تمييزاً له عن سائر ولاة الدولة العثمانية لأن مصر من الولايات الممتازة. وبالقياس على أعمال الدولة الاسلامية تعد مصر من «إمارات الاستيلاء» وهي أن يعقد الخليفة لأمير على إقليم اضطراراً بعد أن يستولي الأمير على ذلك الاقليم بالقوة. كذلك كانت الدولة الطولونية والدولة الأخشيدية بمصر منذ عشرة قرون. وأما صحة التلفظ بهذا الاسم فراجع للعادة.



يهود الجزائر

المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام «فلسطين» ١٩ - ٢٤ نيسان ١٩٨٠.

تقديراً من مجلة «تاريخ العرب والعالم» للمؤتمر الثالث لتاريخ الشام الذي عقد مؤخراً في عمان ما بين ١٩-٢٤ نيسان ١٩٨٠ الموافق ٤-٩ جمادي الثانية ١٤٠٠هـ. أعد «مركز التوثيق والأبحاث» في مجلة «تاريخ العرب والعالم» صورة ملخصة عن بعض البحوث التي قرئت في المؤتمر وكانت على جانب كبير من الأهمية والاثارة. على أن تنشر متتالية في المجلة والأولوية حسب أسبقية موافقة الكاتب.

وفي هذا المجال تود أن تؤكد أنها تقدر جميع البحوث المقدمة الى المؤتمر، كما أنها تقدر الجهود الكبيرة التي بذلتها جامعة عمان وجميع الجهات الرسمية وغير الرسمية التي عملت في سبيل انجاح هذا المؤتمر وتتمنى أن تستمر الجهود في جميع أنحاء الوطن العربي لدرس تاريخ العرب دراسة متعمقة مكثفة تضمن للعرب رؤية أوضح لتاريخهم وثقة أكبر بأن هذا التاريخ يكون ركيزة أصيلة لانطلاقهم في مجال بناء تاريخهم الحديث بناء سليماً ثابت البنيان.

كما تود أن تشكر جميع الباحثين والمؤرخين الذين أبدوا موافقتهم مشكورين على نشر أبحاثهم أو ملخصاً عنها في مجلة «تاريخ العرب والعالم».

وموقفهم من الحركة الصهيونية

د. ناصر الدين سعيدوني
جامعة الجزائر

ظلت الجزائر لمدة تزيد عن ألفي سنة من المواطن الرئيسية لاستقرار وتجمع اليهود، إذ تعود بداية انشاء المستعمرات اليهودية بالأرض الجزائرية الى العهد البونيقي الذي عرف قدوم مجموعات يهودية مهاجرة، استقرت في مستعمرات سكنية خاصة بها، ومنذ ذلك التاريخ المتقدم مرّ الوجود اليهودي بالجزائر بعدة مراحل متميزة، ارتبطت المرحلة الأولى بالفترة القديمة التي خضعت فيها الجزائر للحكم الروماني - الوندالي - البيزنطي، وقد لقي اليهود أثناءها معاملة حسنة من السكان الأصليين بعد أن رأوا فيهم عنصراً ساميا لا يختلف كثيرا عن الفينيقيين، وبعد أن لمسوا أن معاملة المستعمرين الرومان والبيزنطيين للطوائف اليهودية لا تختلف في شيء عن معاملتهم لباقي سكان البلاد.

ثم ابتدأت مرحلة ثانية في تاريخ اليهود بالجزائر مع الفتح العربي وانتشار الاسلام وقد وجد اليهود في المبادىء الاسلامية الداعية إلى المعاملة الحسنة لأهل الكتاب خير حافز على تدعيم نشاطهم التجاري والمهني فأصبحوا يحظون برعاية الأمراء الأغالبة والرستميين، ويتمتعون بعطف الخلفاء الفاطميين والملوك الحماديين وهذا ما دفع أحد الكتاب اليهود الى مقارنة حالة اليهود تحت الحكم الاسلامي بأوضاعهم السيئة في أغلب بلاد أوروبا، بهذه العبارة: «انهم كانوا أكثر سعادة في أرض الاسلام منهم في أغلب بلاد أوروبا حيث كانوا يتعرضون لأبشع الأحقاد».

أما المرحلة الثالثة للوجود اليهودي بالجزائر فتعود الى نهاية القرن الخامس عشر الذي عرف انهيار الأندلس الاسلامية وهجرة سكانها العرب بما فيهم اليهود إلى أقطار المغرب العربي. وكان عدد المهاجرين من اليهود يناهز مائة وخمسين ألفا، استقر قسم كبير منهم بالبلاد الجزائرية، وقد رأى فيهم الحكام الأتراك عنصرا حليفا في صراعهم مع الأسبان وعاملا اقتصاديا مهما لتنشيط التبادل التجاري مع موانىء المتوسط وتوفير بعض الصناعات الحرفية مثل ضرب العملة وأعمال الصياغة والنسيج. وهذا مما ساعد اليهود على أن يصبحوا منذ منتصف القرن الثامن عشر قوة اقتصادية كبيرة تحتكر جل المبادلات التجارية والأعمال المالية بالجزائر، وقد أدّى تزايد نفوذ اليهود الاقتصادي الى حدوث انتفاضات ضدهم منذ مطلع القرن التاسع عشر، وهذا ما زاد في عزلتهم وجعلهم موضع تشكك واشمئزاز من بقية السكان الذين رأوا في اليهود طائفة أجنبية لا تربطها بالبلاد سوى مصالحها الخاصة.

أما المرحلة الرابعة والأخيرة للوجود اليهودي بالجزائر فهي تربط بالاستعمار الفرنسي الذي وجد لدى اليهود تعاطفا مع سياسته التوسعية، واستعدادا للتعامل معه، وقد أدى ذلك الى حدوث أعمال عنف بين بعض الجزائريين واليهود الذين وضعوا أنفسهم في خدمة الجيش الفرنسي الغازي. وقد علق على ذلك أحد الكتاب اليهود بقوله: «كانت ميول اليهود الى جانب الجيوش الفرنسية الغازية. وهذا ما جعلهم يدفعون ثمن ذلك من دمهم».

هذا وسوف نركز في بحثنا على وضعية اليهود بالجزائر تحت السيادة الفرنسية، وما يترتب عنها من علاقة خاصة بالحركة الصهيونية وذلك من خلال التعرض للنقاط التالية بشكل مختصر ومركز:

١ - موقف فرنسا من يهود الجزائر.

٢ - موقف يهود الجزائر من السياسة الاستعمارية الفرنسية.

٣ - علاقة اليهود مع كل من المعمرين

الأوروبيين والمسلمين الجزائريين.

٤ - الاحتكاك بالحركة الصهيونية العالمية.

ومن ثم نهاية الوجود اليهودي بالجزائر بفعل تطور الحركة الوطنية الجزائرية وتراجع الاستعمار الفرنسي وتزايد نشاط الحركة الصهيونية في كل من الجزائر وفرنسا.

(أ) موقف فرنسا من يهود الجزائر:

سعت الادارة الفرنسية بالجزائر منذ السنوات الأولى للاحتلال الى ربط اليهود بالوجود الاستعماري ليكونوا عونا للجيوش الفرنسية، وأداة مساعدة في اخضاع السكان والتحكم في اقتصاديات البلاد، ولهذا سنت السلطات الفرنسية بالجزائر سلسلة من القرارات والمراسيم قصد ادماج اليهود في المجموعة الفرنسية.

كانت الخطوات التمهيدية لادماج يهود الجزائر في المجموعة الفرنسة، قد ابتدأت في اجراءات عملية لاعطائهم حق المواطنة الفرنسية، وكانت فاتحة هذه الاجراءات تلك التنظيمات التي سنها الملك لويس فيليب سنة ١٨٤٨، التي اخضعت يهود الجزائر لنفس التنظيمات التي كانت تنظم حياة اليهود بفرنسا. وأنشىء لهذا الغرض مجمع ديني لعموم يهود الجزائر. يتفرع الى ثلاثة مجامع دينية على مستوى الولايات الثلاث آنذاك، وهي قسنطينة والجزائر ووهران، كما أقرت هذه التنظيمات اجبارية اللغة الفرنسية بالمدارس الدينية الخاصة باليهود.

ثم سارت الامبراطورية الفرنسية الثانية في نفس هذا الاتجاه فمنحت المجامع الدينية اليهودية حقوق الأحوال المدنية، الأمر الذي ساعد على الغاء المجمع الديني لعموم يهود الجزائر، الذي أصبح تحت اشراف وتوجيه المجمع الديني المركزي لعموم يهود فرنسا وهذا ما أقره مرسوم ١٦ سبتمبر ١٨٦٧

بعد هذا بادر الوزير كريمو بتقديم قرار يمنح الجنسية الفرنسية لكافة يهود الجزائر فأقره مندوبو حكومة الدفاع الوطني بمدينة تور(Tour) في ٢٤ أكتوبر ١٨٧٠. وقد عرف هذا القرار الشهير بقرار كريميو وعلى كل فان قرار كريميو سوف ينتج عنه آثار بعيدة المدى على مستقبل يهود الجزائر، فهو قد قطعهم من جذورهم التاريخية وأبعدهم عن بقية أفراد الشعب الجزائري المسلم بدون مبرر، وعمق الشعور المعادي لهم بين الأهالي المضطهدين الذين رأوا في قرار التجنيس الجماعي لليهود اهانة بالغة واجراء مجحفا في حقهم.

(ب) موقف يهود الجزائر من السياسة الاستعمارية الفرنسية:

أما موقف يهود الجزائر من السياسة الاستعمارية الفرنسية الرامية إلى ادماجهم وتسخيرهم لخدمة الأهداف الاستعمارية. فهو يتلخص في أن اليهود أبدوا منذ تعرض الجزائر للاحتلال تعاطفا مع جيوش الاحتلال، واستعداداً للقيام بمهمة الوساطة بين الحكام الفرنسيين والأهالي الجزائريين، وقد شجعهم على ذلك اشتغالهم بالتجارة وتفطنهم الى الفوائد الجمة التي سوف تعود عليهم من جراء السياسة الاستعمارية التي تُصبغ الامتيازات، وتوفر الحماية لكل أقلية مستعدة للتعامل معها على حساب مصالح بقية السكان، وبفعل نظرة اليهود النفعية إلى الأشياء التحق الأطفال اليهود منذ السنوات الأولى للاحتلال بمدارس الرابطة الاسرائيلية العامة (L'alliance Israélite Universelle)،التي تأسست بمبادرة من يهود فرنسا بالمدن الجزائرية الكبرى. وقد تلقت فيها أجيال اليهود الناشئة الثقافة الفرنسية واكتسبت عن طريقها السلوك والعادات الأوروبية، مما أبعدهم عن بقية الشعب الجزائري ومكنهم من الاندماج بالجالية الأوروبية بالجزائر، وتستدل على ذلك بكثرة حالات الزواج المختلط بين اليهود والأوروبيين ففي سنة ١٩١١ سجلت ٣١٩ عقد زواج بين اليهود والأوربيين مقابل ٣٠٤ عقد زواج تم بين أفراد الجالية اليهودية.

وعلى كل فان تمكن اندماج اليهود في بوتقة الثقافية الفرنسية وتشربهم الحضارة الغربية في فترة قصيرة لم يمكن متيسرا لولا تلك القرارات المتعاقبة التي سنها الفرنسيون قصد ادماجهم وتمثلهم. وتلك الجهود المضنية التي بذلها يهود فرنسا بالتنسيق مع زعماء اليهود بالجزائر.

بتقديم المساعدات المالية والتطوع للتعليم في المدارس اليهودية، وهذا ما دفع أحد الكتاب اليهود الى أن يؤكد بأن «مدارس الرابطة الاسرائيلية العامة بالمدن الكبرى بالجزائر هي التي غرست في قلوب اليهود بالجزائر حب الحضارة الغربية والتعلق بها». وان اقتضت الظروف كان كبار يهود فرنسا يسعون لاقناع الحكومات الفرنسية المتعاقبة بضرورة رعاية اليهود في الجزائر ومنحهم الامتيازات التي تساعدهم على الاندماج في الوسط الفرنسي، وفي هذا الشأن نذكر أن رئيس وزراء فرنسا تيار اضطر أن يوقع قرار كريميو حتى يتمكن من الحصول على قرض قيمته خمسة ملايين فرنك من احد البنوك اليهودية الكبرى، وذلك حتى يسدد جزءاً من تعويضات الحرب التي فرضتها ألمانيا على فرنسا أثر الحرب السبعينية.

وعلى كل فان عملية دمج يهود الجزائر في المجموعة الفرنسية التي تحققت بفعل تضافر التشريعات الفرنسية والميول اليهودية التي رأت في الاستعمار الفرنسي خير وسيلة لتحقيق مصالحها، قد ارتبطت بأوضاع خاصة تمثلت بالخصوص في التطور الديمغرافي والنشاط الاقتصادي الذي كان يمارسه أفراد الطائفة اليهودية بالجزائر.

فبالنسبة للتطور الديمغرافي نلاحظ أن عدد اليهود قد تضاعف الى ما يقرب من ثلاث مرات في ظرف مائة سنة، فبعد أن كان يناهز ٣٠ ألف نسمة عام ١٨٣٠، أصبح يقدر سنة ١٩٣٠ بـ ٨٠ ألف نسمة. وكانت الزيادة الطبيعية أثناء هذه الفترة ١٨٪. ونسبة الخصوبة تتراوح ما بين ٣٧ إلى ٣٩٪. وفي إحصاء عام ١٩٣١ كان عدد اليهود الاجمالي بما فيهم يهود الصحراء يبلغ ١١٠,١٢٧ نسمة. مما يجعل نسبتهم ١,٦٨٪ من مجموع السكان المسلمين البالغ عددهم ٥,٥٩٣,٠٤٥ نسمة، والأوربيين الذين كانوا يناهزون ٨٥٠,٢٧٩ نسمة، وكان أغلب اليهود يتركزون بالمدن الكبرى وهي الجزائر ٢٣,٥٥٠ نسمة، وقسنطينة ١٣١١٠ نسمة، وتلمسان ٥٤٣٦ وصاحب هذا التطور الديمغرافي تزايد نفوذ اليهود الاقتصادي إذ أصبحوا في مطلع القرن العشرين يستحوذون



الرئيس غي موليه في الجزائر (٦شباط ١٩٥٦)

على جزء هام من المبادلات التجارية ويتحكمون في العديد من الوظائف الادارية والمهن الحرة، ونستدل على ذلك من احصاء يعود إلى أول جويلية ١٩٠٠، فمن مجموع ١٠٢٤ فرد يهودي أجرى عليه الاحصاء نجد أن هناك ٥١ من ذوي المهن الحرة و٥٢ من الموظفين و٣٤٥ تاجرا و٥٦٦ عاملا أو تاجرا صغيرا، كما أن الجالية اليهودية بمدينة تلمسان في نفس السنة، كان أفرادها العاملون يصنفون على الشكل التالي: ٤٦٥ عاملا وتاجرا صغيرا و٢٠٨ تاجرا و٢٠ موظفا أو مستخدما في الادارة المحلية.

(جـ) علاقة اليهود مع كل من المعمرين الفرنسيين والمسلمين الجزائريين:

لقد أدى النجاح الاقتصادي الذي حققه اليهود في ظل الحماية الاستعمارية الى اثارة مخاوف المعمرين الفرنسيين الذين كانوا يرون بأنهم وحدهم الجديرون بحكم الجزائر واستغلال

خيراتها، وقد أدى هذا التخوف الى ظهور نزعة معادية لليهود من جماعات المعمرين الذين لاحظوا أن الوضع الاجتماعي المميز والثقل السياسي الذي بدأ يمارسه بعض اليهود قد أضر بمكانتهم ونفوذهم، لاسيما وأن أحد الزعماء اليهود وهو سيمون كانويه (Simon Kanoui) كان يتبجح بقوله: «أن لا أحد يستطيع أن يتسلم مقاليد البلدية بدون أن أمنحه مفاتيحها».

هذا وقد اتخذت هذه النزعة المعادية لليهود طابعا قوميا وشعورا وطنيا لدى الأوساط اليمينية من المعمرين فتسببت في حدوث بعض التحرشات بين أفراد من اليهود وجماعات من الأوروبيين طيلة السنوات الممتدة من عام ١٨٦٥ الى ١٩٠٢. وقد اتخذت في بعض الأحيان شكل صراع عنيف كما حدث في سنوات ١٨٩٧ - ١٨٩٨ - ١٨٩٩

هذا وقد كانت المصاعب الاقتصادية التي واجهت الأوروبيين في الجزائر أواخر القرن الماضي من جراء التضخم المالي العالمي وهبوط أسعار الحبوب وأزمة الخمور حافزا على هذا التنافس بين اليهود والمعمرين وهذا ما عبر عنه الزعيم اليهودي المعروف ماكس نوردو (Max Nordau) بقوله «ان النزعة المعادية لليهود في الجزائر كانت نتيجة للوضع الممتاز الذي حصلوا عليه منذ عشرين سنة»، ويضاف الى هذا العامل الاقتصادي الذي أدى الى توتر العلاقة بين الأوروبيين واليهود ردود الفعل التي أحدثتها قضية درايفس المشهورة (L'affaire Dreyfus) التي كثر الجدل حولها وأحدثت هزة عنيفة في الرأي العام الفرنسي وفي أوساط المعمرين بالجزائر وهذا ما دفع المؤتمر الصهيوني الثاني المنعقد ببال أواخر آب ١٨٩٨، إلى مناقشة الآثار التي أحدثتها قضية درايفس على يهود الجزائر، وقد نعت هذه القضية الزعيم اليهودي نوردو «بأنها أصبحت تشكل خطرا داهما على يهود الجزائر».

ومع مطلع القرن العشرين هدأت الأوضاع وتوجهت اهتمامات المعمرين وجهود اليهود الى استغلال طاقات الشعب الجزائري فلم تظهر النزعة المعادية لليهود بين فرنسيي الجزائر إلا في مطلع العشرينات وأواسط الثلاثينات وعلى العكس من هذا الموقف المعادي لليهود الذي اتخذه المعمرون بالجزائر نجد أن الجزائريين المسلمين حاولوا جاهدين التعامل مع اليهود وخلق علاقات تتصف بحسن الجوار والتعامل الأخوي، ولكن بدون طائل، إذ اتخذ منهم اليهود موقفا معاديا بدافع الشعور بالتفوق واظهار الثقة بالنفس الى حد الغرور، وكانوا يرمون من وراء هذا الشعور بالتفوق والثقة التخلص من الاهانات التي يسلطها عليهم الفرنسيون ذوو الاتجاهات اليمينية المتطرفة، وهذا ما أثار المسلمين وجعلهم يقفون من اليهود موقف الحذر والتحفظ وقد عبر عن ذلك أحد الكتاب الجزائريين آنذاك بقوله: «إن الأهالي ليسوا معادين للسامية ولا يستطيعون أن يكونوا كذلك لأن تعاليم الرسول (ص) تنهاهم عن ذلك، ولكن التذمر العميق من اليهود تسبب فيه غطرسة اليهود الأثرياء الذين أصبحوا يشعرون بالتفوق منذ أن أصبحوا فرنسيين، ولهذا على اليهود الذين هم الآن في وضع ممتاز أن لا ينسوا أن العجلة تدور وأن تصرف بعض العناصر منهم يمكن أن يبعد عنهم روح التسامح والتعاطف».

وبالفعل أدى هذا الموقف المعادي الذي وقفه اليهود أزاء الشعب الجزائري الى حدوث قطيعة أبدية وعداء مستحكم بلغ أوجه أثناء حوادث قسنطينة التي تسبب فيها أحد الجنود اليهود من فرقة الزواف الذي لم يتورع على البول على حائط مسجد المدينة مساء يوم ٣ آب سنة ١٩٣٤، وبعد وقوع مشاغبات سارع شيخ مدينة قسنطينة والنائب بالبرلمان الفرنسي أميل مورينو الى الاستنجاد بفرقة من الجنود لحماية الحي اليهودي المهدد بأعمال العنف، التي لم تلبث أن تجددت أثر تحرش أحد اليهود باطلاق النار من احدى النوافذ على جموع المسلمين مما أثار السخط والهياج وتسبب في احداث دموية يوم ٥ آب، وكانت حصيلة هذا التصادم الذي كرس القطيعة بين اليهود والمسلمين بالقطر الجزائري، قتل ٢٥ شخصا وجرح ٦٠ آخرين، وحرق ٤ مساكن ونهب ٣٠٠ مغارة ومحل تجاري من جانب اليهود، وقتل ٤ من المسلمين وجرح العديد منهم وقد علق الامام الشيخ عبد الحميد ابن باديس على هذه الأحداث الطائفية ووصفها بأنها رغم كونها فاجعة إلا أنها تدخل في اطار

«مشبوهون»
تحت رحمة بنادق
فرنسية



غريزة الدفاع عن النفس التي حسب تعبيره نزعة فطرية في الانسان كما طالب بنزع السلاح من اليهود وأشاد بتعقل ورصانة وحكمة النواب المسلمين، ووصف ادعاءات ممثل اليهود لولوش بأنها تقوّل بالباطل ينم عن أمراض قلبية ويدل على قلة الأدب وافلاس السياسة.

(د) احتكاك يهود الجزائر بالحركة الصهيونية:

بعد هذه اللمحة الوجيزة عن تطور أوضاع اليهود تحت السيادة الفرنسية يجدر بنا أن نتناول العلاقات المتبادلة بين يهود الجزائر والحركة الصهيونية، محاولين اظهار طبيعة هذه العلاقات ونوعية التأثير الذي نتج عنها والانعكاسات التي تركتها على القضية الفلسطينية وعلى أوضاع الجزائر الداخلية، ونظرا لتطور هذه العلاقة وتداخل الأحداث التي تميزت بها، سوف نتعرض اليها من خلال فترتين أولاهما تعود الى ما قبل انشاء الكيان الصهيوني على الأرض العربية بفلسطين. وثانيهما تتصل بالفترة اللاحقة التي أصبحت فيها اسرائيل قوة عدوانية ذات تأثير مباشر على يهود العالم.

فبالنسبة الى **الفترة الأولى** التي تبتديء بالمؤتمر الصهيوني الأول المنعقد ببال عام ١٨٩٧. وتنتهي بكارثة عام ١٩٤٨، نلاحظ أن دعاة الصهيونية العالمية عملوا جاهدين على استمالة يهود الجزائر الى الفكرة الصهيونية واقناعهم بضرورة التمسك بها، وتؤكد الوثائق أن الاتصال بين يهود الجزائر ودعاة الصهيونية كان مبكرا إذ حضر المؤتمر الأول الصهيوني أحد يهود قسنطينة وهو عتالي (E.Attali) كما أن المؤتمر الصهيوني الخامس المنعقد ببال عام ١٩٠١ أقر بوجود جماعات صهيونية بمدينتي قسنطينة والجزائر. وكانت خطة دعاة الصهيونية لاستمالة يهود الجزائر تقوم على استخدام الفدرالية الصهيونية بفرنسا (La Fédération Sioniste de France) باعتبارها همزة وصل بين طلائع الصهيونية والأوساط اليهودية بالجزائر، وقد تمكنوا بفضل هذه الخطة من جلب بعض اليهود الجزائريين، الذين أصبحوا أعضاء في الحركة الصهيونية وكان عددهم يقدر عام ١٩١٩

بـ ٢٤ في مدينة الجزائر و٣٠ في مستغانم و١٢٩ في تلمسان و١٩٧ في المدية، كما استطاعوا في هذه الظروف أن ينشئوا فرعا للاتحاد العام للشبيبة الصهيونية بناحية وهران تحت رئاسة أحد دعاة الصهاينة وهو هالبيران (Halpérin)، وفي نفس الوقت تمكن المندوب الصهيوني هايسود (Le Karen Hayssed) من جمع مبلغ مالي قدر بحوالي ١٦٥٠٠٠ فرنك لفائدة المنظمة الصهيونية العالمية.

وعلى كل فان هذه النتائج التي استطاعت الحركة الصهيونية تحقيقها بالجزائر، تعتبر ضئيلة بالمقارنة الى غنى الأقلية اليهودية بالجزائر، كما تعتبر هامشية نظرا لكونها ظلت منحصرة في مجموعات منعزلة عن الجماعة اليهودية، ومرد هذه الصعوبات التي واجهت الحركة الصهيونية في تحويل أنظار يهود الجزائر الى فلسطين يعود حسبما نرى الى عدة أسباب منها ما هو حضاري يتمثل في أن يهود الجزائر قد اكتسبوا منذ وقت مبكر الجنسية الفرنسية - كما أوضحنا ذلك سابقا - واندمجوا في بوتقة الحضارة الغربية، وهذا ما أكسبهم طابعا أوروبا وميولا فرنسية ليبرالية بخلاف الأقليات اليهودية الأخرى بباقي أقطار المغرب العربي، وبالتالي ضعف تأثير الدعاية الصهيونية عليهم، بل رأى الكثير منهم فيها فكرة غريبة عنهم تتعارض أساسا وأهداف الرابطة الاسرائيلة العالمية (L'alliance Israélite Universelle) التي انتشئت عام ١٨٦٠.

ومن هذه الأسباب أيضا ما هو **اقتصادي** نتج عن المكانة الممتازة التي حصل عليها اليهود في الجزائر، إذ أصبحوا يهيمنون على أهم المهن الحرة ويتحكمون في العديد من الأعمال التجارية والمصرفية، ويتصرفون في مختلف الوظائف الادارية، مما جعل الكثير منهم يرى في الدعوة الصهيونية خطرا قد ينجرّ عنه الحاق الضرر بمكاسبهم، لاسيما وأنهم كانوا يتمتعون بالأمن وينعمون بالحماية في اطار القانون الفرنسي، ولم تكن تخطر ببالهم أنهم سوف يتعرضون في المستقبل القريب أو البعيد إلى أي خطر من جانب الأوروبيين أو المسلمين على السواء، ومما زاد في تخوفهم من الدعوة الصهيونية تلك المقالات التي واظبت على نشرها بعض الجرائد الفرنسية مثل لوبوتي جرنال (Le petit Journal) التي ما فتئت تحذر الهود من مغبة الانزلاق وراء مخاطر الدعوة الصهيونية، وتدعوهم باستمرار الى التمتع بالحقوق التي يوفرها القانون لمجموع الأمة الفرنسية. ولا نفاجأ في مثل هذه الظروف الاقتصادية والحملات الصحفية أن نجد أن أحد زعماء الحركة الصهيونية وهو سيلفيان ليفي (Lévy Sélvian) يعارض جهارا مخطط دعاة الصهيونية في مؤتمر السلام المنعقد بباريس ١٩١٩ خوفا من خلق الولاء المزدوج لدى اليهود ولعدم امكانية فلسطين لاستقبال كافة اليهود، ونفورا من يهود روسيا ذوي الميول اليسارية الذين قد يساهمون في خلق بؤرة ثورية في فلسطين حسب استنتاجاته. كما يوجد سبب آخر ذو طابع **ديني** ساهم في اضعاف الحركة الصهيونية، بين يهود الجزائر، ومرده أن رجال الدين من اليهود ظلوا طيلة الفترة الاستعمارية يحرصون على تنظيم حياة الجماعة اليهودية بالجزائر وابقائها تحت رعايتهم واشرافهم، ولهذا سعوا الى تأسيس فدرالية خاصة بيهود الجزائر لا تخضع لتوجيهات المجمع الديني لعموم يهود فرنسا، هذا المجمع الذي كان يمارس نوعا من الهيمنة اعتبره بعض اليهود شكلا من أشكال التبعية والاستعمار. بدليل أن أحد الكتاب اليهود كتب ما يلي: «كما أن فرنسا استعمرت الجزائر فان اليهود الفرنسيين قد استعمروا بدورهم الجماعة اليهودية بالجزائر».

أما المرحلة **الثانية** لاتصال الحركة الصهيونية بيهود الجزائر فهي تبتدىء بانشاء الكيان الصهيوني بفلسطين، وتستمر الى ما بعد استقلال الجزائر، وأثناءها حققت الحركة الصهيونية نجاحا ملحوظا في أوساط يهود الجزائر فأنشئت عدة فروع تابعة لمنظمة الشباب الصهيوني انخرط فيها العديد من الشباب اليهود، كما تمكن الاتحاد النسائي الصهيوني (W.I.Z.O.) من تحقيق مكاسب ساعدته على جمع مبالغ مالية لفائدة دولة اسرائيل وهذا ما ساعد على حضور عدة وفود تمثل يهود الجزائر في المؤتمرات الصهيونية التي انعقدت بالقدس وهي المؤتمرات: الثالث والعشرون

مدينة وهران



(١٩٥١) الرابع والعشرون (١٩٥٦) والخامس والعشرون (١٩٦٠).

ولعل أهم نجاح حققته الحركة الصهيونية لدى يهود الجزائر، يتمثل في تشجيعها لكثير من اليهود على الهجرة الى اسرائيل، واستقبالها لجماعات اليهود المغاربة في طريقهم الى فلسطين، وقد انشئت لهذا الغرض معسكرت تجمع وتهيئة وتدريب قبل رحيلهم الى فلسطين عن طريق مرسيليا.

وهناك سبب آخر يعود الى تطور الكفاح الوطني الجزائري واتخاذه شكل نضال مسلح ضد الوجود الفرنسي وأعوانه بالجزائر وكان في طليعتهم اليهود الجزائريون رغم أن الثورة الجزائرية حاولت أن تبقي اليهود خارج صراعها مع الاستعمار. وتوجهت اليهم بعدة نداءات تناشدهم فيها بأن لا يربطوا مستقبلهم في الجزائر بالوجود الاستعماري.

كل هذه النداءات لم نستطع اقناع اليهود بضرورة مسايرة كفاح الشعب الجزائري والتجاوب مع مطامحه التحررية، فباستثناء أفراد قلائل من الأقلية اليهودية، أبدوا تفهما وتجاوبا مع الثورة الجزائرية، ظلت الغالبية الساحقة من اليهود الجزائريين تتفرج على النزاع المحتدم، بل انضّمت جماعات كثيرة من اليهود الى جهاز القمع الفرنسي المسلط على الشعب الجزائري، مثلما حدث بقسنطينة يوم ١٢/ايار/ عام ١٩٥٦ من مجازر وحْشية ضد السكان المدنيين العزل على يد المتطرفين من اليهود. كل هذه الأسباب شجعت الكثير من يهود الجزائر على الهجرة الى فلسطين، هذه الهجرة التي مرت بالمراحل التالية:

١ - المرحلة **الأولى** الممتدة من ١٩١٩ الى ١٩٤٨. لم يهاجر أثناءها إلا عدد ضئيل جدا من يهود الجزائر لضعف تأثير الحركة الصهيونية كما سبقت الاشارة الى ذلك، وكان هؤلاء المهاجرون يؤلفون أقلية ضئيلة ضمن بقية المهاجرين اليهود من أقطار المغرب العربي الذين كانوا يقدرون بـ ٤٩٤ يهوديا. أي بنسبة ٠,٧٪ الى مجموع المهاجرين اليهود الآخرين.



...نحو «أرض الميعاد»

٢ – المرحلة **الثانية** من ١٩٤٨ الى ١٩٥٤. تزايد فيها عدد المهاجرين من يهود الجزائر حتى بلغ ٢٦٠٠٠ مهاجر. مقابل ١٤٠٠٠ من تونس و٢٨٠٠٠ من المغرب الأقصى و٣٢٥٠٠ من ليبيا.

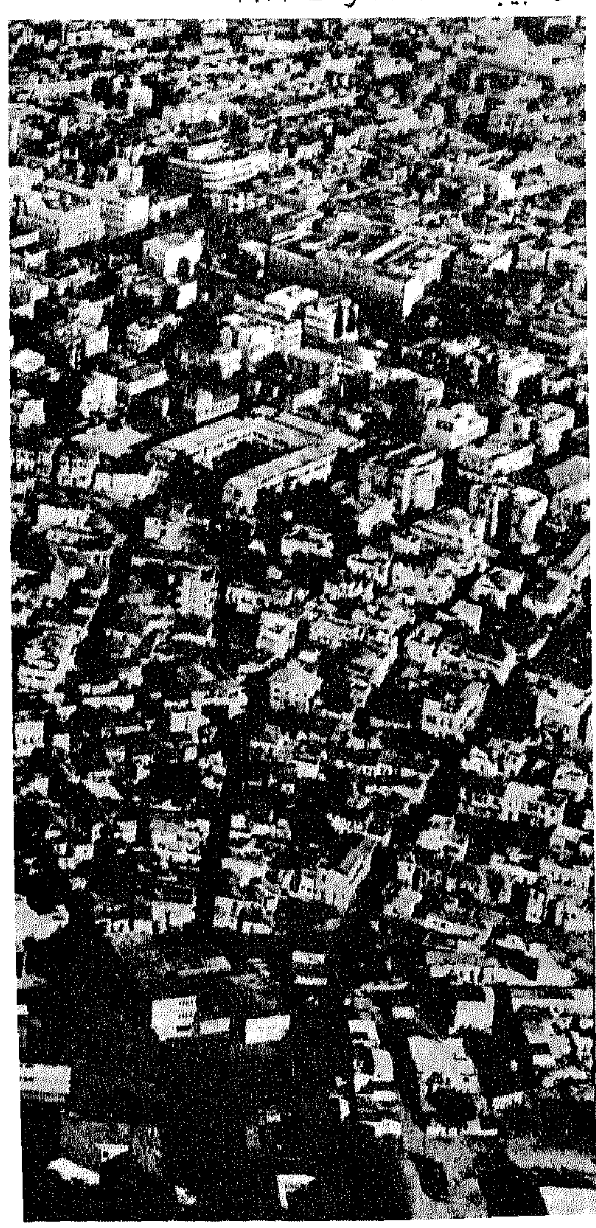
٣ – المرحلة **الثالثة** من ١٩٥٤ الى ١٩٦٣، هاجر أثناءها ما ينيف عن ١٨ ألف يهودي من الجزائر إلى فلسطين المحتلة من مجموع ١٤٠ ألفا كانوا يؤلفون الجماعة اليهودية بالجزائر.

٤ – المرحلة **الرابعة** والأخيرة من ١٩٦٣ – ١٩٦٨، عرفت منذ بدايتها نزوحا جماعيا لليهود الجزائريين نحو فرنسا أو اسرائيل، إذ هاجر في عام ١٩٦٣ ما ينيف عن ٢١ ألف يهودي، واستمرت هذه الهجرة حتى لم يبق من اليهود بالجزائر عام ١٩٦٧/٦٦ سوى ٥٠٠٠ نسمة ثم تناقصوا الى حوالي ٢٠٠٠ نسمة عام ١٩٦٨، ولم يبق منهم أخيرا سوى ١٣٠٠ يهودي يقيم ٥٠٠ منهم بمدينة الجزائر و٧٠٠ بوهران، وهم الآن في حدود ألف نسمة، ظل مجملهم يحتفظ بالجنسية الفرنسية سوى ما يقرب من ٣٠ شخصا آثروا الحصول على الجنسية الجزائرية وأغلبهم من المسنين والشيوخ. ومما يلاحظ أن الثورة الجزائرية قد تركت آثاراً عميقة في نفسية اليهود الجزائريين وأشعرتهم بصدى الخطأ الذي ارتكبوه في حق الشعب الجزائري، كما أثارت القلق إذ أصبح الكثير منهم يتساءل عن مصيره وعن المعسكر الذي يمكن أن ينضم اليه. وتراءت لبعضهم امكانية ظهور النزعة المعادية لليهود في فرنسا من اجراء تصفية المسألة الجزائرية وتغير السياسة الفرنسية تبعا لذلك.

بعد هذا نتطرق أخيرا الى أهم النتائج التي أسفرت عنها **علاقة الحركة الصهيونية بيهود الجزائر**، والتي نلخصها في النقاط التالية:



تل أبيب سنة ١٩١٤ وسنة ١٩٧٢



١ – يتميز يهود الجزائر عن باقي يهود المغرب العربي بأنهم أصبحوا بفعل الاندماج في البوتقة الفرنسية والمكانة المرموقة التي حصلوا عليها في ظل النظام الاستعماري بالجزائر، يعتبرون من اليهود الغربيين «الاشكنازيم» رغم أصولهم الشرقية «السفرديم» وذلك اعتمادا على طابعهم وميولهم التي اكتسبوها بفعل الثقافة الفرنسية والتي كانت سببا مباشرا في اضعاف الوازع الديني لفائدة الميول السياسية والمكاسب الاقتصادية، وهذا ما أضعف حماسهم للهجرة الى اسرائيل على أن هذا لا يعني مطلقا أنهم كانوا لا يتعاطفون مع سياسة اسرائيل ولا يتجاوبون مع مشاريعها التوسعية، بل أن غالبية يهود الجزائر رأوا في التحالف مع اسرائيل رجوعا الى ضميرهم واثباتا لهويتهم كيهود، وهم في هذا يماثلون اليهود الغربيين الذين يعتقدون أن مصيرهم مرتبط بمصير الدولة اليهودية بفلسطين.

٢ – لم ير اليهود الجزائريون في الهجرة الى اسرائيل حلا لمشاكلهم، وضمانا لمستقبلهم، وهذا ما سبب خيبة أمل في اسرائيل، حيث فسر سلوك يهود الجزائر حتى من أكثر المعتدلين بأنه بمثابة فشل ذريع للأديولوجية الصهيونية التي لم تعمل على تهيئتهم للقدوم الى اسرائيل ولم تحرص على استقبالهم مستدلين على ذلك برسالة مؤرخة في ٣١ جوان ١٩٤٤، بعثتها الوكالة اليهودية الى رئيس فرع الحركة الصهيونية بالجزائر العاصمة: هالير (B. Haler)، تعلمه فيها بأن جهود الوكالة سوف تركز على تهجير اليهود من المناطق المعادية، وبالتالي لا تعطي الأسبقية ليهود المغرب العربي نظرا لتوفر الحماية الفرنسية لهم، وعلى كل فان اليهود الذين انتقلوا من الجزائر الى فرنسا بنية الهجرة الى اسرائيل عدلوا أخيرا عن قصدهم وأثروا الاقامة بفرنسا محتفظين بالجنسية الفرنسية بعد أن حصلوا على أعمال مناسبة ووجدوا تعاضد لدى اليهود الفرنسيين.

٣ – كانت فرنسا بمثابة منطقة جذب واستقطاب لليهود الجزائريين، الذين آثروا الاقامة بها على الانتقال الى اسرائيل، ففي هذا الصدد نلاحظ أن غالبية اليهود الذين هاجروا من

الجزائر بين ك١ ١٩٦١ وتموز ١٩٦٢ فضلوا الاستقرار بفرنسا، كما أن نسبة ٣,٧٪ من اليهود المهاجرين ما بين ١٩٤٨، ١٩٦١ من أقطار المغرب العربي ومن ضمنها الجزائر استقروا في كل من فرنسا وكندا وعاد البعض منهم الى مواطنهم الأولى بالمغرب العربي، ولهذا فلا نستغرب إذا عرفنا أن عدد اليهود الذين هاجروا الى اسرائيل ما بين ١٩٥٢ و١٩٦١ يماثل تقريبا عدد يهود المغرب العربي الذين غادروا اسرائيل متوجهين الى الأقطار الأوروبية وأميركا.

٤ - رغم النتائج التي حصلت عليها الحركة الصهيونية لدى يهود الجزائر والتي سبقت الاشارة اليها، إلا أنها في واقع الأمر ظلت تعتبر نتائج متواضعة إذا ما قارناها بالنجاحات التي حصلت عليها مع يهود المغرب وتونس وليبيا وكذلك إذا أخذنا بعين الاعتبار الجهود الضخمة والدعاية المكثفة والتسهيلات المتوفرة لاستقطاب اليهود وتوجيههم نحو فلسطين المحتلة، فكل ذلك لم يستطع أن يقنع غالبية اليهود الجزائريين بالتخلي عن الامتيازات الاقتصادية في كل من الجزائر وفرنسا، وتقبل الأوضاع باسرائيل وما تستلزمه من سلوك خاص وما تفرضه من تقشف وتضحية.

٥ - ان هجرة يهود الجزائر الى اسرائيل كانت تتم في أغلب الأحيان على مرحلتين، الأولى يتوجه أثناءها المهاجرون الى فرنسا حيث يجمعون في معسكرات تهيئة، وكان في طليعة هذه المعسكرات معسكر أروناس (Aronas) القريب من مرسيليا الذي وضعته السلطات الفرنسية تحت تصرف الوكالة اليهودية عام ١٩٤٥، وبعد أن أدخلت عليها اصلاحات تم تهجير ما ينيف عن ٢٥٧٠٠٠ مهاجر يهودي الى اسرائيل أغلبهم من أقطار المغرب العربي، وذلك طيلة السنوات الممتدة من ١٩٥٤ الى ١٩٦٥.

أما المرحلة الثانية فكانت تتم بالانتقال الى اسرائيل، وهنا نلاحظ أن غالبية المهاجرين الى اسرائيل كانوا من اليهود الفقراء أو الذين لم يألفوا العيش حسب الطريقة الغربية مثل يهود منطقة مزاب بالصحراء الجزائرية الذين هاجر أغلبهم الى اسرائيل ما بين ١٩٥٢ و١٩٥٦، وكذلك يهود النواحي القسنطينية، هذا بالاضافة الى اليهود الذين تأثروا ببعض الأزمات كالحروب الاسرائيلية العربية أعوام ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، أو انزعجوا من تدهور العلاقات الفرنسية الاسرائيلية في شهر أيار سنة ١٩٥٨.

٦ - نتج عن هجرة اليهود من الجزائر وباقي أقطار المغرب العربي تزايد عدد اليهود الشرقيين باسرائيل (السفارديم) الذين كانت نسبتهم عند قيام دولة اسرائيل ١٠٪ وبفعل هذه الزيادة أصبحوا يؤلفون حوالي نصف عدد السكان وربما يشكلون أغلبية السكان في المستقبل إذا استمرت المعدلات الحالية للولادة، وهذا ما قد يفقد اسرائيل صبغتها الغربية ويضعف روابطها مع المجموعات اليهودية بأوروبا الغربية وأمريكا مما يترك آثارا سلبية على علاقاتها بالعالم الرأسمالي.

٧ - حاولت الحركة الصهيونية أن تنتفع من تجارب الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وأن تتعرف على نفسية العرب الفلسطينيين من خلال التعرف على واقع المجتمع العربي بالجزائر، وأن تدرس أعمال المعمرين وسلوكهم أزاء الجزائريين لتنتفع بها في تحقيق ما عجزت عنه فرنسا في الجزائر، في أرض فلسطين العربية وعلى حساب مصالح الشعب الفلسطيني.

وهكذا اختتم هذا البحث، متمنيا أن يدرس أخوتنا الفلسطينيون التجربة الجزائرية في مقاومة الاستعمار الفرنسي والتغلّب على مشاريعه الاستيطانية ليستفيدوا منها في استرجاع حقوقهم المشروعة في الأرض المغتصبة كما حاول الصهاينة في الماضي أن يتعرفوا على أساليب الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وينتفعوا بمخططاته التوسعية، لاسيما وأن مصير الأمة العربية واحد سواء في الجزائر أو فلسطين أو في بقية الأقطار العربية الشقيقة. ◘



عبدالرحمن الناصر

(ت: ٣٥٠هـ / ٩٦١م)

د. سهيل زكار



عاشت الأندلس في النصف الثاني للقرن التاسع فترة عصيبة من تاريخها، كادت فيها الفتن الداخلية والمخاطر الخارجية أن تعصف بالأسرة الأموية وتزيلها من الوجود، عندما وصلت الأمور إلى حافة الهاوية تسلم الإمارة شاب في بداية العقد الثالث من عمره، حمل نفس الإسم الذي حمله صقر قريش، فاستطاع ليس فقط أن يعيد الوحدة والإستقرار إلى الأندلس، وإنما حوّل الإمارة إلى خلافة والدولة الصغيرة إلى امبراطورية...

في سنة ٣٠٠هـ/٩١٣م توفي الأمير عبدالله، فخلفه حفيده عبدالرحمن، وكانت الفتنة قد طبقت آفاق الأندلس والخلاف غاش في كل ناحية منها، فاستقبل الملك بسعد لم يقابل بـه أحداً ممن خالفه أو خرج عليه إلا غلبه واستولى على ما في يديه، فافتتح الأندلس مدينة مدينة، وقتل حماتها، واستذل رجالها، وهدم معاقلها،... حتى دانت له البلاد وانقاد له أهل العناد.

وعبدالرحمن هذا هو ابن محمد بن عبدالله، كان أبوه محمد قد قتله أخوه مطرف، فقتله أبوه عبدالله به، وقام الأمير عبدالله بضم حفيده إليه، وأخذ يعده منذ صباه لخلافته والحكم من بعده، فكان يجلسه في مجلسه، وكان يسكن قصره، وبعد وفاة جده بيع له بالإمارة.

لقد كان على عبدالرحمن عندما تسلم الإمارة ان يواجه المخاطر الداخلية التي مثل أعتاها ثورة ابن حفصون، كما كان عليه أن يتصدى للمشاكل الخارجية التي جاء أشدها من مملكة ليون، ومن إفريقية حيث قامت الخلافة الفاطمية، ومع ذلك فقد تمكّن عبد الرحمن بقوة شخصيته، ثم بطول المدة التي حكم فيها من إعادة الوحدة إلى دولته، وإبعاد الخطر الخارجي عنها، وإيصالها إلى ذروة المجد والرفاه والحضارة والقوة.

وفي سبيل إعادة الوحدة إلى الأنـدلس قاد عبدالرحمن في بداية حكمه عدداً من الحملات، ووجه عدداً آخرا، فاستطاع تصفية ثورة ابن حفصون ثم استعاد عدداً من مدن الأنـدلس واحـدة تلو الأخـرى، وبعد ذلـك قـام سنـة ٣١٦هـ/٩٢٨م بإعلان نفسه خليفة، وبعد عامين على هذا الإعلان أكمل مدّ سيطرته على باقي مدن الأندلس وثغوره فلقب نفسه بالناصر لدين الله.

ويلاحظ المرء أن عبدالرحمن صرف جهوده خلال العشرين سنة الأولى من حكمه لإعادة توحيد الأندلس، لكن رغم أن هذا استهلك جلّ نشاطه ووقته، نجده خـلال ذلك كلـه لا يغفل الحرب ضد النصارى خاصة في مملكتي نافار وليون.

وكانت هذه الممالك قد انتابها الضعف إثر تفكك أوصال الإمبراطورية الكارلونجية، وفي البداية استطاع عبدالرحمن أن يوقف نشـاط النصارى ضد الأندلس، ونقصد بمملكة ليون المملكة التي شملت منطقة أشتورش التي وقعت في أقصى الشمال الغربي لشبه الجزيرة الايبيرية، وكان ملك ليون منذ سنة ٩٣٢ وحتى سنة ٩٥٠ يعرف برذمير (Ramiro II). وتصدى رذمير هذا لحملات عبدالرحمن ضد مملكته، ويذكـر أنه انتصر عليـه انتصـاراً سـاحقـاً سنـة

د.سهيل زكار: استاذ التاريخ الاسلامي في جامعة دمشق.

٣٧٧هـ/ ٩٣٩م، مع أن جيش عبدالرحمن ضم آنذاك كما قيل، حوالي المائة ألف مقاتل، وعلى الرغم من هذا لم ينجم عن هزيمة عبدالرحمن هذه نتائج عسكرية خطيرة، فقد انشغل رذمير بمشاكل داخلية مما مكّن عبدالرحمن من استعادة قوته ونشاطه، وبعد وفاة رذمير سنة ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م أضعفت الخلافات الداخلية الدولة النصرانية، فازداد نفوذ عبدالرحمن عليها، وتحول هذا النفوذ فيما بعد إلى اعتراف بالولاء، وقبول بالتحكم ودفع الجزية.

ويمكن القول إنه منذ منتصف القرن العاشر للميلاد، وحتى نهايته سيطر المسلمون لأول مرة تماما على شبه الجزيرة الأيبيرية كلها، ورغم ذلك لم يستطع المسلمون الاحتفاظ بما سيطروا عليه، فقد جاءت سيطرتهم على أطراف شبه الجزيرة قهراً وليس فتحاً، ذلك أن المسلمين لم يستوطنوا أراضي الممالك النصرانية في الأطراف، وهكذا بقي حكام هذه الممالك تابعين لقرطبة ما دامت قوية، مستعدين للعمل ضدها عندما تسنح الفرصة، ولم يستقر العرب في الأراضي الشمالية لشبه الجزيرة الايبيرية، لعدم وجود الرغبة في سكنى المناطق القريبة من فرنسة ولصعوبة العيش في هذه الأراضي، ولعدم وجود المكاسب، ولطبيعة الأرض والمناخ الصعب، والعرب كما هو ملاحظ أحبوا سكنى المدن الكبيرة ذات المناخ المتوسطي، واستقر بعض البربر في هذه المناطق، لكن صعوبة الحياة الجبلية، ووجود الخطر الدائم دفعاهم إلى الإنسحاب نحو داخل شبه الجزيرة.

ولم يقتصر نشاط عبدالرحمن على الأندلس فقط، بل أخذ بالتوسع في المغرب، وذلك أنه من المقرر أن حكومات إسبانية القوية عندما تخفق في التوسع عبر البيرنيه داخل أوروبة، تدير وجهها للتوسع في الشمال الأفريقي، ويسهل دائماً إيجاد التعليلات المسوغة ذلك.

وعلى هذا نجد عبدالرحمن بعد ما حلّت به هزيمة سنة ٩٣٩م، ينحرف نحو المغرب فيتدخل بشؤونه الداخلية متذرعاً حيناً بالعمل ضد الفاطميين وبأسباب أخرى حيناً آخر، وبالفعل نجح عبدالرحمن في احتلال سبتة وطنجة وأجزاء أخرى كانت تابعة للأدارسة، لكن الفاطميين تمكنوا في بداية حكم المعزّ لدين الله استعادة معظم أجزاء المغرب.

ومن الواضح أن اتخاذ عبدالرحمن للقب الخلافة وتسمية نفسه بالناصر لدين الله كان له علاقة مباشرة بظهور الفاطميين وكان له معاني الرد عليهم، لكن أهم من هذا كان للصراع مع الفاطميين على أرض المغرب آثاره البعيدة على هذه المنطقة وسكانها حضارياً وسياسياً واقتصادياً بحيث دفع إلى الأمام الجهود التي سببت ظهور شخصية دولة المغرب الأقصى المسلمة، وهي جهود بدأت مع أدريس الأول، ووضحت مع يوسف بن تاشفين ثم تجلت مع عبدالمؤمن بن علي فيما بعد...

وبصرف النظر عن كل هذا، فإن نجاحات عبدالرحمن وتوسعه الإمبراطوري، مع اتخاذه لقب الخلافة قد فرض عليه أوضاعاً جديدة، وقاده نحو الأبهة والأخذ بمظاهرها من بناء ورسوم، فالخليفة غير الأمير، صار عليه الإحتجاب والتعالي واتخاذ الحرس والسير بالمواكب الفخمة، وبنفس الوقت إيكال الأمور إلى رجال الإدارة وعدم مباشرة الأعمال بنفسه، وهنا ازدادت قوة الإدارة مع قوة الجيش المحترف، ذلك أن روح الجهاد كانت قد خبت منذ زمن، وحلّ محلّ المتطوعة جند من المرتزقة والعبيد، ومع ازدياد قوة الإدارة والجند تهيأت الفرصة لإضعاف قوة الخليفة، وانتقاص نفوذه، ثم حبسه في قصره والتحكم به، وحيث أن اتخاذ لقب الخلافة جاء متأخراً في الأندلس، وحيث أنه لم يقرن بدعاية دينية طويلة، مثلما حدث بالمشرق مع العباسيين، فإنه حينما مرت خلافة الأندلس بما مرت به خلافة بني العباس من التحكم والحجر على الخلفاء، نجد أنه سهل القضاء على الخلافة الأموية، وصعب إزالة الخلافة العباسية لأنها كانت قد نالت صفة القدسية والشرعية المرتبطة بالسماء.

قضى الناصر في الحكم نصف قرن من الزمن، وكان قبل موته سنة ٥٣٠/هـ قد قطف بعض ثمار جهوده، فقد عاشت الأندلس ذروة مجدها أيامه ثم أيام ابنه الحكم من بعده، التي كانت امتداداً لأيام الناصر ونتيجة مباشرة لما تحقق فيها. ◘

مدنية فلسطين

د. نقولا زيادة



حفريات تل الدوير. B.C. the Archaeology of the Bible Land.

كان حظ فلسطين من أعمال الحفر الأثري، من حيث بدؤه واتساعه، لا يقل عن حظ مصر وأرض الرافدين. وليس ذلك غريبا على بلد ارتبط اسمه بالدراسات التوراتية من زمن طويل. وكان من الطبيعي أن يتجه علماء الآثار إلى القدس التي بدأ الحفر فيها سنة ١٨٧٤، وقد استمر في فترات مختلفة حتى أواسط القرن الحالي. لكن التنقيب الأثري في مدينة مثل القدس لم يكن يسيراً، لذلك فإن أكثر ما حفر كان خارج أسوار المدينة الحالية، وهي التي بناها السلطان سليمان العثماني سنة ١٥٤٣. وكانت أريحا المكان الثاني الذي بدأ الحفر فيه، وكان ذلك سنة ١٨٧٣. ومع أن العمل توقف بعد ذلك، فقد عاد معول الأثري الى هناك، وكان أهم ما تم بين سنتي ١٩٥٢ و ١٩٥٨. وقد اتضح من البحث أن المكان كان مأهولا بالسكان

بدءاً من الألف الثامن ق.م. وكان من حسن حظ التنقيب الأثري في فلسطين أن انتقل للعمل هناك فلندرزبتري سنة ١٨٩٠ إذ بدأ الحفر في تل الحسي الواقعة بين غزة والخليل. وقد وضع هذا العلامة خبرته التي اكتسبها من أعماله الطويلة في مصر في سبيل وضع القواعد الأساسية لأعمال الحفر في فلسطين. وقد حفر فيما بعد في تل العجول جنوبي غزة بين سنتين ١٩٣٢ و ١٩٣٥. وقد اتيح لكاتب هذه السطور أن يقضي ثلاثة أيام مع فلندرزبتري في ذلك المكان للاطلاع على الأساليب الأثرية العلمية اطلاعاً مباشراً.

والأماكن التي تم فيها الحفر الأثري في فلسطين إلى منتصف القرن الحالي، والمرتبطة بدراسة المدنية القديمة، هي نحو أربعين موقعاً، كان بينها ثلاثة أماكن عُثر فيها على آثار بشرية متحجرة هي كهف القفزة جنوبي الناصرة ومغارة الزطّية قرب طبريا ومغارة السخول قرب حيفا. وفي مغارتي الزطية والسغول عَثَرَ المنقبون على آثار بشريّة تشبه الانسان النيندرتالي.

ونحن في هذه الأحاديث لا نؤرخ للمدنية في كل قطر، ولكننا نتناول فترة معينة لتوضيح أهم ما تم على أيدي ذلك الشعب القديم فيها. والفترة التي نتناولها في حديثنا عن فلسطين الآن هي التي تمتد من حول سنة ٣٠٠٠ ق.م. إلى نحو سنة ١٢٠٠ ق.م.

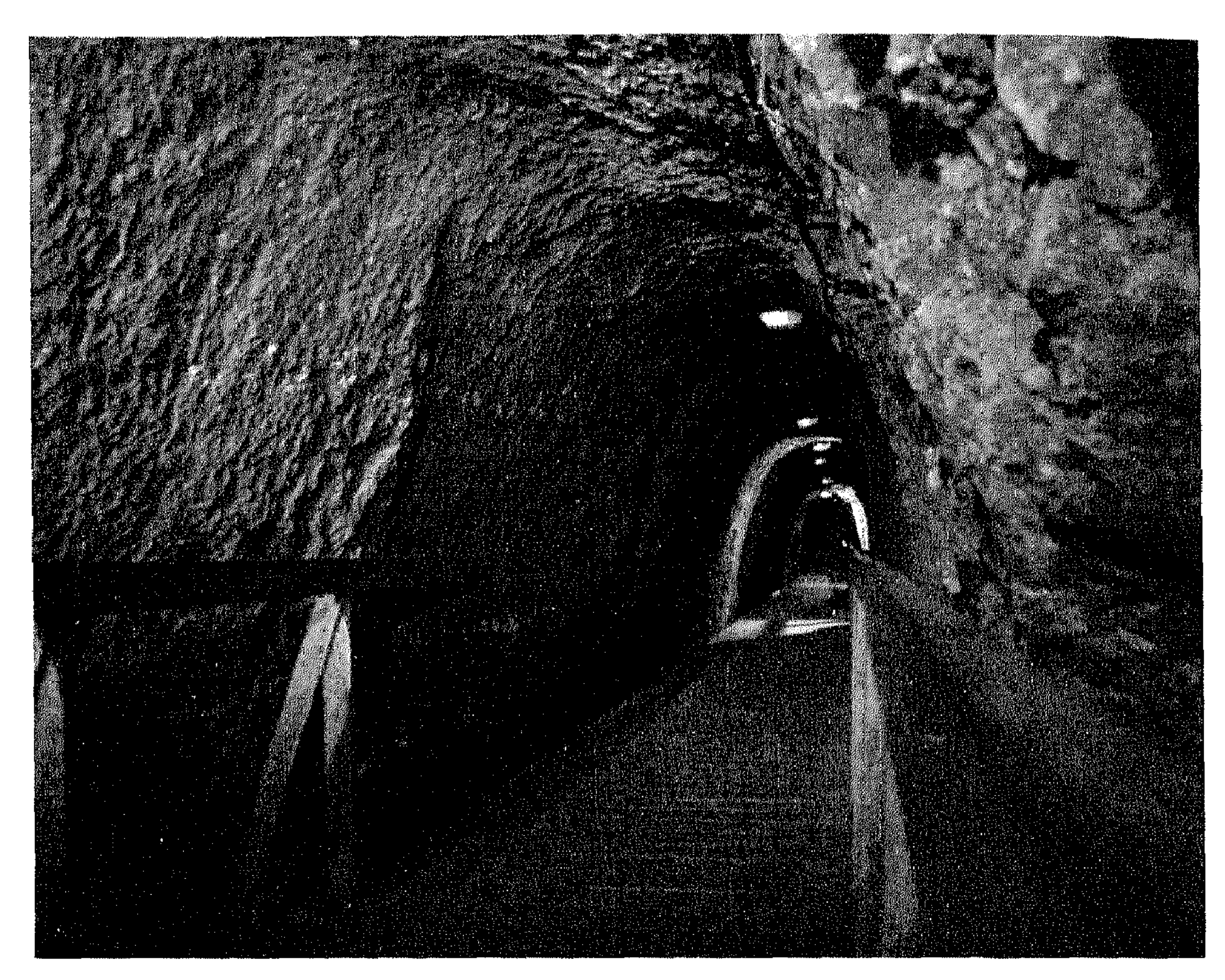
وحريّ بالذكر أن أرض الرافدين ومصر شهدت في هذه القرون تقدماً زراعياً وصناعياً كبيراً جعل من البلدين منطقتين مصدّرتين، كما أنهما احتاجتا الكثير من المواد الخام التي كانت توجد في ديار الشام. ومن هنا كان اهتمام حكام مصر بأن يكون لهم نفوذ في فلسطين لضمان طرق الاتصال مع الشمال. ومثل ذلك يقال عن اهتمام حكام بلاد الرافدين في السيطرة على مركز الطرق في سورية. والفريقان كانا شديدي العناية بمصدر الأخشاب الرئيسي، أي لبنان لحاجة سكان القطرين إلى خشب الأرز. ومعنى هذا أن فلسطين كانت تتأثر بما يصل إليها من حضارة ومدنية من الشرق والشمال والجنوب. فقامت في أوائل هذه الفترة، وهي الفترة التي كان الكنعانيون يسيطرون فيها على فلسطين، مدن تطورت عما كان من قبل قرى زراعية، على نحو ما تم في أرض الرافدين ومصر.

ورغبة منا في توضيح المدنية الكنعانية في فلسطين رأينا أن نقتصر الآن على المدينة الكنعانية.

بدأت السكنات الكنعانية في مطلع العصر البرونزي (حول ٣٠٠٠ ق.م.). وكان العامل الأساسي في اختيار مكان الاستيطان صلاحية ذلك المكان للدفاع ضد المهاجمين له. ومن هنا نجد أن التلال الناتئة في السهول أو المرتفعات المطرة على طريق ما والتي كانت قرى في أول الأمر أصبحت مدناً، واستمرت على ذلك حتى أواخر العصر الحديدي.

كان السكان يعتمدون على التحدرات الطبيعية للمكان المختار في سبيل اقامة وسائل للدفاع. لكن مع سير الزمن في الألف الثالث ق.م. نمت المدن وأخذ سكانها أنفسهم ببناء أسوار مكونة من حجارة غير مشذبة مختلفة الحجوم أو من آجر. وكانت الغاية من الأسوار أن تصد الغزوات المختلفة التي كانت المدن تتعرض لها خاصة من الشرق. ومثل هذا يظهر بوضوح في أريحا وعاي وتل الفارعة وبيسان - حيث تقع هذه عند مداخل الطرق الآتية من الشرق نحو فلسطين.

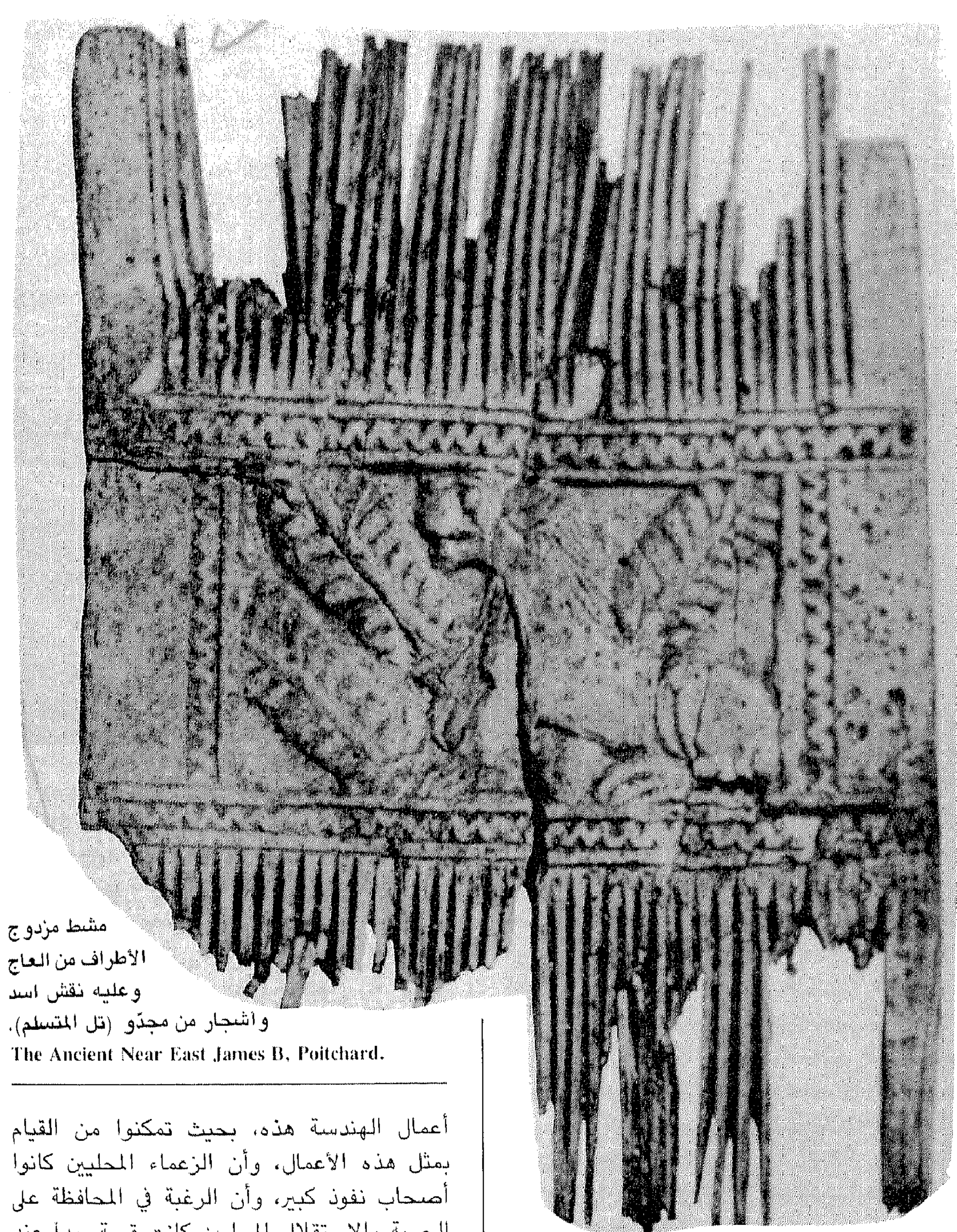
وكان ثمة عامل آخر هام يتعلق بالمدينة وهو الماء. وقد تؤمن حاجة المدينة من الماء من عين جارية مثل أريحا والقدس وتل الفارعة. وفي هذه الحالة كانت المياه تستعمل للري كما كانت تستعمل للشرب. إلا أن مصدر الماء كان معرضاً للخطر بسبب وجوده خارج السور. وإذن فقد كان من الضروري أن يوسع نطاق السور بحيث يضم العين، إذا كان المستوى مناسباً لذلك. أما فيما عدا ذلك، أي إذا كان مستوى المدينة أعلى من مستوى العين بحيث يؤثر ذلك على وضع الأسوار ويقلل من أهمية التحصينات، فإن السكان كانوا يحفرون نفقاً يوصل العين إلى داخل الأسوار مثل القدس. ففي هذه حفر النفق الذي أوصل مياه عين ام الدرج (شرقي المدينة) إلى داخل الأسوار. وعندها نُحت في الصخر درج منحدر الى نقطة حيث نقبت فتحة عامودية تصل الى الماء. أما العين فتسوّر وتخفى عن العيون. ومثل ذلك كانت الحال في جازر (أبو شوشة) في العصر البرونزي المتوسط.



مجدو (تل المتسلم) القنال المؤدي الى النبع الداخلي.

وفي مجدّو، بين حيفا وجنين، نجدّ الطريقة نفسها، ولكنها تعود إلى العصر الحديدي. فالنظام الذي اتبع كان يعتمد على نبع يقوم على المنحدر الجنوبي الغربي للتل. وقد حمل السكان الماء من هذا النبع عبر عصور التاريخ كلها. وقد كان السكان يقومون بتنظيف طريق الماء حتى وصلوا الى أول النبع الموجود في كهف صخري. على ان مصدر الماء ظل خارج السور، ومعنى هذا أنه لم تكن له قيمة البتة في حالة ضرب الحصار على المدينة. أما حول السنة ١٢٠٠ ق.م. فإننا نجد أن الوصول الى الماء من داخل الأسوار أصبح ممكنا. ويبدو أن الخطوات التي اتخذت حتى تمّ للسكان ذلك كانت على الاسلوب التالي.١ - كان السكان يصلون عن طريق ممر طويل منحدر تدريجاً مبني بالحجارة. ٢ - كانت الخطوة التالية أكثر طموحاً. فقد حفرت حفرة عامودية عمقها ٣٥ متراً من سطح الأرض في المدينة. وكان القسم الأعلى منها مبنياً، لكن الجزء الأسفل حفر في الصخر. عند نهاية هذه الحفرة نُقرَ نفق يصلها بالنبع طوله ٦٣ متراً. وعندها ختم على النبع بالنسبة الى الخارج ببناء متين. أما الحفرة العامودية فاحيطت على جوانبها بدرج من فوق إلى أسفل. وعندها أصبح نساء مجدو يستطعن الانحدار على هذا المدرج ثم السير في النفق الى النبع، فيحملن الماء إلى البيوت، دون أن يكن معرضات للخطر أو دون أن يتمكن العدو من قطع الماء عن المدينة.

أما حيث لم يتوفر نبع أو عين تفي بالحاجة فقد كان المألوف أن تحفر بئر عميقة بحيث تصل الى مستوى المياه. والبئر بطبيعة الحال كانت تحفر داخل أسوار البلدة أو المدينة. والأمثلة على هذا كثيرة: تل بيت مرسيم وتل الصافي وبيت شمش. أما في جازر فبدل أن تحفر بئر فقط، حفر نفق ونقر فيه درج أوصل الناس الى الماء رأساً. ومثل



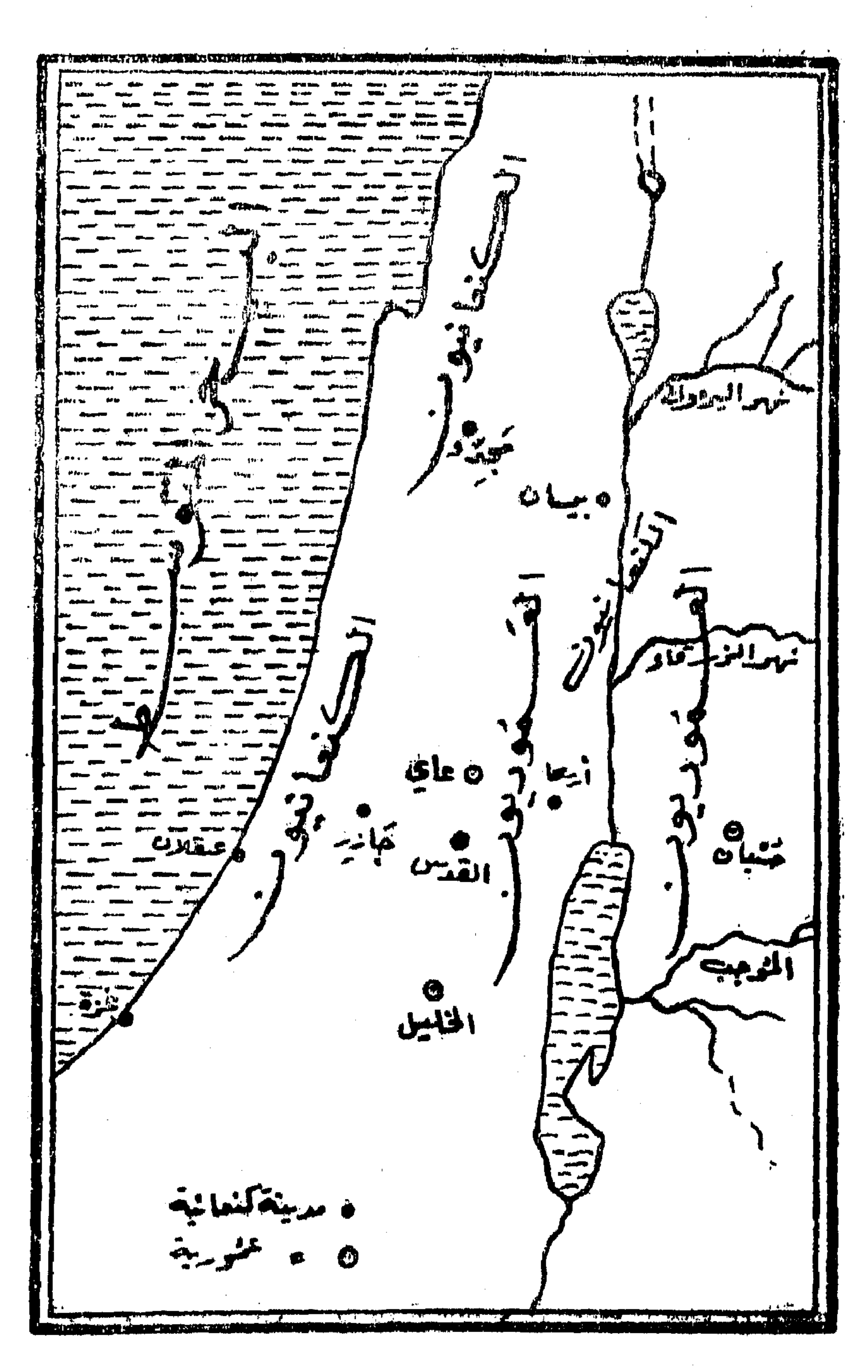
مشط مزدوج
الأطراف من العاج
وعليه نقش اسد
واشجار من مجدّو (تل المتسلم).
The Ancient Near East James B, Poitchard.

ذلك صنع في جبعون. وفي لخيش كان من الضروري أن يحفر البئر خارج المدينة، إذ لم يهتد إلى ماء داخلها. وقد كان عمق البئر نحو ٣٧ متراً.

والذي يمكن أن يستنتج من دراسة هذه الوسائل هو أن الكنعانيين كانوا ماهرين في أعمال الهندسة هذه، بحيث تمكنوا من القيام بمثل هذه الأعمال، وأن الزعماء المحليين كانوا أصحاب نفوذ كبير، وأن الرغبة في المحافظة على الحرية والاستقلال المحليين كانت قوية جداً عند امراء هذه الممالك — المدن.

في اوائل الألف الثاني ق.م. كان السكان قد أخذوا يبنون بيوتاً مستطيلة الشكل ويستخدمون الطين أو الآجر في البناء. ويربطون بين الآجرات بالمونة. أما الأساس فكان دوماً أما الصخر

أو قاعدة مبنية من الحجر. كانت البيوت صغيرة على العموم، إذ أن ذلك كان متوقفاً على طول الجوائز الخشبية التي أمكن الحصول عليها لتستعمل ركائز للسقف. والسقف كان من الأخشاب أو من التراب. وكانت البيوت تُقْصر بالطين من الخارج، كما أن السطح كان يدحل بمدحلة صغيرة لتتماسك أجزاؤه فتمنع الماء من التسرب خلاله في أيام المطر. ولما أمكن الحصول على المزيد من جوائز الخشب وضعت هذه في الجدران لتقويتها.



ونلاحظ أنه في عصر الهكسوس أخذت تظهر في هذه المدن بيوت أوسع قليلاً، لعلها كانت بيوت السادة. وكانت هذه البيوت تحيط غرفها بصحن، ويدور بها سور لمنع المارة من النظر الى الداخل. وكان يقوم في الصحن بئر لجمع مياه الأمطار من أسطحة الغرف المختلفة. وكانت هذه البيوت تحوي مخازن للحبوب وخوابي للزيت والخمر وغيرها ومعصرة وفرناً. بل وقد يكون فيه قسم خاص بالأسرة بالمقارنة مع القسم الذي يستقبل فيه الزوار وأصحاب المصالح. وقد أظهرت أعمال الحفر والتنقيب عن مثل من أمثلة هذه البيوت الكبيرة في عاي القريبة من رام الله (من الألف الثالث ق.م.). وكثيراً ما كانت هذه البيوت تتألف من طابقين، وقد يستعمل الطابق الثاني للاستقبال في علية خاصة. وقد ورد أن عجلون ملك مؤاب كان يجلس على سريره في غرفة صيفية له وحده وفيها يستقبل زواره.

ولسنا بحاجة الى القول بأن البيوت اقيمت في أكثر هذه المدن كما اتفق، وأن شوارعها وأزقتها وممراتها كانت متعرجة ضيقة. وكانت المدن، بسبب ضيق مساحاتها، مزدحمة بالسكان. ومع ذلك فقد يجتمع أصحاب الصناعة الرئيسية في المدينة في ناحية واحدة منها كي لا يتسببوا في ازعاج السكان عامة. فقد كان المشتغلون بالأدوات المعدنية في مدينة بيت شمس يقيمون في الحي الشمال الشرقي من المدينة. وكان للتجار الغرباء أماكن خاصة بنزولهم في المدن الكنعانية.

ولم تكن لهذه المدن ساحات عامة. بل أن الأعمال واللقاء والبيع والشراء كانت تتم حول الباب الرئيسي للمدينة، أما خارجه أو داخله، على نحو ما نعرف عن تل الفارعة (من القرن التاسع عشر ق.م.).

تتحدث رسائل تل العمارنة عن الملوك في بلاد الشام، فما هو نوع السكن الذي كانوا يقيمون فيه؟ هل كانت لهم قصور؟

اذا تذكرنا أن اللقب الذي استعملوه كان عاديا وأن المملكة قلما كان يتجاوز قطرها ٣٥ كيلو متراً، كان من الطبيعي أن لا ننتظر قصوراً بالمفهوم المرتبط بالملكية. فان أي بيت ذي طابقين عثر عليه في كل من أريحا وبيت ايل وتل بيت مرسيم وتل العجول وبيسان وحازور يمكن وصفه بأنه «قصر». وهذه بيوت من العصر البرونزي المتوسط. وقد عثر في مجدو على بناية (ترجع الى القرن الخامس عشر ق.م.) اقيمت حول بضعة صحون وتشغل نحو ١٢٠٠ من الأمتار المربعة. هي ولا شك «قصر» بالنسبة لا الى مساحتها واتساعها فحسب، ولكن بالنسبة الى ما عثر عليه فيها من الذهب والعاج واللازورد مطموراً تحت ارض احدى غرفها. الا أنه حري بالذكر أن مجدو كانت على طريق تجاري وحربي هام، وقد أفادت من موقعها بشكل غريب. وقد يقوم في القصر معبد أو أكثر على نحو ما نعرف من مدينة قطنا التي كان في قصر ملكها معبد للاله ننغال وهو الاله القمر.

ومما حفلت به المدينة الكنعانية هو «المكان القدس»، وهو أصلاً المكان الذي كانت القبيلة تدفن فيه موتاها وتحتفظ بذكراهم. هذه هي الأماكن المقدسة أو «الأماكن المرتفعة» التي ترد أخبارها في تاريخ الكنعانيين. ففي «المكان المرتفع» في جازر مثلاً تقوم ثمانية أحجار ضخمة تمتد نحو ٢٧ متراً على شكل هلال، ولعل الآلهة أشيرة كانت تعبد هناك.

على أن الجماعات التي استقرت وانشأت المدن أخذت، على توالي الأيام، تبني الهياكل المخصصة للعبادة، والتي كان معناها أن الاله موجود هناك، وذاك هو بيته. والهيكل كان فيه مذبح لتقديم الضحايا التي تنوعت بحيث كانت حيوانات صغيرة أو ثمار الأرض.

ويرى اولبرايت أن وجود بيوت قليلة ذات صحون متسعة وغرف متعددة في المدينة الكنعانية الى جانب البيوت الصغيرة الضيقة ذات الغرفة الواحدة تدل دلالة واضحة على أن المجتمع الكنعاني كان مجتمعا اقطاعيا. وقد يكون توزع أدوات الترف والزينة في المقابر والبيوت دليلاً آخر على هذا النوع من المجتمع. ويمكن اضافة اشارات اخرى متفرقة من رسائل تل العمارنة ومحفوظات أللخ (أطشانا) واوغاريب. وفضلاً عن ذلك فان الأساطير المختلفة التي وصلت الينا من الألفين الثالث والثاني ق.م. تدل على الأمر نفسه. ■



الحركة الصهيونية في عصر نجيب عازوري

د. زاهية قدورة (الحلقة الثالثة)

بعد أن استعرضت الدكتورة زاهية قدورة أحوال الدولة العثمانية في أواخر أيامها وظهور فكرة القومية العربية ثم درست مساهمة نجيب عازوري في نشرها وتمكينها، أرادت أن تدرس أيضاً دوره في مواجهة الفكرة الصهيونية، وقبل هذه الخطوة رأت أن تمهد باطلاعنا على نشوء وتطور الفكرة الصهيونية ليتضّح دور عازوري موضوعياً عبر زمانه ومكانه.



مرت الحركة الصهيونية بمرحلتين، مرحلة ما قبل ١٨٩٧، وهي مرحلة الصراع اليهودي مع نفسه ومجتمعه، ومرحلة ما بعد ١٨٩٧، وهي المرحلة التنظيمية، للحركة حيث اتخذت المسار العملي لتحقيق الهدف.

وتبدأ المرحلة الأولى من حياة اليهودي منذ سقوط اورشليم، وقضاء تيتوس على مملكة يهوذا حيث تنصرت جماعات منهم وأرسل الأقوياء إلى مصر ليعملوا في مناجمها وهرب ما تبقى من الأسر إلى بلاد ما بين النهرين أو الجزيرة العربية ومصر وبرقة[1]. ولم يبق في فلسطين من اليهود سوى عدد قليل لا يتجاوز العشرة.

ومنذ ذلك الحين عاش اليهودي في مجتمع «يعتبر اليهودية» العدو الأول للمسيحية عقائدياً وسياسياً. فصدرت قوانين قسطنطين عام ٣٠٦ – ٣٣٧م، تشدد على اليهود، كما صدرت قوانين أخرى فيما بعد عام ٤٣٩م تحرمهم من المناصب والوظائف وحق المواطنية، وهكذا عاش

اليهودي في ظل الدولة الرومانية والبيزنطية حياة اضطهاد وذلّ وتعذيب في مجملها، ما عدا فترات قصيرة أصدرت الكنيسة فيها قرارات تستنكر استخدام القوة ضدهم، بهدف تنصيرهم. وأشهر وثيقة كانت خطاب الأمان للويس الأول (٨١٤ – ٨٤٠) حيث وضع اليهود تحت حمايته.

وقد اضطهد اليهود خلال الحروب الصليبية، فكان كلما مني الصليبيون بالفشل في حروبهم مع المسلمين كانوا ينقضون على اليهود حيث اضطروهم إلى الهجرة من فلسطين فلم يبق منهم سوى عدد قليل لا يتجاوز العشرة.

وكان لعظات الراهب «رودولف» Radulf (١١٤٦ – ١١٤٧م) أثرها البالغ عند المسيحيين «فألبت الشعوب المسيحية على اليهود»[٢].

وفي عام ١٢٩٠ أصدر الملك ادوارد الأول مرسوماً ملكياً يقضي بطرد اليهود من بريطانيا، كما طُردوا أيضاً من فرنسا زمن الملك فيليب لوبل عام ١٣٠٦، (Philipe Le Belle) فاتجه قسم منهم إلى اسبانيا كما توجه بعضهم الآخر إلى مناطق أوروبية أخرى، وإلى بعض البلاد العربية نظراً لما كان يلاقيه هؤلاء المهاجرون من راحة في المعاملة، حتى أن صلاح الدين الأيوبي بعد أن استرجع فلسطين من الصليبيين سمح لليهود بالعودة إليها، فرجعوا ورجع معهم يهود من فرنسا واسبانيا وبريطانيا وألمانيا، فلمس هؤلاء المهاجرون الفرق الشاسع بين معاملة الأوروبيين لهم وبين معاملة العرب سواء أكان ذلك في اسبانيا او في البلاد العربية. ويقول بن غوريون (Ben Gurion) إنهم (أي اليهود) لم يلاقوا مضايقات من العرب، وكانت حوافزهم الرئيسية للهجرة حينذاك اضطهادهم في المنفى[٣].

واستمر اضطهاد اليهود في أوروبا عامة إلى ما قبل القرن التاسع عشر بقليل وظلت المجتمعات المسيحية تضطهدهم لأسباب كثيرة: منها اتهامهم في عامي ١٣٤٨ و١٣٤٩ بأنهم سمّوا الآبار فانتشر الموت الأسود في اوروبا، فازدادت حملة القتل من قبل المسيحيين، بالرغم من محاولة البابا «كلمنس السادس» التخفيف من هذه الحملة والدفاع عنهم، كما طردوا من إقليمي الرين وبافاريا بمرسوم ملكي عام ١٤٠١ وفرض عليهم مجدداً ضرورة ارتداء ملابسهم الخاصة التي كان أن ابتدعها عام ١٢١٠ البابا انيوسنس الثالث، (Innozenz III). وظلت معاملة اليهود عرضة للطرد والاضطهاد والتشريد والقتل والحرق، نساء ورجالاً وظلت بين كرّ وفرّ سواء أكان ذلك في المجتمعات الكاثوليكية او البروتستانتية في أوروبا إلى أن تبدلت الحال في القرن التاسع عشر. بينما كان اليهودي خلال هذه الفترة في الجزيرة العربية وفي ظل الحكم العربي ينعم بمعاملة جيدة ويتمتع بالحقوق الاجتماعية التي كان يتمتع بها العربي، ويحقق انسانيته في المجتمع العربي المجتمع الوحيد الذي ساوى بين أتباعه في انسانية الانسان، فغدا سيد عشيرة ورئيس قبيلة بعدما كان مطروداً منبوذاً في غيره من المجتمعات، فعاش اليهودي في الجزيرة العربية في ظل الاسلام عيشة كريمة رغم ما أبداه اليهود من محاربة للاسلام ونبيه سراً وعلانية فتمتعوا بتسامح الاسلام والمسلمين، ثم امتزجوا في المجتمع العربي وأخذوا عن الاسلام والمسلمين كثيراً من العلوم كالصيدلة والطب والفلك والرياضيات وعلم الكلام الذي أخذوه عن المعتزلة وكان له أثره في المجتمع الاسرائيلي[٤]. ولم تظهر المشكلة اليهودية في المجتمع العربي إلا بعد ان تسيست الجماعات اليهودية وسيست عقيدتها، وأصبحت عميلة للاستعمار وسياسته بغية الوصول إلى أهدافها.

ظلت حالة اليهود بخير في المجتمع العربي، واستمرت كذلك إلى القرن السادس عشر عندما دخلت البلاد العربية حظيرة الامبراطورية العثمانية ١٥١٦ – ١٥١٧، وتمشياً مع تعاليم الاسلام السمحاء أحسن العثمانيون معاملة اهل الذمة ومنهم اليهود، وفتحوا أمامهم مجالات العمل في الوظائف الحكومية وفي المهن الحرة، كما منحتهم الدولة العثمانية حرية امتلاك الأراضي الزراعية والسكنية والتجارية والصناعية، وسمحت لهم بتشييد المعابد، كما سمحت لهم بناء على رغبتهم استيطان أحياء خاصة بهم، إلى جانب السماح لهم بالاختلاط والعمل مع يهود البلقان التي كانت ضمن الامبراطورية العثمانية، حيث أصبح لهم تجمعات في البلقان استطاعوا منها الزحف والتسلل إلى قلب اوروبا، ثم جاء

الدستور العثماني في ٢٣كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٦ فـأكد مـرة أخرى مبدأ المسـاواة في الحقوق، وهو المبدأ الذي كان مرعياً فيما سبق، ونص ذلك الدستور على قيام حكومة ومجلس نيابي منتخب، وتمثيل نسبي لجميع القوميات(٥).

هذا في ظل الحكم العثمـاني، بينما عـاش اليهود في الغرب في ظـل دولة اوروبيـة تعتبر المسيحية دينها الرسمي، وفي ظل حكم عزلهم عن الحياة العامـة بحكم القانـون إلى حد كبـير، ولم يندمج اليهود في الدول الأوروبية التي عاشوا فيها، كما ان هذه الدول لم تمتصهم بل كانت تلفظهم من حين إلى آخر، واعتبـرتهم حركـة سياسية نتيجة لأسباب كثيرة، وللقرون الطويلة التي عاشها اليهودي غريباً(٦)، معزولاً في «أحياء مـغلقـة» «Ghetto System» فحـرص عـلى الاحتفاظ بلغته وتقاليده، وعدم الذوبان في المحيط الذي يعيش فيه مما ولد عنده نزعة الخوف، والشعور بالحقد ضد شتى الشعوب، وتأصلت فيه النزعة العنصرية الشديدة، وهذا النمط من الحياة وهذه العصبية الدينية والعنصرية التي تميـز بهـا اليهـودي، والعـزلـة الاجتمـاعيـة والاستغلال والسيطرة الاقتصادية، ولدت موجة من الشعور المعادي للسامية، وأصبحت هـذه الموجة تعرف بحركة (اللاسامية) في أوروبا، ولعل من اسباب اضطهادهم في اوروبا تعاملهم بالربا واستغلالهم الناس بشكل لا يتصوره العقل، إذ زادت الفائدة التيفرضوها على ٦٠٠٪(٦).

كان اليهود أسعد حالاً في القارة الأميركية منهم في أوروبا إذ بينما حرم المجتمع الأوروبي اليهودي من حق المواطنية الكاملـة، من خلال قوانين عزلته إلى حد كبير عن المجتمع الذي يعيش فيه، كحرمانه من الوظائف العامة أو تملك الأراضي وغير ذلك، فقد ضمن الدستور الأميركي المساواة، وكان ذلك للمرة الأولى في مجتمع غربي منذ سقوط الامبراطورية الرومانية، كما سمح له بالحرية التامة فيما يتعلق بمؤسساته الدينية من خلال إضافات الدستور الأميركي عام ١٧٨٩، وكان هذا مما حمل يهود شرق اوروبا على اللجوء الى الولايات المتحدة الأميركية.

وقد ساعدت الثورة الفرنسية عـام ١٧٨٩ وظهور عصر النهضة ونشوء فكرة القـوميات،

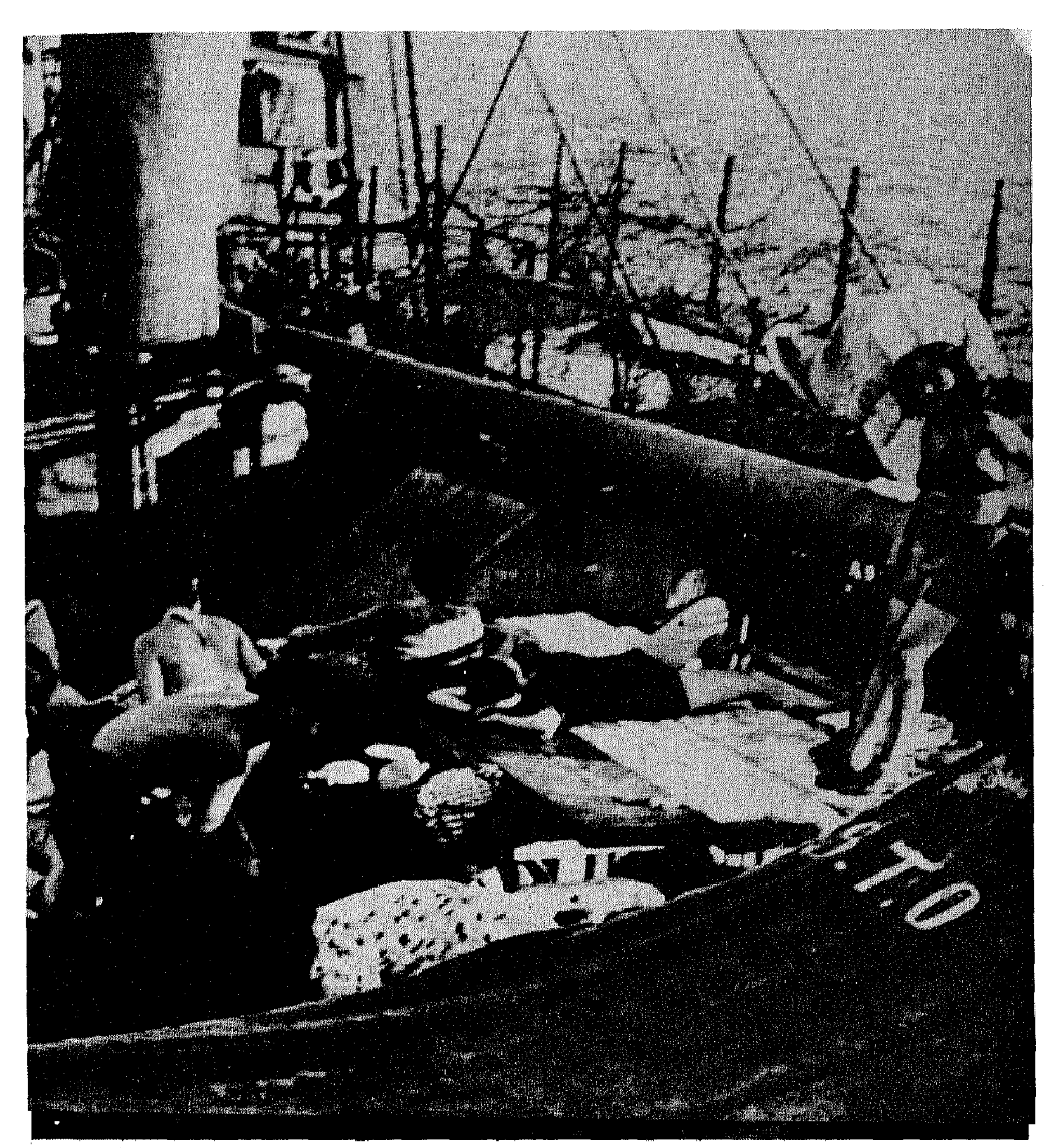


هرتزل

والأفكار التي نادت بالحرية والمساواة وضمان حقوق الإنسان باشاعة الوعي بين المواطنين في أوروبا، وأدخلت تحولاً على المجتمع اليهودي، وحررته إلى حـد كبير من عـزلته «Ghetto»، وكذلك أدخلت تحولاً على المجتمعات الغربية في النظرة إلى اليهودي الذي أصبح يعتبر مواطناً يتمتع بالحقوق نفسها كغيره من المواطنين بصرف النظر عن معتقداته الدينية.

أما في روسيا فقد ظلت حركة «اللاسامية» قائمة، وأخذ اليهود يهربون منها إلى الغرب، بعد أن أصبح اليهودي في غرب أوروبا يتمتع بحقوق المواطنية، ويعيش حياة اندماج، في حين أنه كان في شرق أوروبا يعيش حياة عزلة(٧) عن محيطه غير اليهودي، ففرض العزلة على نفسه طواعية.

قويت فكرة الاندماج لدى المفكرين اليهود، لكن فكرة عدم الاندماج كانت أقوى لأنها اعتبرت الـرد على «الـلاسـاميـة» «Anti Semitism»، فحاولت فئة من اليهود الخروج من العزلة التي فرضوها على أنفسهم، والاندماج في المحيط الذي



المهاجرون اليهود في طريقهم إلى فلسطين

يعيشون فيه، متخذين لذلك شتى الوسائل، فبعضهم تنصر في أوروبا كرئيس وزراء انكلترا دزرائيلي، أو تصاهر مع أسر مسيحية، وبعضهم الآخر أسلم إبان الدولة العثمانية، متسترين تحت شعار «الغاية تبرر الواسطة» وكانت ممارساتهم تنفيذاً لتعليمات تأتيهم من رجال الدين اليهودي، من ذلك مثلاً التعليمات التي أطلقها الحاخام «رايكون» «Raichon» عام ١٨٦٩ في خطاب ألقاه في براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا بمناسبة تأبينية، حث فيها يهود العالم على السيطرة على القوة المالية والاعلامية، والتستر بشعارات العدالة والمساواة، إلى أن تسمح الظروف بالقيام بانقلابات «تهدم الطبقات والأسر غير اليهودية، وعند ذلك يكون وعد «يهوا» للشعب اليهودي قد تحقق»[٨].

وقد ظهرت في القرن التاسع عشر أفكار كثيرة، منها فكرة التوفيق بين الدين اليهودي وروح العصر، أي على اليهودي أن يتكيف مع المحيط



ما ان وصل اليهود حتى تسّلحوا وقاتلوا..

الذي يعيش فيه، ليستطيع أن يرد الإضطهاد عن نفسه، وهي فكرة مندلسولن ١٧٢٩ – ١٧٨٦ (Mendelssohn) التي تعارض التيار المتزمت الذي يعتبر اليهودية عقيدة دينية وظاهرة لغوية وعنصرية في آن معاً. وكان من الذين عارضوا رأي مندلسولن موسى هس (Moses Hess) ١٨١٢ – ١٨٧٥ الذي كان سياسياً اشتراكياً، لعب دوراً في ثورات ١٨٤٨ في أوروبا، والذي يعتبر من رواد الحركة الصهيونية في القرن التاسع عشر، فهاجم اندماج اليهود في المجتمعات الأوروبية، وذوبان الشخصية اليهودية، لأن ذلك لا يشكل حلاً عملياً للمشكلة اليهودية[٩]، وإن كان لليهود دور في خلق مجتمع انساني مثالي، فإن ذلك لا يتحقق إلا بحرية اليهودي وحريته هذه لا تتحقق إلا في فلسطين، وهنا تبرز فكرة «القومية اليهودية» فكرة تحرير عن الطريق القومي، لأن زعيم هذه الفكرة كان متأثراً بنجاح فكرة القومية الايطالية التي كانت المنطلق لتوحيد إيطاليا، وقد ألف «هس» كتابه «روما والقدس» عام ١٨٦٢[١٠] معبراً عن أفكاره هذه. وقد طرح هذه الفكرة في وقت معاصر لهس رجال دين يهود إنما من منطلق ديني متعصب لليهودية أبرزهم الحاخام (Zrihirseh Kaliseher) ١٧٩٦ – ١٨٧٤ الذي رأى أن المشكلة اليهودية لا تحل بأنتظار قدوم «المخلص» فحسب، بل بالجهد البشري اليهودي والسعي لتحقيق ذلك، وقد عبر عن نظريته تلك بكتابة «السعي الصهيوني» الذي نشر عام ١٨٦٢ وفيه يصر أنه عن طريق هذا الجهد والسعي يأتي خلاص اليهود في بناء مجتمع يعتمد على ارتباط اليهودي بأرض يملكها ويزرعها وتكون بمثابة وطن‌قومي‌له «ولا يتم ذلك إلا في فلسطين»[١١]. وقد قام كليشر بجهود عملية مستعيناً بأثرياء اليهود في العالم فأسس «جمعية استعمار أرض اسرائيل» عام ١٨٦٤، وعمل على تشجيع هجرة يهود شرقي أوروبا وألمانيا إلى فلسطين، وعلى إقامة مدارس زراعية تكون ميدان تدريب وعمل للمهاجرين الجدد، وتكوين حرس يهودي لحماية المستوطنات اليهودية، فأثمرت جهوده بسرعة عبر «جمعية استعمار اسرائيل» التي تعاونت مع «الأليانس الاسرائيلي العالمي» ومع البارون

ادموند روتشلد في إنشاء أول مدرسة زراعية يهودية في فلسطين عام١٨٧٠ عند مدخل مدينة يافا عرفت باسم «مدرسة نيتر» Charles Netter.

كان للأليانس الاسرائيلي العالمي الذي تأسس في فرنسا عام١٨٦٠ والذي تأسس في بريطانيا عام١٨٧٠، وفي ألمانيا عام١٨٧٣ أثر ملحوظ في تشجيع وتدعيم الهجرة والاستيطان في فلسطين، كما أسهم في تدعيم تلك الهجرة الصهيونية مؤسسات يهودية أخرى، كالمحافل اليهودية الماسونية التي دخل فيها أكثرية مسيحية برجوازية، وقلة من وجهاء المسلمين لأن مسلمي بيروت لم يتجاوبوا كثيراً مع هذه الاتجاهات. فأصبحت الماسونية فيما بعد وكراً للقضاء على الدولة العثمانية، لأن الماسونية ابنة الصهيونية سعت إلى السيطرة على الطبقات العليا في المجتمع، عن طريق خلخلة الايمان في الإنسان بقصد تجريده من مبادئه وعقائده ليصبح دون هوية«كوزموبوليتية» أي عالمياً. فينسلخ عن مبادئه وقيمه ويسهل انقياده وهكذا تسللت الماسونية إلى المجتمعات، وفعلت المحافل الماسونية فعلها مع اليهود في إثارة السخط والمعارضة ضد السلطان عبد الحميد وعندما تنبهت الدولة العثمانية إلى خطر الماسونية حظرت الجمعيات السرية عام١٧٤٨، وتسرب الشك في نوايا المحافل الماسونية ونشاطاتها إلى المراجع السياسية. ويؤكد هذا الشك فيما صدر عن مؤتمر بازل ١٨٩٧ من اعتماد الصهيونية على الماسونية فجاء ما نصه.. «وإلى أن يأتي الوقت الذي تصل فيه الماسونية إلى السلطة سنحاول وننشىء ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم، وسنجذب إليها كل من يصير أو من يكون معروفاً بأنه ذو روح عامة، وهذه الخلايا ستكون الأماكن الرئيسية التي سنحصل منها على ما نريد»(١٢).

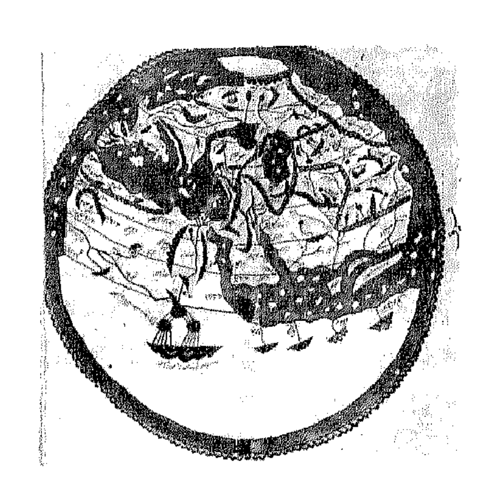
وكان من اليهود الذين سعوا للهجرة إلى فلسطين، يهود ألمانيا، وقد تزعم هذه الحركة عام١٨٦٠ «هوفمان Hoffman» وهو يهودي من بلدة روتنبرغ بألمانيا، فاتخذ المظهر الديني لتحقيق دعوته فأنشأ جمعية سماها «أتامبل» أي «جمعية محبي القدس الشريف»، ثم ذهب مع زميل آخر له عام١٨٦٨ وأستأذنا السلطان عبدالعزيز بالترخيص بتأسيس مستعمرة يهودية ألمانية في فلسطين يقطنها المهاجرون اليهود، فسمح لهم السكان. ومنذ عام ١٨٦٩ بدأت أعداد كبيرة، من مهاجري «روتنبرغ» تصل إلى فلسطين، وتستقر في حيفا، ثم أسست هذه الأعداد قرية «أصارونه» على مقربة من يافا.

وكانت أوضاع اليهود بعامة قد تحسنت بعدما أن اعترف بسمارك بتحريرهم عام ١٨٧١(١٣)، كما كانت المسألة بحاجة إلى حل، وإلى تقرير موقف من ناحية اليهود واليهودية في أرض الشتات، وإلى استيعاب اليهود في المجتمعات غير اليهودية التي ولدوا فيها(١٤). ◘

هوامش

(١) الدكتور فؤاد حسنين علي - المجتمع الاسرائيلي، ص٦.
(٢) المرجع نفسه، ص١٦.
(٣) The Jews in their land, P.215-217.
(٤) د. فؤاد حسنين علي، المرجع السابق، ص٢٠.
(٥) هنري كتن: فلسطين في ضوء الحق والعدل، ص٧.
(٦) Thauraud, L'erome et Jean; L'Histoire des Jwefs, P.29-39.
(٧) اسحق دوتيشر: دراسات في المسجلة اليهودية، ص٥٧.
(٨) ضياء أولاغور: جذور الصهيونية - ترجمة ابراهيم الداقوقي ص١٢٢- ١٢٥.
(٩) أسعد عبد الرحمن، «المشكلة الصهيونية العالمية»، ص١٧.
(١٠) Jewes Pardhes, P.183.
(١١) N. Maudel: Jurhs, Arabs and Jewish Immigration into Palestine, P.79.
(١٢) محمد خليفة التونسي: الخطر اليهودي: بروتوكولات حكماء صهيون، البروتوكول الخامس عشر، ص١٧٣، ١٧٤.
(١٣) آلن تايلر: تاريخ الحركة الصهيونية ص١٢. ترجمة بسام أبو غزالة ص١٢.
(١٤) المرجع نفسه، ص١٢.

الجغرافيا عند العرب





يزخر القرنان الرابع والخامس للهجرة (العاشر والحادي عشر للميلاد) بكثير من المؤلفات الجغرافية وكتب الرحلات وبعض الأعمال الفلكية التي تتصل بالجغرافية من جانبها الرياضي. في هذين القرنين بلغت العناية بالجغرافيا والأقاليم درجة عالية. وقد نبغ فيهما عدد من الجغرافيين يمكن اعتبارهم أعلاماً في بحوثهم ودراساتهم. ومن حسن الحظ أن الكثير من آثارهم قد وصل إلينا. ومن تلك الأسماء اللامعة: المسعودي - الأصطخري - المقدسي - ابن حوقل - البلخي - البيروني - البكري.

ولا نستطيع بطبيعة الحال إعطاء معلومات عن هؤلاء جميعاً ودفعة واحدة، بل سنحاول التركيز على واحد منهم، وهو المسعودي بصفة خاصة، بالإضافة إلى أهم ما قدمه ابن حوقل من خرائط.

فالمسعودي رحالة وجغرافي ومؤرخ. رأى النور ببغداد في أواخر القرن الثالث للهجرة. وهو من أولئك الذين أحاطوا بالمعرفة إحاطة وافية وتمثلها تمثيلاً صحيحاً. كما أنه يتمتع بمخيلة واسعة تتسع في دفعة واحدة لموضوعات متعدّدة. أحب السفر منذ الطفولة. فزار عام ٣٠٠هـ (٩١٢م) ملتان والمنصورة وهما مدينتان في باكستان الآن، وبعدها بثلاث سنوات حملته رحلة إلى بلاد فارس. ثم زار سرانديب (سيلان) وسواحل بحر الخزر (قزوين) ثم سافر في بحر الملايو وزار مدغشقر وفلسطين ورجع إلى البصرة ثم جاء إلى مصر حتى استقر بالفسطاط وفيها توفي سنة ٩٥٦م. من مؤلفاته الشهيرة: مروج الذهب، التنبيه. وإليكم أولاً بعض مقتطفات مما جاء في كتابه: مروج الذهب.

١ - ذكر المبدأ وشأن الخليقة:

إتفق أهل العلم جميعاً من أهل الاسلام أن الله عز وجل خلق الأشياء على غير مثال، وابتدعها من غير أصل، وإن أول ما خلق الله الماء، وكان عرشه عليه، فلما أراد أن يخرج الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع الدخان فوق الماء فسمّاه السماء. ثم أيبس الماء فجعله أرضاً واحدة. ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومي الأحد والاثنين. وخلق الأرض على حوت، والحوت في الماء والماء على الصفا والصفا على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة على الريح. فاضطرب الحوت فتزلزلت الأرض، فأرسى الله عليها الجبال فقرت الأرض وخلق أقوات أهلها وسخّرها في يومي الثلاثاء والأربعاء. ثم فتق السماء فجعلها سبعاً في يومي الخميس والجمعة (وقد سمى الله الجمعة لأنه جمع فيها السموات والأرض).

أما ما وجد في التوراة فهو أن الله تعالى إبتدأ الخلق في يوم الاثنين وكان انتهاء الفراغ يوم

وجيه عضاضة: مدرس الاجتماعيات في المدارس التابعة لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية.

السبت، فاتخذ اليهود هذا اليوم عيداً. ثم شاء الله أن يخلق آدم (وقد سمى الله آدم لأنه خرج من أديم الأرض) وقد نفخ فيه الروح وكان ذلك في اليوم السادس من نيسان فخُلِقَت حواء منه وأسكنا الجنَّة لثلاث ساعات. فهبط آدم بالهند على جبل الراهون وحواء بجدَّة. إن آدم لما هبط من الجنة هو وحواء هبطا متفارقين فتعارفا بالموضع الذي يُسمى «عرفة» ولتعارفهما فيه سُمي بهذه التسمية. وإن آدم عليه السلام تاق إلى حواء فغشيها فاشتملت على ذكر سُمي قاين وأنثى سُميت لويذاء. ثم عاود الغشيان فاشتملت حواء أيضاً على ذكر سُمي هابيل وأنثى سُميت إقليمياء. وذكر أهل الكتاب أن آدم زوَّج أخت هابيل لقاين وأخت قاين لهابيل. أما حواء فقد وضعت نسمة سمَّاه آدم شيث. وأعلمه أنه خليفته في الأرض، وأنه ثاني انتقال الذُرَّة الطاهرة والجرثومة الزاهرة.

وتوفي آدم عليه السلام يوم الجمعة لست خلون من نيسان في الساعة التي كان فيها خَلقُه وكان عمره تسعمائة وثلاثين سنة ومات تاركا أربعين ألفا من ولده وولد ولده.

وتنازع الناس في قبره: فمنهم من زعم أن قبره بمنى في مسجد الخيف، ومنهم من رأى أنه في كهف في جبل أبي قبيس. والله أعلم بحقيقة الحال.

٢ - ذكر جمل من أخبار الهند وآرائها في عبادتها:

ذكر جماعة من أهل العلم والبحث الذين وصلوا الغاية بشأن هذا العلم وبدئه أن الهند كانت في القديم الفرقة التي فيها الاصلاح والحكمة. حاولت الهند أن تضم المملكة وتستولي فنُصبَ لها ملك هو البراهمن الأكبر.

أختلفت الآراء حول البراهمن: فمنهم من زعم أنه آدم عليه السلام وأنه رسول الله عز وجل إلى الهند.

ومنهم من يقول: إنه كان ملكا على حسب ما ذكرنا وهذا أشهر.

وفي عهده ظهرت الحكمة وتقدمت العلماء وشيدت الهياكل. فأولاد البراهمن يعرفون بالبراهمة في الهند وهم أعلى أجناسهم وأشرفهم.

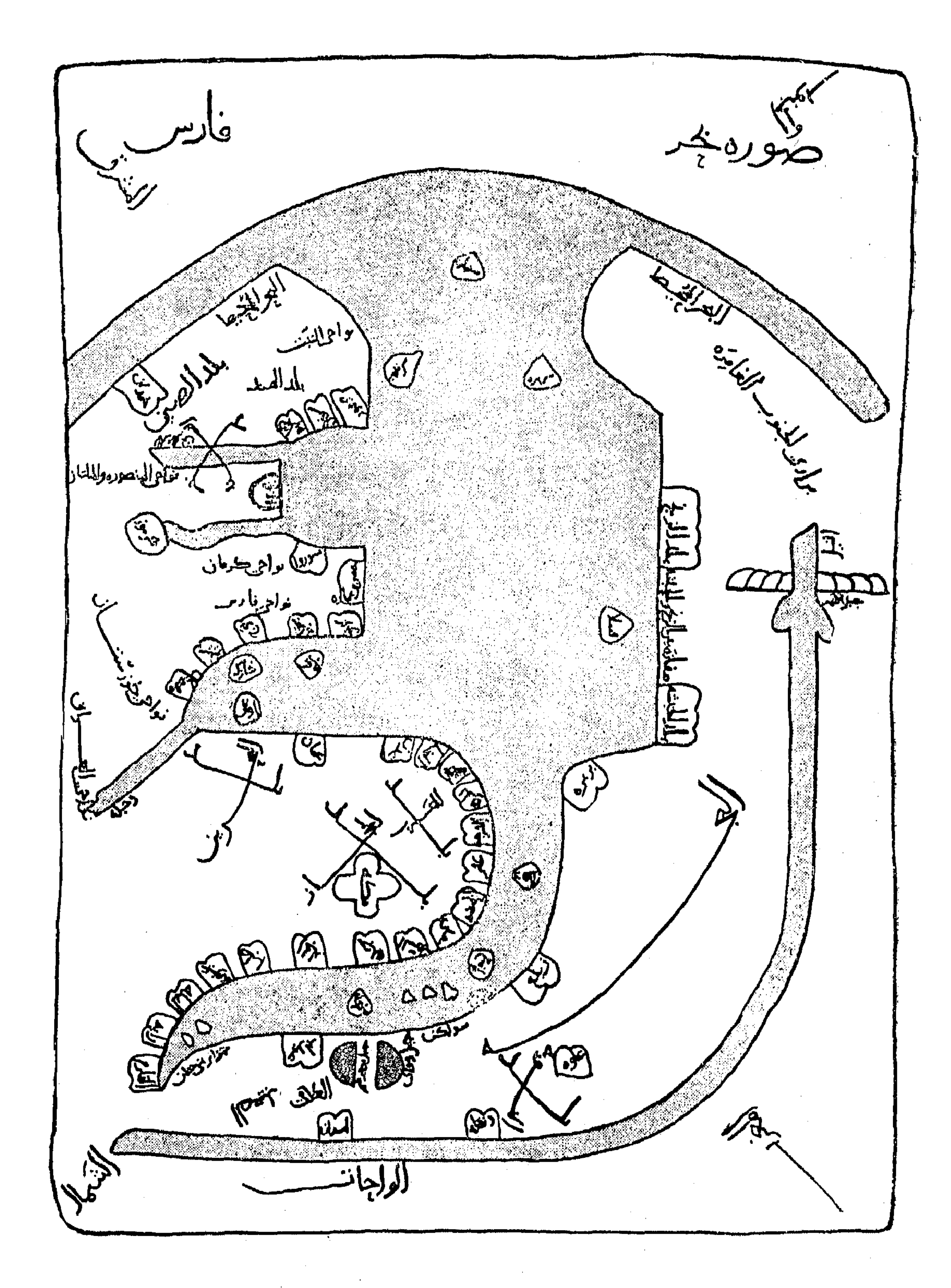
ففي ممالك الهند تباين وحروب. ولغاتهم مختلفة وآراؤهم غير متفقة والأكثر منهم تؤمن بالتناسخ وتنقل الأرواح.

فيقول المسعودي: «ورأيت في بلاد سرانديب (أي جزيرة سيلان) أن ملكاً من ملوكهم إذا مات صُيِّرَ على عجلة قريبة من الأرض صغيرة البكرة معدة لهذا المعنى. وشعره ينجر على الأرض. وامرأة بيدها مكنسة تحثو التراب على رأسه وتنادي: «أيها الناس هذا ملككم بالأمس وقد صار أمره إلى ما ترون من ترك الدنيا، وقبض روحه ملك الموت، وإلى القديم الذي لا يموت. فلا تغتروا بالحياة من بعده ثم يطاف به في شوارع المدينة ثم يفصل أربع قطع وقد هيء له الصندل والكافور فيحرق بالنار ويُذرى رماده في الرياح».

٣ - ذكر الأرض والبحار والأنهار والأقاليم السبعة:

قسمت الحكماء الأرض إلى جهة المشرق والمغرب والشمال والجنوب وقسموا ذلك إلى قسمين: مأهول وغير مأهول. وذكروا أن الأرض مستديرة ومركزها في وسط الفلك والهواء يحيط بها من جميع الجهات. وأنها عند ملك البروج بمنزلة النقطة قلّة. وأخذوا عمرانها من حدود جزر الخالدات (الكناري الآن، وهي في شرق المحيط الأطلسي) في بحر أقيانوس الغربي إلى أقصى عمران الصين. فوجدوا ذلك إثنتي عشرة ساعة. فعلموا أن الشمس إذا غابت في أقصى الصين كان طلوعها على الجزر العامرة في بحر أوقيانوس الغربي، وإذا كانت في هذه الجزر كان طلوعها في أقصى الصين وذلك نصف دائرة الأرض وهو طول العمران ومقداره من الأميال ثلاثة عشر ألفاً وخمسمائة ميل التي عملوا عليها في مساحة دورة الأرض. ثم نظروا إلى العمران في عروض العرض فوجدوا ذلك شمال خط الاستواء ينتهي عند جزيرة تولي في بريطانيا حيث يكون طول النهار الأطول عشرين ساعة.

أما ذكرهم عن الأقاليم السبع فقالوا: أرض بابل والعراق - الهند والسند - الحبشة والحجاز - مصر وأفريقية - الشام والروم - الترك والخزر - الديبل والصين.



صورة لبحر فارس (ابن حوقل)

ولكل من الأقاليم أبراجها ونجومها الخاصة سنذكرها بإذن الله في كتابنا الثاني «التنبيه والاشراف».

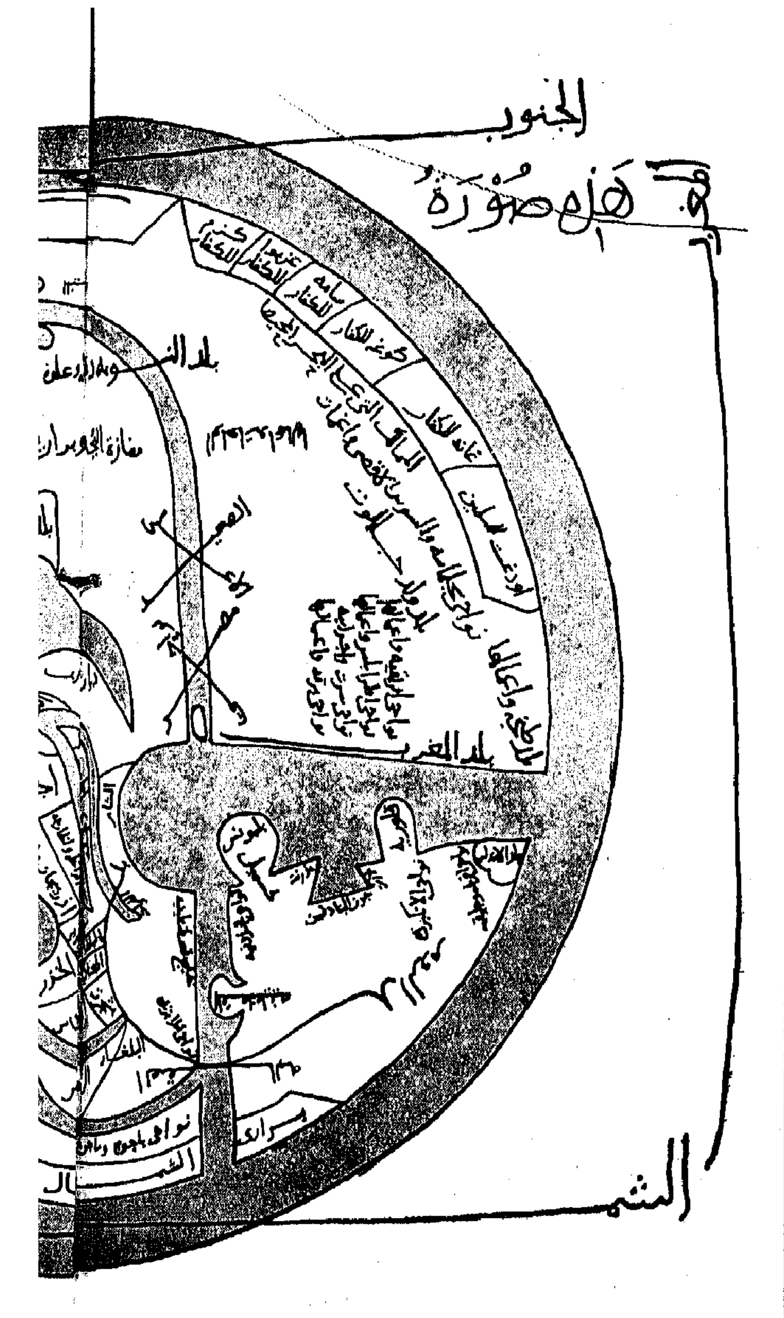
أما عن شكل البحار فأكثر الحكماء يذهبون إلى أن البر مستدير على مواضع الأرض واستدلوا على صحة ذلك بدلائل كثيرة منها: إذا لججت في البحر غابت عنك الأرض والجبال شيئاً فشيئاً. وإذا أقبلت نحو الساحل تظهر لك الجبال بالتدريج. فمن يكون في بحر الروم الذي هو بحر الشام ومصر يرى الجبل الأقرع العالي المطل على بلاد بحر الروم. ومن يكون في المراكب يغيب عن أبصارهم لانخفاضهم في المسير في البحر عن المواضع التي يُرى منها.

وقد تكلم الناس في بعد الأرض فذهب الأكثر إلى أن مركز الأرض إلى ما تنتهي إليه الهواء والنار مائة ألف وثمانية عشر ألف ميل. وأما القمر فإن الأرض أعظم منه بتسع وثلاثين مرّة والشمس أعظم من الأرض بمائة وسبعين مرة ورُبع وثُمن وأعظم من القمر بألف وستمائة وأربع وأربعين مرة. أما الأجرام السماوية فهي خمسة عشر كوكبا.

٤ - ذكر الأخبار عن انتقال البحار والأنهار الكبار:

ذكر صاحب المنطق أن البحار تنتقل على مرور الزمن لتصبح في مواضع مختلفة: فتارة موضع البحر يصبح براً وتارةً أخرى موضع البر يصبح بحراً. وسبب ذلك مجاري الأنهار ومصبها وانقطاعها عنها. وأن مجاري الأنهر والأعين واحد هو البحر العظيم وهو عذب وليس بحر أوقيانوس.

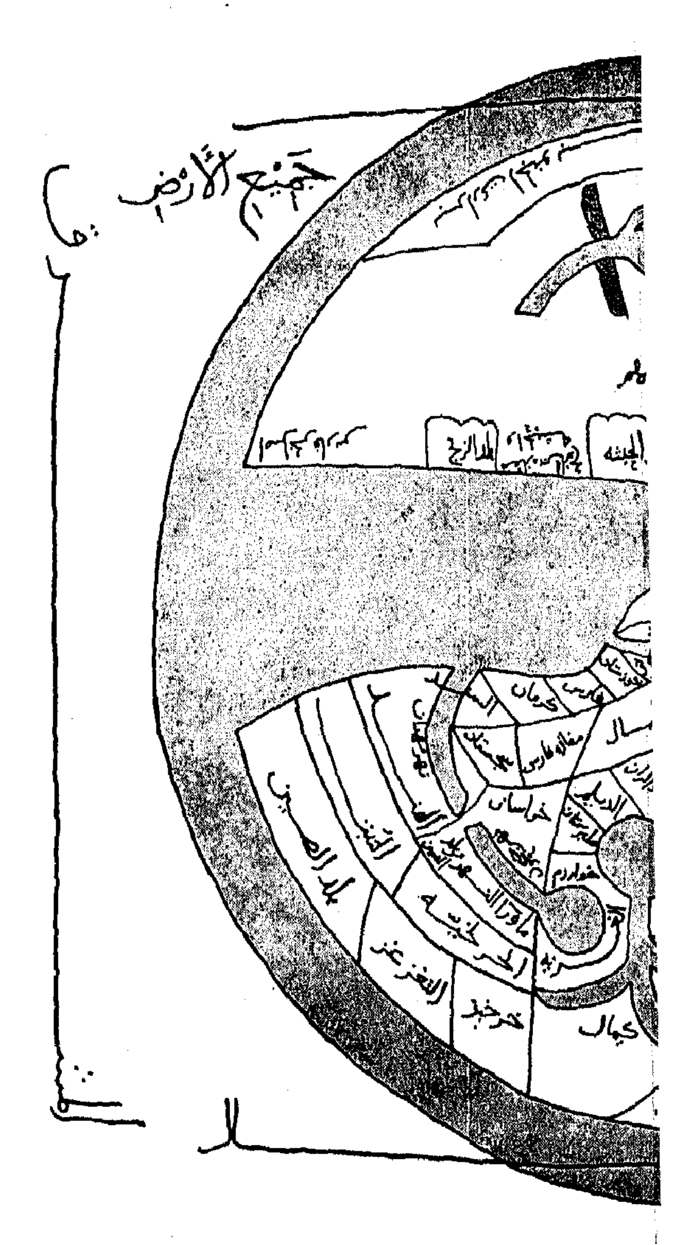
وقال آخرون: حق الماء أن يكون على السطح. فلما اختلفت الأرض فكان منها الهابط والعالي؛ انحاز الماء إلى أعماق الأرض فإذا انحصرت المياه في قعر الأرض طلبت التنفس حينئذ لِغلْظ الأرض وضغطها إياها إلى أسفل، فتنبثق من ذلك العيون والأنهار وربما تتولّد في باطن الأرض من الهواء الكائن هناك. وأن الماء متولد من عفونات الأرض وبحارها. أما عن الأنهار الكبرى فقد تحدث الناس كثيراً عنها وأخص بالذكر: النيل، دجلة والفرات. فمصدر النيل من تحت جبل



صورة الأرض (ابن حوقل).

القمر وراء خط الاستواء. ومنبعه ومبدأ ظهوره في إثنتي عشرة عيناً فتصب تلك المياه إلى بحيرتين هناك كالبطائح. ثم يجتمع الماء جارياً فيمر برمال هناك وجبال ويخترق أرض السودان فيشعب منه خليج إلى بحر الزنج، وهو بحر جزيرة قنبلو.

وقد ذكر الحكماء أنه يجري على وجه الأرض ألف فرسخ (الفرسخ يساوي ١٢ألفا ذراع، أو ٨,٢٨كيلومتر) حتى يصل أسوان والتي بقربها الجبال والأحجار ولا سبيل إلى جريان السفن هناك، يعرف هذا المكان بالجنادل. ثم



يأتي النيل الفسطاط وقد قطع الصعيد ومر بجبل الطيلمون وحجر اللاهون من بلاد الفيوم وهو المكان المعروف بالجزيرة التي اتخذها يوسف النبي وطناً، فيقطعه ثم يمضي جارياً فينقسم خلجانات إلى بلاد تنيس ودمياط ورشيد والاسكندرية، كل يصب إلى البحر الرومي وقد أحدث فيه الكثير من البحيرات في هذه المواضع.

٥ - ذكر تنازع الناس في المد والجزر:

المد: مضـي الماء في فيحته وسبحته وسنن جريته. والجزر: رجوع الماء على ضد سنن مضيه وانعكاس ما مضى عليه في هيجه. فالبحار على ثلاثة أنواع: منها ما لا يكون فيها المد والجزر لوقوف الماء في البحر زمناً فيغلظ وترتفع ملوحته، ونوع ثان تبعد عن مدار القمر مسافات بعيدة فيمتنع منه المد والجزر. ونوع ثالث المياه التي تكون الغالب على أرضها التخلخل فتنفذ الماء منها وتتخلخل.

وقد تنازع الناس في المد والجزر: فمنهم من قال أن سببه القمر لأنه مجانس للماء وهو يسخنه فينبسط. ومنهم من قال أن الهواء المطل على البحر يستحيل دائماً، فإذا استحال عظم ماء البحر وفاض عند ذلك. وإذا فاض البحر فهو المد، فعند ذلك يستحيل ماؤه ويتنفس فيستحيل هواء فيعود إلى ما كان عليه وهو الجزر.

وقد ذهب كثير من أرباب المراكب كالسيرافيين (مدينة سيراف تقع على الخليج العربي) والعُمانيين الذين قطعوا البحار مرات عدة إلى أن المد والجزر لا يكون إلا مرتين في السنة: مرة يمد في شهور الصيف شرقاً بالشمال ستة أشهر، ومرة يمد في شهور الشتاء غرباً بالجنوب ستة أشهر أخرى.

٦ - بحر الروم:

أما بحر الروم فذُكِرَ أن طوله خمسة آلاف ميل (الميل البحري يساوي ١٨٥٣متراً) ويختلف عرضه من ستمائة ميل إلى ثمانمائة على حسب تداخل الرؤوس والخلجان. وقد ذهب قوم إلى أن هذا البحر أصل ماء سائر البحار ذلك أن ماء يجري من بحر أقيانوس إلى البحر الرومي يُحسّ بجريانه ويعلم بحركته. (المقصود هو التيار الذي يدخل إلى المتوسط من الأطلسي عبر مضيق جبل طارق) ويتشعب من بحر الروم الشام ومصر خليج من نحو خمسمائة ميل يتصل بمدينة الرومية. وعلى هذا الخليج من جانب المغرب قرية يقال لها سبتة ويقابلها من ناحية الأندلس الجبل المعروف بجبل طارق مولى موسى بن نصير. وفي بحر الروم جزر كثيرة منها: جزيرة قبرص - رودس - صقلية - أقريطش (كريت).

أما بحر نبطس (الأسود) فإنه يمتد من بلاد لاذقة إلى القسطنطينية وطوله ألف ومائة ميل

وعرضه ثلثمائة ميل. وفيه يصب النهر العظيم المعروف باطنابس. ومبدأ هذا البحر من الشمال وعليه الكثير من ولد يافث بن نوح. ويسير بحر نبطس حتى يصب في بحر نيطش (آزوف) الغني بالعقاقير والحشائش. ومن بحر نبطس يتفجر خليج القسطنطينية الذي يصب في بحر الروم.

* * *

المؤلف الثاني للمسعودي هو «التنبيه والاشراف» وقد تناول فيه كل ما يهم الباحثين في الفلك والأبراج والمعمور واللامعمور والأمم القديمة...

١ - ذكر الأفلاك وهيئاتها وتأثيراتها:

تحدث عن الفلك الذي نبهنا الله سبحانه عليه. وأشار في نص الكتاب إليه لما فيه من عجائب حكمته ولطائف قدرته وخصائص التدبير وبدائع التركيب التي تدل بعجائب نظمها وغرائب تأليفها على وجدانية مبدعها وأزلية منشئها. قال الله عز وجل (لا الشمسُ ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) أي في دائرة منها يكونون.

إن اسم الفلك دل على الاستدارة في لغة العرب. والفلك السماء قال الله عز وجل(لَخلْقُ السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

وتحدث المسعودي عن فصول السنة فقسَّمها إلى الأزمنة الأربعة المعروفة اليوم:

٢ - قسمه الأزمنة وفصول السنة ومهاب الرياح:

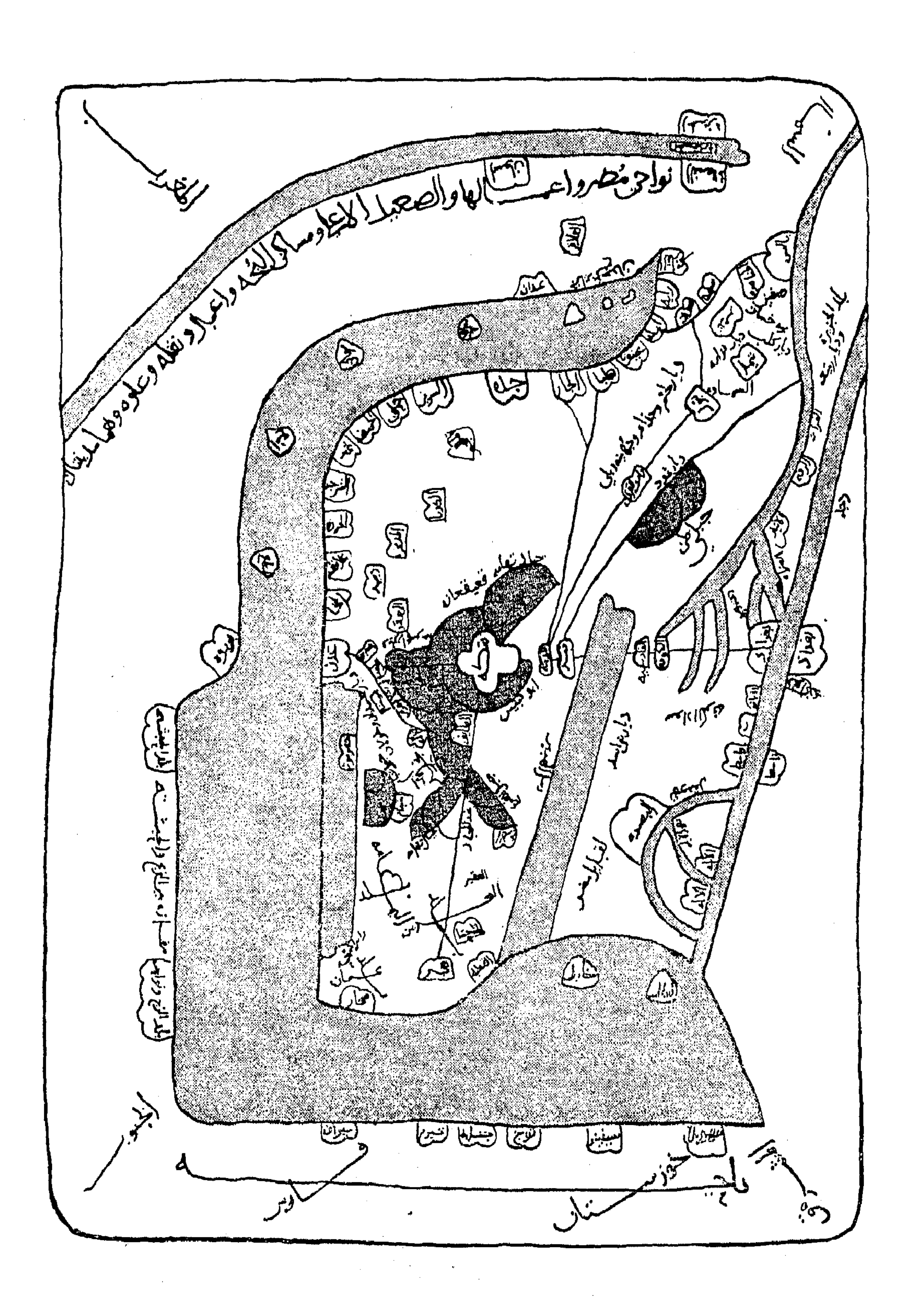
فالزمان الأول وهو الربيع وهو طبيعة الدم حار رطب. مدته ثلاثة وتسعون يوماً وثلاث وعشرون ساعة، وربع ساعة. وذلك من عشر تبقى من آذار إلى ثلاثة وعشرين يوماً تخلو من حزيران وهو من نزول الشمس أول دقيقة من الحمل وهو الاستواء الربيعي إلى دخولها أول دقيقة من السرطان وهو المنقلب الصيفي. وإن مدة زمان الربيع مسير الشمس والزمان الثاني في ثلاثة أبراج وهي الحمل والثور والجوزاء. والزمان الثاني الصيف وهو حار يابس. سلطانه المرة الصفراء، مدته اثنان وتسعون يوماً وثلاث وعشرون ساعة وثلث ساعة وذلك من ثلاثة وعشرين يوماً تمضي من حزيران إلى أربعة وعشرين تمضي من أيلول وهو من دخول الشمس أول دقيقة من السرطان إلى دخولها أول دقيقة من الميزان. ومدة زمان الصيف مسير الشمس في ثلاثة أبراج وهي السرطان والأسد والسنبلة.

والزمان الثالث الخريف وهو بارد يابس، سلطانه المرة السوداء ومدته ثمانية وثمانون يوماً وسبع عشرة ساعة وثلث خمس ساعة وذلك من أربعة وعشرين يوماً تمضي من أيلول إلى اثنتين وعشرين يوماً تخلو من كانون الأول وذلك من نزول الشمس أول دقيقة من الميزان وهو الاستواء الخريفي إلى نزولها أول دقيقة من الجدي وهو المنقلب الشتوي. ومدة زمان الخريف مسير الشمس في ثلاثة أبراج وهي الميزان والعقرب والقوس.

والزمان الرابع الشتاء، وهو بارد رطب. سلطانه البلغم، مدته تسعة وثمانون يوماً وأربع عشرة ساعة من تسع تبقى من كانون الأول إلى أحد وعشرين يوماً تخلو من آذار وذلك من دخولها الشمس أول دقيقة من الجدي إلى نزولها أول دقيقة من الحمل. ومدة زمان الشتاء مسير الشمس في ثلاثة أبراج وهي الجدي والدلو والحوت.

فتأمل حكمة البارىء عز وجل في نظمه الاستقصات الأربعة في العالم السفلي أعني الأرض والهواء والماء والنار. فالزمان مقسوم بأربعة أقسام: قسم ربيعي دموي هوائي، وقسم صيفي صفراوي ناري، وقسم خريفي سوداوي أرضي، وقسم شتائي بلغمي مائي.

وتحدث عن الرياح ومهابها فكانت أربعة: الصبا من المشرق وهي القبول وهي ما حبَّ من مطلع الشمس. والدبور والتي تهب من الغرب. (من دبر من استقبل المشرق). والشمال التي تهب من تحت جدي الفرقدين (الفرقد هو موقع من بخارى، جنوبي روسيا). والجنوب التي تهب من تحت جدي سُهيل.



أما الريح التي تسمى ببلاد مصر «المريسّية» فهي باردة تقطع الغيوم وتصفي الهواء وتقوّي حرارة الأبدان. ويقع الوباء إذا دامت المريسية بمصر لأنها تهب في كانون الأول.

٣ - ذكر أقسام الأرض وتأثير المُناخ في سكانها:

فالعالم أربعة أرباع: ربع شرقي وهو ما تسافل عن خط الجنوب والشمال إلى المشرق فهو ربع مذكر يدل على طول الأعمار وعزة النفس وذلك لطبيعة الشمس وعلمهم الأخبار والتواريخ والنجوم.

وربع غربي وهو الغالب عليه التأنيث إلا ما استولت عليه الكواكب المذكرة، كما يغلب التذكير على المشرق إلا ما غلبته عليه الكواكب المؤنثة. وأهله أهل كتمان للسر وكثرة انقياد إلى الآراء.

أما أهل الربع الشمالي وهم الذين بعدت الشمس عن سمتهم من الواغلين في الشمال كالصقالبة والأفرنجة، فإن سلطان الشمس ضعف عندهم لبعدهم عنها فغلب على نواحيهم البرد والرطوبة وتوافرت الثلوج عندهم والجليد. فتلبّدت آفاقهم وثقلت ألسنتهم وابيضت الوانهم وازرقت أعينهم وسبطت شعورهم. فمن كان منهم أوغل في الشمال فالغالب عليه الغباوة والجفاء والبهائمية.

وأما أهل الربع الجنوبي، كالزنج والأحباش والذين كانوا تحت خط الاستواء وتحت مسامته الشمس، فإنهم بخلاف تلك الحال من التهاب الحرارة وقلة الرطوبة. فاسودت ألوانهم واحمرت أعينهم وتفلفلت شعورهم وتوحشت نفوسهم.

٤ - مساحة الأرض وشكلها:

وذكر من عني بمساحة الأرض وشكلها أن تدويرها يكون بالتقريب أربعة وعشرين ألف ميل وذلك تدويرها مع المياه والبحار. فإن المياه مستديرة مع الأرض وحدهما واحد؛ فكلما نقص من استدارة الأرض وطولها وعرضها شيء تمّ باستدارة الماء وطوله وعرضه، وذلك أنهم نظروا إلى مدينتين في خط واحد إحداهما أقل عرضاً من الأخرى وهما الكوفة ومدينة السلام فأخذوا عرضيهما فنقّصوا الأقل من الأكثر ثم قسّموا ما بقي على عدد الأميال التي بينهما فكان نصيب الدرجة مما يحازيهما من أجزاء الأرض المستديرة ستة وستين ميلاً وثلثي ميل فإذا ضربوا ذلك في جميع درج الفلك التي هي ثلثمائة وستون ألف ذراع والذراع أربع وعشرون أصبعا والأصبع ست شعيرات مضموم بعضها إلى بعض.

وفي معرض حديثه عن الأقاليم السبعة التي ذكرها المسعودي كما أشرنا في كتاب «مروج الذهب» يشير صاحبنا هنا إلى أن مساحة هذه الأقاليم في الطول ثمانية وثلاثون ألفا وخمسمائة فرسخ في عرض ألف وسبعمائة وخمسة وسبعين فرسخا. وقد قسموا هذه الأقاليم بين الكواكب السبعة على قدر تواليها وتتابعها في الفلك:

فالاقليم الأول لزحل وله من البروج الجدي والدلو.

والأقليم الثاني للمشتري وله من البروج القوس والحوت.

والأقليم الثالث للمريخ وله من البروج الحمل والعقرب.

والأقليم الرابع للشمس وله من البروج الأسد.

والأقليم الخامس للزهرة وله من البروج الثور والميزان.

والأقليم السادس لعطارد وله من البروج الجوزاء والسنبلة.

والأقليم السابع للقمر وله من البروج السرطان.

٥ - بحر أوقيانوس:

وهذا البحر أي المحيط الأطلسي فإنه يبتدىء من نهاية المعمورة في الشمال إلى نهاية المعمورة في الجنوب وليس له في غربيه ولا شماليه نهاية محدودة. في هذا البحر الجزر المسماة «بالخالدات». على هذا البحر جزيرة تعرف بقادس وهي عجيبة البنيان على أعاليها عمود عليه تمثال من النحاس ووراءه في هذا البحر

تماثيل عدّة التي تدعى «الهرقلية» التي بناها هرقل الملك الجبار وتنذر من رآها أن لا طريق وراءها ولا مذهب، بخطوط على صدورها بنية ظاهرة ببعض الأقلام وضروب من الاشارات بأيدي هذه التماثيل تنوب عن تلك الخطوط لمن لا يحسن قراءتها صلاحاً للعباد ومنعاً لهم في ذلك البحر من التغرير بأنفسهم.

٦ - ذكر الأمم السبع في سالف الزمان:

ذكر الأمم السبع القديمة وتميزهم بأشياء ثلاثة: سيمتهم الطبيعية - خلقهم الطبيعية - وألسنتهم:

فالفرس أمة حد بلادها الجبال من أذربيجان إلى ما يلي بلاد أرمينية والبلقان وما اتصل بذلك من أرض الأعاجم.

والأمة الثانية: الكلدانيون وهم السريانيون الذين في التوراة بقوله عز وجل لابراهيم «أنا الرب الذي انجيتك من نار الكلدانيين لاجعل هذه البلاد لك ميراثا».

وكانت دار مملكتهم مدينة كلواذي بأرض العراق وكانوا شعوباً وقبائل منهم النونويون والأشوريون والأرمن والجرامقة. وكانت بلادهم العراق وديار ربيعة والشام وبلاد العرب اليوم.

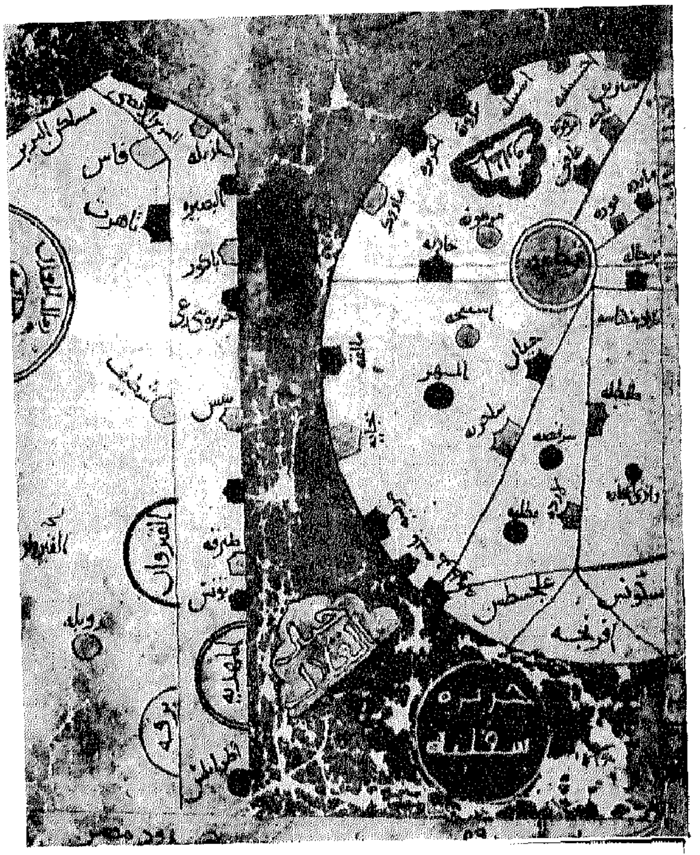
والأمة الثالثة: اليونانيون والروم والصقالبة والافرنجة.

والأمة الرابعة: لُوبية منها مصر وما اتصل بذلك من أرض المغرب إلى بحر أوقيانوس.

والأمة الخامسة: أجناس من الترك الخرلخّية والغز والخزر والطغزغز.

والأمة السادسة: أجناس الهند والسند.

والأمة السابعة: الصين وسيلي وما اتصل



من «كتاب البلدان» للاصطخري (الرابع الهجري)، خريطة تظهر اسبانيا وشمالي أفريقيا

بذلك من مساكن ولد عامور ابن يافث بن نوح.

هذه الشعوب جميعها لها لغة واحدة وملك واحد، وقد جمعهم عبادة الأصنام مثالاً لآلهتهم غير الآلهية التي كان يجل مثلها غيرهم من الأمم تمثيلاً بما علا من الجواهر العلوية والأجسام السماوية.

هذا أهم ما جاء في مؤلفات المسعودي من معلومات جغرافية وتاريخيّة وفلكيّة.

وقد استعنا ببعض خرائط لابن حوقل.

▫

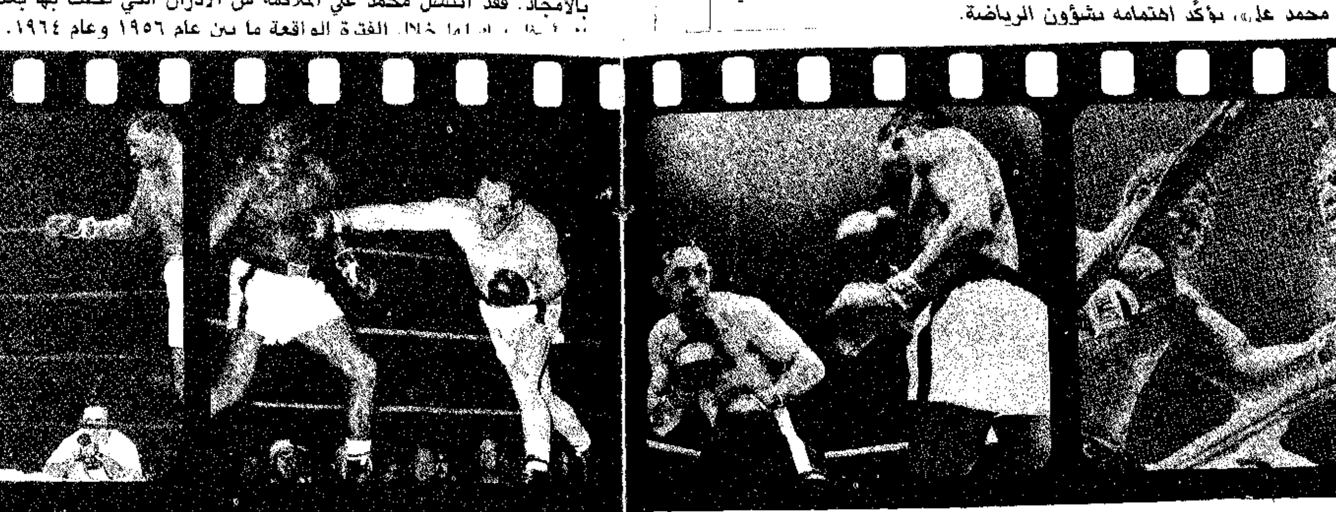



- من الصعب أن نتحدث عن حضارة غربية خالصة وحضارة مشرقية خالصة ففي كل من الحضارتين عناصر من الحضارة الأخرى.
- عندما تتم الوحدة العربية يصبح للعرب قوة دولية تكفل حل قضايا العالم العربي، وفي مقدمتها قضية فلسطين.

«توينبي»

وهذا موضوع ثانٍ للدكتور يوسف شبل بعد مقاله في العدد الماضي «عصر محمد علي»، يؤكّد اهتمامه بشؤون الرياضة.

كانت خسارة محمد علي، بطل العالم السابق في الملاكمة ثلاث مرات، والرجل الإسطورة التي تعدت شهرته حلبة الملاكمة بحيث أصبح أشهر رياضي خلال هذا القرن أمام بطل العالم الحالي «لاري هولمز» نهاية لصفحة تاريخية حافلة وناصعة بالأمجاد. فقد انتشل محمد علي الملاكمة من الأدران التي لحقت بها بعد أن هبطت [illegible] خلال الفترة الواقعة ما بين عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٤.



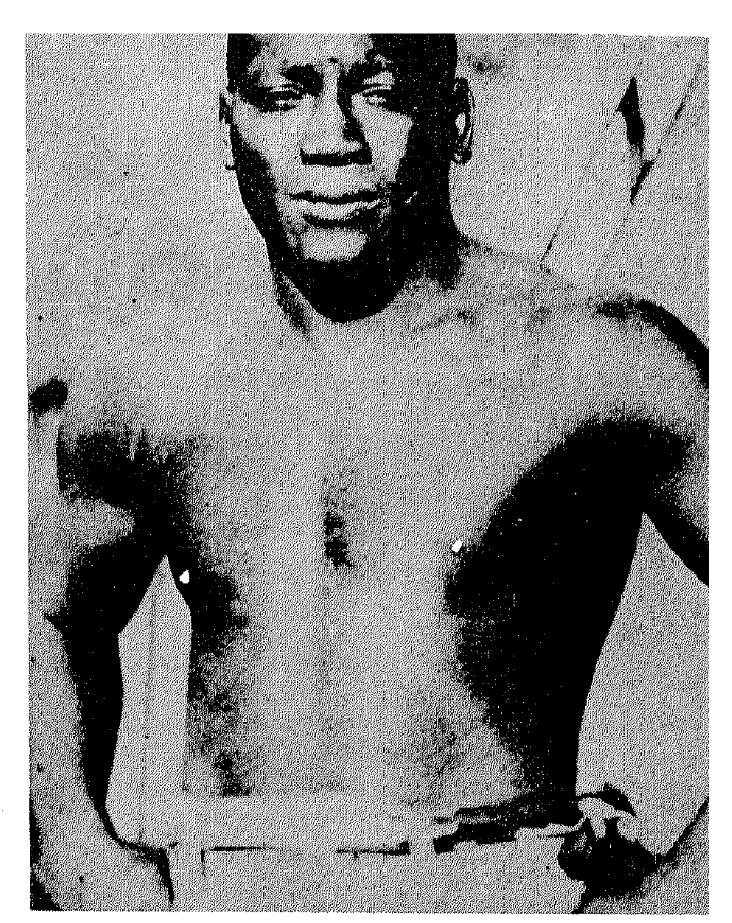
أضواء على بطولة العالم في الملاكمة للوزن الثقيل (١٨٨٢-١٩٦٤)

د. يوسف شبل

عندما اعتزل الملاكم الأمريكي المشهور والايطالي الأصل «روكي مارشيانو» حلبة الملاكمة في عام ١٩٥٤ بعد أن خاض ٤٩ مباراة ربحها جميعها، شغرت بطولة العالم مما دفع اتحاد الملاكمة العالمي الى اقامة مباريات تصفية انتهت الى لقاء بين بطل العالم للوزن خفيف الثقيل آنذاك، «أرشي مور» وبين بطل ناشىء كان قد فاز في عام ١٩٥٦ بدورة ملبورن الأولمبية اسمه «فلويد باترسون» أسفرت عن فوز «باترسون» بالضربة القاضية في الجولة الرابعة وكان عمره آنذاك ٢١ عاما وفوزه بلقب بطل العالم للملاكمة في الوزن الثقيل.

غير أن فوز «باترسون» كان بداية لعصر الانحطاط في تاريخ الملاكمة. فقد تجنب اللعب مع خيرة الملاكمين الذين كانوا في طليعة متحديه على اللقب من أمثال «كليفلاند وليامز» و«أيدي ماتشن» و«زورا فولي» كما كانت شخصيته غامضة ولم يكن لديه أي اطلالة مضيئة على النشء الصاعد أو على الرأي العام. وحتى عندما لعب ضد البطل السويدي «أنجيمار جوهانسون» للمرة الأولى في حزيران من عام ١٩٥٩ كان الأخير يحتل المرتبة السابعة في لائحة المتحدين له ومع ذلك خسر بضربة قاضية فنية في الجولة الثالثة حين تدخل حكم المباراة لانهائها بعد أن وقع باترسون ست مرات على أرض الحلبة. ورغم أن باترسون استعاد لقبه في تموز في عام ١٩٦٠ وأصبح بذلك أول بطل في الملاكمة للوزن الثقيل يستعيد لقبه ثم عاد وفاز مرة ثانية على جوهانسون عام ١٩٦١، فإنه عاد الى سيرته القديمة لملاكمة أبطال مغمورين مثل «توم ماكنيلي» مما دفع بالصحافة ووسائل الاعلام والنقاد الرياضيين في الولايات المتحدة وأوروبا الى مهاجمته بعنف واتهامه بالتهرب من الدفاع عن لقبه أمام متحدين لهم وزنهم ومصنفين على

د. يوسف الشبل: مستشار اقتصادي لدى وزارة المالية في السعودية واستاذ اقتصاد في الجامعة الاميركية ببيروت سابقاً. يشغل حالياً منصب كبير الاقتصاديين في دار الهندسة والتصميم في بيروت.


جاك جونسون الملاكم الحديدي الاول ملاكم أسود يفوز ببطولة العالم.

لائحة اتحاد الملاكمة العالمي.

وفي تلك الفترة كان ملاكم زنجي آخر وهو «سوني ليستون» يشق طريقه بسرعة نحو القمة اذ كان يتمتع بقوة جسدية هائلة وضربة خطافية (Hook) قاتلة حيث فاز على جميع الأبطال الذين تجنب «باترسون» لقاءهم. وقد حاول «باترسون» مرات عديدة التهرب من مقابلة «ليستون» بحجة أن الأخير له علاقة مشبوهة مع منظمة «المافيا» الى أن حدث حادث طريف في البيت الأبيض في واشنطن. فقد كان «فلويد باترسون» في عداد وفد زنجي للحقوق المدنية ذهب لمقابلة الرئيس الراحل «جون كنيدي» في مطلع عام ١٩٦٢. وفي خلال اللقاء سأل الرئيس «كينيدي» «باترسون» عن اسم الملاكم الذي سيتقابل معه في مباراته القادمة على اللقب. وهنا مال «باترسون» على اذن الرئيس كينيدي وهمس له باسم هذا الملاكم. وفي صبيحة اليوم التالي ظهرت الصحف الأمريكية «بمانشيت» عريض يقول: باترسون يقابل ليستون على اللقب بعد أن أحرجه الرئيس كينيدي!!

وهكذا كان وخسر «باترسون» أمام ليستون في شيكاغو في أيلول من ١٩٦٢ بضربة قاضية بعد مرور دقيقتين فقط على بدء المباراة! وقد بلغ من خجل «باترسون» من ادائه السيء أن غادر الحلقة واستقل فوراً سيارته الخاصة بعد أن تنكر بلحية وشاربين وساق بمفرده من شيكاغو الى نيويورك مسقط رأسه حتى لا يقابل الصحفيين والنقاد. وعندما تربع ليستون على عرش الملاكمة كانت قد أوصلها الى الحضيض من حيث سمعتها لدى الرأي العام.

والآن نعود الى استعراض موكب أبطال العالم للوزن الثقيل منذ عام ١٨٨٢ حتى يومنا هذا.

في عام ١٨٨٢ فاز «جون سوليفان» (Sulliven) باللقب بعد تغلبه على ملاكم اسمه «بادي ريان» واحتفظ باللقب حتى عام ١٨٩٢ حين خسر اللقب أمام «جيم كوربيت» وذلك بالضربة القاضية في الجولة الثانية.

وقد ساهم «كوربيت» في تطور فن الملاكمة عن طريق استخدام حركات القدمين برشاقة بدلاً من الوقوف جامداً وتبادل اللكمات دون حراك على أرض الحلقة كما كان الحال من قبل وقد احتفظ باللقب حتى عام ١٨٩٧ حين خسر اللقب امام ملاكم بريطاني صاعد اسمه «بوب فيتزمونس» (Fitzimmons) وذلك بالضربة القاضية في الجولة الرابعة عشرة وكان فيتزمونس يعمل حداداً في استراليا ثم هاجر الى الولايات المتحدة الأمريكية. وقد بلغ من قوته الجسدية أنه حين ألقى بكوربيت الى ارض الحلبة شعر الأخير وكأنه مشلول تماما حيث مكث على أرض الحلبة الى انهاء العد من قبل الحكم.

دامت سيادة فيتزمونس لبطولة العالم مدة عامين فقط حين خسر أمام «جيم جيفريز» (Jim Jeffries) بالضربة القاضية في الجولة الحادية عشرة. والطريف أن جيفريز كان عداءاً سريعاً اذ كان يقطع حوالي ١٠٠ ياردة بـ ٥ر ١٠ ثانية رغم أنه كان يزن ١٠٠ كيلو غراماً الأمر الذي أعطاه رشاقة وخفة حركة الى جانب قوة بدنية هائلة. وقد تقاعد في عام ١٩٠٥ غير مهزوم بعد أن ربح ٢٩ مباراة متتالية. إلّا انه ما لبث أن عاد لحلبات الملاكمة في عام ١٩١٠ لمنازلة الملاكم الزنجي الاسطورة «جاك جونسون» ولكنه خسر

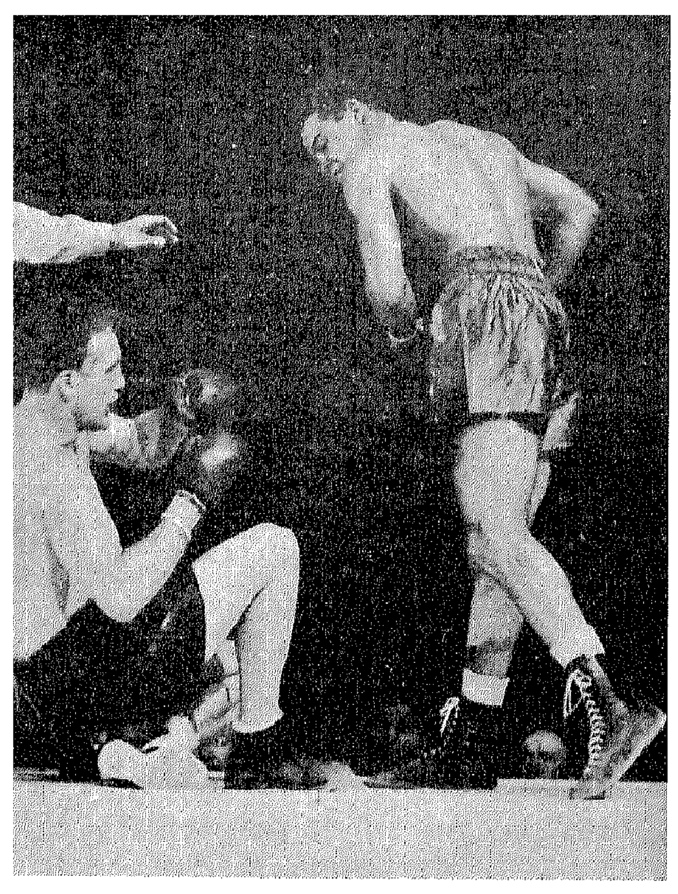
أمام جونسون بالضربة القاضية في الجولة الخامسة عشرة وكانت المرة الاولى التي يقع فيها على ظهره خلال حياته الطويلة كملاكم.

عندما اعتزل جيفريز عرش الملاكمة جرت تصفيات عديدة فاز فيها ملاكم مغمور اسمه مارفين «هارت» (Hart) ببطولة العالم غير أنه لم يستمر طويلاً فخسر امام ملاكم مغمور اسمه «تومي بيرنز» (Burns) وكان ذلك عام ١٩٠٦ غير أن الأخير لم يحتفظ باللقب سوى عامين حين خسر اللقب امام الملاكم الزنجي ذي القبضة الحديدية «جاك جونسون». وقد أدى فوز أول بطل زنجي ببطولة العالم في الملاكمة للوزن الثقيل الى حدوث شغب في عدد كبير من المباريات التي خاضها خصوصاً ضد الأبطال البيض حتى أن رجال الشرطة كانوا يتدخلون لانهاء المباريات على خير. فقد لعب ١٠٦ مباريات فاز في ٨٥ منها وتعادل في ١٤ مباراة وخسر ٧ مباريات فقط. ومن أصل الـ ٨٥ مباراة التي فاز بها استطاع أن يربح ٥١ مباراة منها بالضربة القاضية.

وقد تربع جونسون على عرش الملاكمة من عام ١٩٠٨ حتى عام ١٩١٥. وقد خسر لقبه أمام «جيس ويلارد» «Jess Willard» في الجولة السادسة والعشرين في مباراة تاريخية في هافانا عاصمة كوبا. وبعد هذه المباراة التاريخية قرر اتحاد الملاكمة تحديد مباريات البطولة بـ ١٥ جولة بعد أن كانت تستمر حتى يفوز أحد الطرفين وهذا القرار لا يزال ساري المفعول حتى الآن. واستمر جونسون في الملاكمة حتى عام ١٩٢٨ رغم خسارته اللقب. وتوفي في ١٠ حزيران من عام ١٩٤٦ بعد أن اصطدمت سيارته بعامود كهرباء وقتل فوراً.

لقد أدى فوز «جيس ويلارد» الى ظهور تعبير «الأمل الأبيض» في عالم الملاكمة في الولايات المتحدة. ويعني هذا التعبير الأمل في أن يسترد بطل أبيض بطولة العالم للوزن الثقيل من بطل أسود. ولا يزال هذا التعبير منتشراً خصوصاً في السنوات العشرين الأخيرة حيث احتكر «باترسون» «ولستون» و «محمد علي» و «فورمان» «وفريزر» بطولات هذا الوزن.

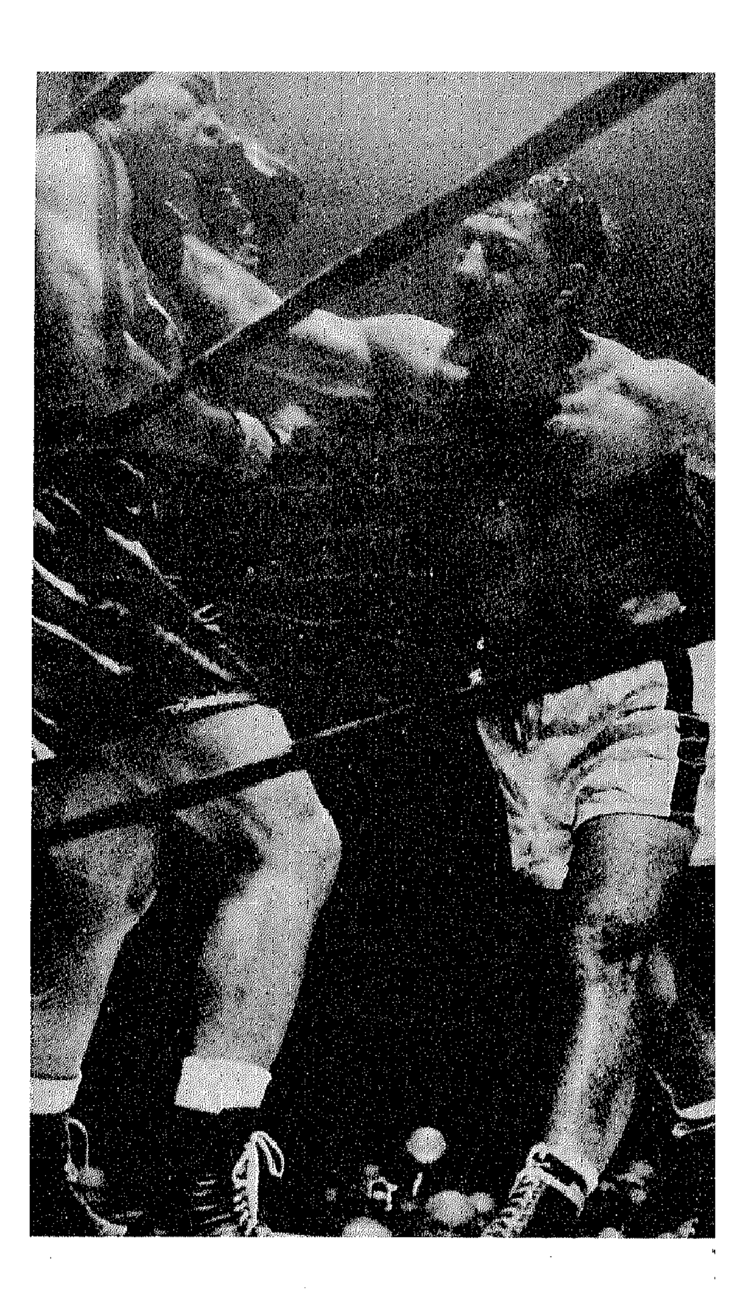
وفي عام ١٩١٩ تقابل جيس ويلارد مع بطل صاعد اسمه «جاك ديمبسي» «Jack Demosey»



جو لويس يسقط «بيلي كون» في الجولة الثامنة.

الذي أصبح فيما بعد واحداً من أشهر ثلاثة ملاكمين في تاريخ الملاكمة للوزن الثقيل وهم ديمبسي، وجو لويس ومحمد علي. فقد فاز «ديمبسي» على «ويلارد» بضربة قاضية في الجولة الثالثة ويعتبر في نظر كثير من النقاد الرياضيين أقوى ملاكم ظهر على الحلبة حتى الآن واحتفظ باللقب حتى عام ١٩٢٦ عندما خسر اللقب أمام «جين تاني» «Jane Tunney». وقد فاز ديمبسي بـ ٦٠ مباراة منها ٤٩ بالضربة القاضية وتعادل في ٨ مباريات وخسر ٧ مباريات خلال أطول فترة عاشها ملاكم حيث امتدت من عام ١٩١٦ - ١٩٤٠. ولا يزال «ديمبسي» على قيد الحياة وقد بلغ من العمل ٨٥ سنة ويتمتع بشعبية كبيرة في أوساط الملاكمة.

كانت شخصية «جين تاني» نقيض شخصية «ديمبسي». ففي حين نشأ الأخير في بيئة شعبية كان «تاني» تلميذاً جامعياً وميسور الحال وابن عائلة معروفة في المدينة التي نشأ فيها. وكان شاعراً وله صداقات عديدة مع الادباء ويتذوق زيارة المتاحف والآثار وهي خصائص ثقافية



روكي مارسيانو يسدد الضربة القاضية التي انهت اسطورة جو لويس.

لم تكن معروفة عند باقي الملاكمين الذين جاءوا قبله وحتى كثير من الذين جاءوا بعده.

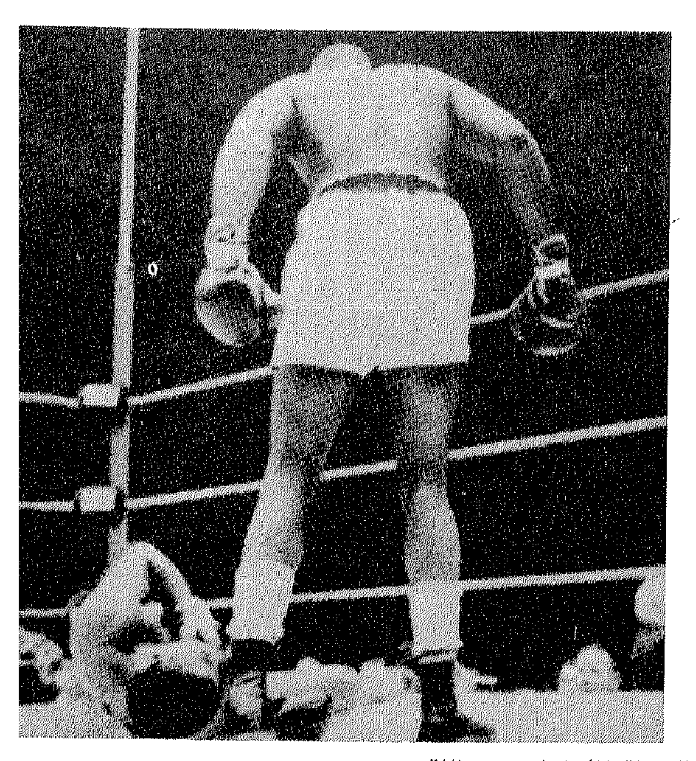
وقد خاض مباريات عديدة بين عام ١٩١٥ و ١٩٢٨. وكان قد فاز باللقب عام ١٩٢٦ بالنقاط على «ديمبسي». وفي عام ١٩٢٨ اقيمت مباراة الثأر التي أثارت ضجة كبيرة نظراً لأن «ديمبسي» أوقع «تاني» في الجولة السابعة غير أن الحكم تباطأ في العد مما أتاح للأخير فرصة الوقوف على قدميه والفوز في نهاية المباراة بالنقاط. وقد اعتزل «تاني» الملاكمة عام ١٩٢٨ دون أن ينهزم بعد أن أصبح مليونيراً. وقد توفي «تاني» عام ١٩٧٩ عن عمر يناهز الثانية والثمانين.

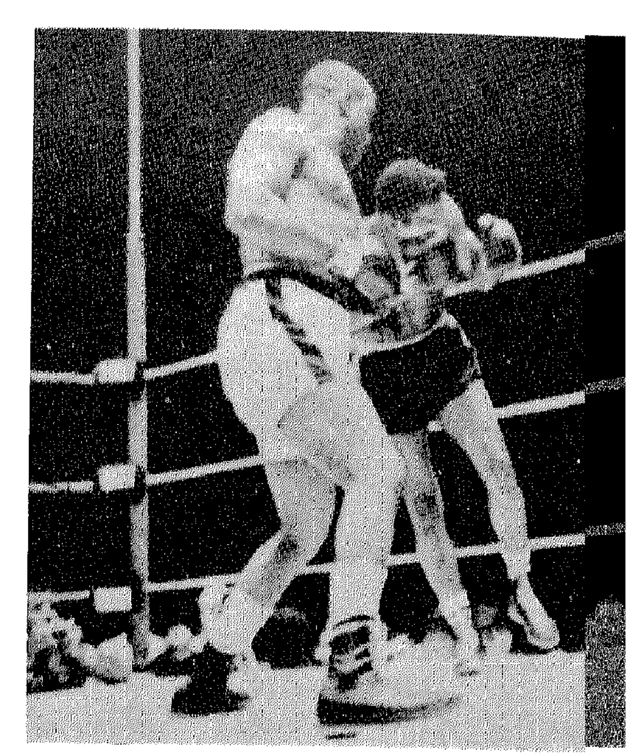
بعدئذ اعتلى عرش الملاكمة الملاكم الالماني الشهير «ماكس شميلنغ» «Schmelling» وكان ذلك في عام ١٩٣٠ بعد تغلبه على «جاك شاركي». وقد أصبح بطلاً قومياً في المانيا خصوصاً بعد ظهور الفكرة النازية. وقد استغله «هملر» وزير الدعاية في الرايخ الثالث للتدليل على تفوق الشعب الآري. وكان شميلنغ بملك قبضة يمينية رهيبة ومن أهم انتصاراته فوزه على «جو لويس» في عام ١٩٣٦ قبل أن يصبح الأخير بطلاً للعالم. ولا يزال على قيد الحياة وهو على صداقة وثيقة مع «جو لويس».

عاد جاك شاركي وانتزع اللقب من شميلنغ عام ١٩٣٢ غير أنه ما لبث أن خسره أمام «بريمو كارنيرا» الايطالي الذي كان طوله ١٩٥ سنتيمترا ووزنه ١٢٠ كيلو وذلك بالضربة القاضية في الجولة السادسة. لم يستطع «كارنيرا» الحفاظ على لقبه أكثر من عام واحد رغم قوته الجسدية إذ خسر أمام الملاكم اليهودي الأمريكي «ماكس باير» «Bayer» بالضربة القاضية في الجولة الحادية عشرة كان «باير» مشهوراً بالتهريج على الحلقة رغم أنه قتل اثنين من الملاكمين وقد استمر يلاكم مدة ١٢ عاماً امتدت ما بين ١٩٢٩ - ١٩٤١ أي قبل حصوله على اللقب وبعد خسارته اللقبامامجيمبرادوك «Braddock» والجدير بالذكر أنه عندما لعب ضد الأخير كان مرشحاً للفوز بنسبة ١٥ - ١.
أما برادوك فقد حافظ على لقبه مدة عامين من ١٩٣٥ - ١٩٣٧ حين خسر بالضربة القاضية في الجولة الثامنة. وكانت خسارته أمام أحد أعظم ملاكمي هذا القرن: «جولويس» المعروف باسم القاذفة السمراء «Brown Bomber».

جو لويس «القاذفة السمراء»

لا يزال جو لويس في نظر معظم خبراء الملاكمة أحسن ملاكم ظهر في تاريخ الحلبة خلقاً وفناً ومقدرة. وينظر اليه كثير من مشاهير الملاكمين بمن فيهم محمد علي على أنه المثال الذي





سوني ليتسون يطرح باترسون في الجولة الأولى ليكسب اللقب.

يُحتذى. «فالقاذفة السمراء» كان يتميز بخلق رياضي رفيع داخل الحلبة وخارجها الى جانب أنه يملك ضربة مستقيمة «Jab» من الدقة والقوة بحيث أنها «تقتلع شجرة كبيرة» على حد تعبير محمد علي بعد أن شاهد أفلام مباريات جو لويس. كما يملك ضربة خطافيه «Hook» قوية جداً الى جانب ضربة يمينية قاطعة «Uppercut» قاتلة. وكان يملك يدين سريعتين للغاية والبعض يعتبرهما بسرعة يدي محمد علي.

وخلال اثني عشر عاماً، بين فوزه في اللقب عام ١٩٣٧ بعد أن هزم برادوك بضربة قاضية في الجولة الثانية وتقاعده غير مهزوم عام ١٩٤٩ بعد أن هزم متحديه «جيرسي جو ولكون» بضربة قاضية في الجولة الحادية عشرة، سجل لويس تارخياً حافلاً. فقد هزم «باير»، «وشميلنغ» «ونوفا» و «كون» و «ولكوت» و «سافولد» و «شاركي» وغيرهم بحيث بلغ سجل انتصاراته ٦٨ منها ٥٤ بالضربة القاضية وهي نسبة تصل الى ٠/٨٠، وخلال حياته الحافلة بالأمجاد لم يخسر جو لويس سوى ثلاث مرات: مرة ضد ماكس شميلنغ وكان ذلك قبل فوزه ببطولة العالم ومرة ضد «ايزارد شارلز» بعد تقاعده في عام ١٩٥٠ وعودته الى الحلقة لأسباب مادية والمرة الأخيرة وهي التي اقنعته بالاعتزال الكامل عندما خسر بطريقة محزنة (ضربة قاضية في الجولة السابعة) أمام «روكي مرسيانو» الذي أصبح فيما بعد بطلاً للعالم في الوزن الثقيل وكان ذلك عام ١٩٥١.

كان وزن جو لويس في حدود ٩٠ كيلو وطوله ١٨٣ سنتيمتراً وهي مقاييس أقل من تلك السائدة الآن (محمد علي يزن ١٠٠ كيلو وطوله ١٩٠ سنتيمتراً). من أشهر مبارياته المباراة الثانية التي ثأر فيها من «شمنلغ» الملاكم الالماني الشهير حين هزمه بضربة قاضية في الجولة الاولى. يقول حكم المباراة أن جو لويس سدد ثلاث لكمات مستقيمة الى وجه شميلنغ اتبعها بضربة مميتة الى كليته فوقع على الأرض دون حراك لمدة طويلة من الزمن.

لقد مر «جو لويس» في فترة من الضيق المالي الشديد نظراً لأنه بدد أمواله كما تراكمت عليه الضرائب بحيث اضطر أن يلعب كمصارع محترف رغم مايحيط بهذه المباريات من شكوك وأقاويل. وخلال احدى مبارياته في المصارعة داس مصارعاً ضخم الجثة خطأ على صدره فأحدث له نزيفاً داخلياً في أحد شرايين صدره مما اضطره الى اعتزال المصارعة نهائياً. وفي مطلع الستينات كان يقوم

بزيارة القواعد الأمريكية في الخارج والتحدث الى الجنود الأمريكيين لقاء أتعاب لا تزيد عن ٦٠٠ دولار للرحلة الواحدة. وقد حدث أن التقى به بطل العالم السابق محمد علي في أحد شوارع «شيكاغو» وعلم منه أنه في طريقه الى فرانكفورت فتأثر كثيراً لحاله وأقنعه بعدم الذهاب بعد أن قدم له مبلغاً كبيراً من المال.

ومنذ مطلع السبعينات بدأ جو لويس في العمل كمضيف في فندق «سيزار بالاس» في لاس فيغاس نظرا لما يتمتع به من شعبية واسعة. وفي عام ١٩٧٩ دخل المستشفى وأجرى عملية في قلبه، كما اصيب لاحقاً بعارض صحي أثر على نطقه وحركته. ونظراً لتراكم نفقات المستشفى عليه فقد أقام عدد من أصدقائه الفنانين ورجال الأعمال حفلة كبيرة في لاس فيغاس تم على أثرها جمع ٧٠٠ ألف دولار لتغطية ديونه ومساعدته على مواجهة أعباء الحياة بعد أن أصبح شبه مقعد. ولا يزال جو لويس يعيش في لاس فيغاس حتى يومنا هذا.

بعد اعتزال «جو لويس» جرت تصفيات للفوز ببطولة العالم للوزن الثقيل أسفرت عن فوز «ايزارد تشارلس» «Charles» على جيرسي جو ولكوت بالنقاط في عام ١٩٥٠. ويؤكد خبراء الملاكمة بأن «تشارلز» على درجة عالية من الكفاءة والحرفنة وأنه يعتبر ملاكماً كلاسيكياً بمعنى أنه يتقن جميع الحركات واللكمات. وفي عام ١٩٥١ جرت مباراة ثانية بين «ولكوت» و «تشارلز» أسفرت عن فوز الأول بالضربة القاضية في الجولة الثامنة رغم أن تشارلز كان متفوقاً منذ بداية المباراة. و «جو ولكوت» ملاكم اشتهر بأنه من القلائل الذين أوقعوا الملاكم الاسطورة جو لويس مرتين خلال لقائهما رغم فوز لويس في النهاية في المبارتين.

روكي مارسيانو: الصخرة

احتفظ «جو ولكوت» بلقب بطل العالم سنة واحدة فقط. ففي أول مباراة له مع متحديه الملاكم الأبيض والايطالي الأصل «روكي مارسيانو» فاز الأخير بالضربة القاضية في الجولة الرابعة عشرة وكان ذلك عام ١٩٥٢. والجدير بالذكر أن ولكوت استطاع في الجولة الرابعة ايقاع مارسيانو على أرض الحلبة غير أنه نهض بعد العد الخامس وأكمل المباراة ليفوز بها في الضربة القاضية. ويصف ولكوت شعوره لحظة تلقيه الضربة القاضية على النحو التالي:

«شعرت أن الأضواء في القاعة قد انطفأت فجأة. ثم شعرت أنني أحلق فوق السحب والغيوم، وتدريجيا بدأت استعيد وعي وأرى الأنوار في القاعة بشكل مهزوز الى أن أفقت نهائيا من حلمي لأجد أن الحكم قد تجاوز العد العاشر معلنا انتهاء المباراة».

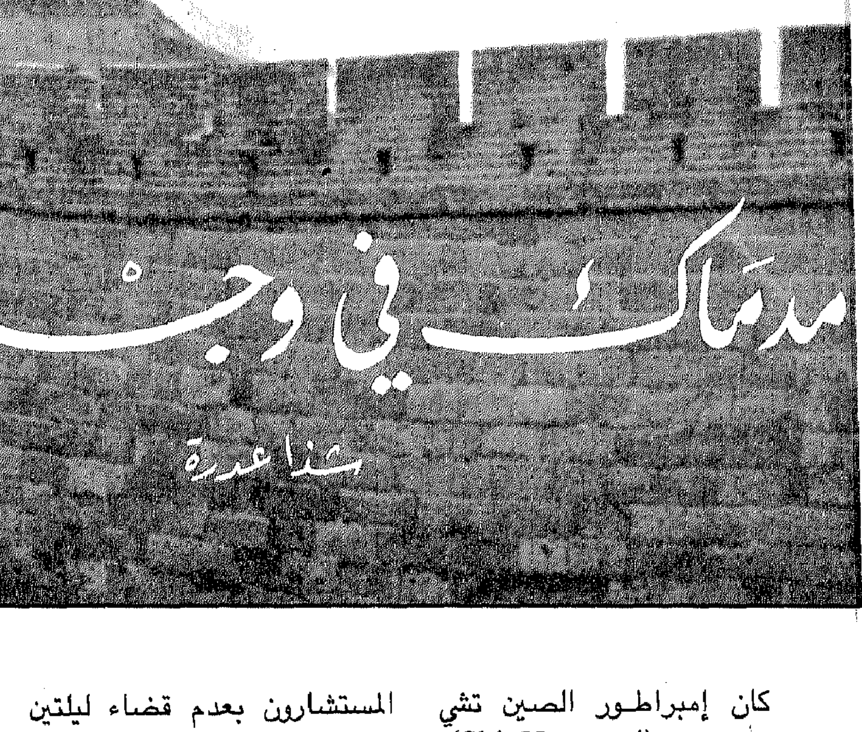
حافظ روكي الملقب بالصخرة على لقبه حتى عام ١٩٥٤ بعد أن هزم جميع منافسيه دون استثناء مع ملاحظة أن الأبطال الذين خاض ضدهم مبارياته لم يكونوا على مستوى فني رفيع. فجو ولكوت كان قد بلغ ٣٧ سنة وايزارد تشارلز الذي لقن مارسيانو درساً في فن الملاكمة رغم أنه خسر المباراة بالنقاط بعد ١٥ جولة كان قد تجاوز الـ ٣٥ عاماً وباقي الذين هزمهم مارسيانو ومنهم «دون كوكيل» البريطاني «ولاسترزا» الأمريكي كانوا ملاكمين متواضعي المستوى.

وباعتزال «مارسيانو» الحلبة دخلت الملاكمة مرحلة متردية بعد فوز باترسون كما شرحنا بالتفصيل في بداية هذا المقال الى أن جاء عصر محمد علي في الملاكمة والذي فضلناه في العدد الماضي. ■



نعتذر من القراء الأعزاء ومن الدكتور يوسف شبل عن الخطأ المطبعي الذي ورد في مقاله في العدد الماضي «عصر محمد علي ص٥٠ – ٥١» إذ رُكّبت الصور خطأ من اليمين إلى اليسار بدلاً من وضعها الصحيح من اليسار إلى اليمين – فعذراً.

سور الصين العظيم...



مدماك في وجه المغول

شذا عدرة

كان إمبراطور الصين تشي هوانغ – تي (Shi Hwang-ti)، شغوفاً بالأعمال البنائية. فقد كان قصره الرئيسي (من بين مائة وسبعين قصراً)، يضم عدداً كبيراً من الغرف. بحيث قيل أنه لو أراد أن يقضي ليلة واحدة في كل غرفة، لاحتاج من أجل إستعمالها جميعاً إلى ستة وثلاثين سنة.

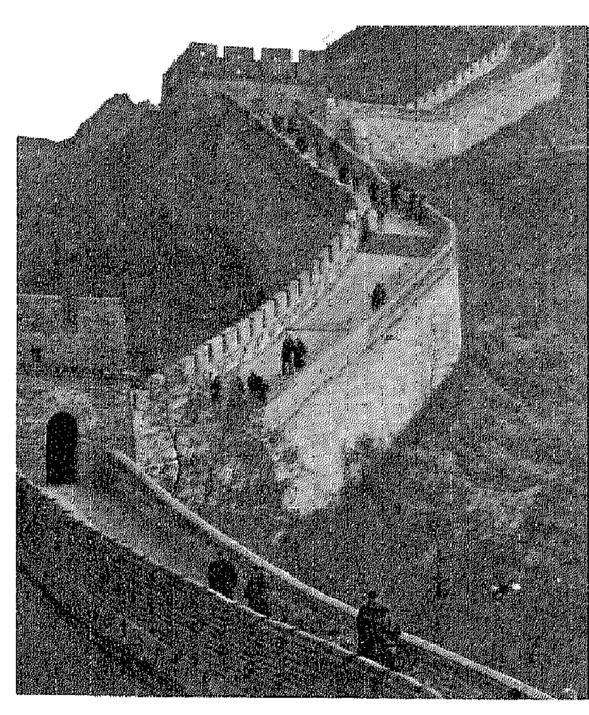
وتشي هوانغ – تي (Shi Hwang-ti)، الذي حكم بلاد الصين سنة ٢٠٠ قبل المسيح، كان يعيش مع مستشاريه في حالة رعب دائم من محاولة اغتيال قد يقوم بها ضده أحد أعدائه. لذا أشار عليه أولئك المستشارون بعدم قضاء ليلتين متتاليتين في نفس الغرفة. وهذا الأمر ما كان ليشكل لديه أية صعوبة بسبب مجموعة الغرف المتنوعة التي كانت متوفرة لديه.

لقد كان خوف تشي هوانغ – تي من أعدائه وشغفه بالأعمال البنائية، هما اللذان دفعاه إلى بناء «حائط العشرة آلاف ميل» على حدِّ قول أبناء الصين. أو«سور الصين العظيم»، على حدِّ قولنا. وكيفما يكون الأمر، فإنَّ أجزاء من السور قد وجدت لفترة طويلة قبل حكم «تشي هوانغ – تي (Shi Hwang-ti)».

يبلغ طول الحائط ٢٤١٥ كيلومتراً، محدثاً ممراً ملتوياً أثناء امتداده على طول التلال والأودية. وقد كان الصينيون لعصور قبل المسيح يعيشون في هاجس الخوف من هجوم مفاجيء قد تشنّه عليهم قبائل الشمال العنيفة – الهانز والمغول – أولئك المحاربون الشماليون الذين كانوا – على ما يبدو – مستائين من أرضهم الجرداء المعزولة حيث الرياح القاسية كانت تهب طوال فصل الشتاء والتي لا تلبث أن تتحول إلى معتدلة فوق أراضي الصين الغنية والمحروثة حرثاً جيداً. لهذا لجأ الصينيون في محاولة لحماية مناطقهم، إلى بناء سلسلة من القلاع على طول حدودهم، وقد أصبح لدى كل ولاية صينية

شذا عدره: ماجستير في التاريخ الحديث.

سور الصين، اليوم، معلم سياحي هام.



في ذلك الزمان، عدد من القلاع الحدودية والجدران الواقية من هجمات الأعداء ولم تزل تلك المظاهر الدفاعية، إلّا عندما وحّد تشي هوانغ – تي (Shi Hwang-ti) جميع الولايات الصينية.

شنّت قبائل الهانز في بداية حكم تشي هوانغ – تي (Shi Hwang-ti)، هجوماً عنيفاً على حدود الصين الشمالية، فأرسل عندئذ الإمبراطور الصيني ٣٠٠,٠٠٠ جندي لصدّهم؛ ولما كان النصر حليفه، إبتدأ في بناء جدار يصل بين جميع القلاع السابقة، وكان ذلك بمثابة حجر الأساس لسور الصين العظيم.

لم يكن تشي هوانغ – تي (Shi Hwang-ti)، من هواة «أنصاف الحلول»، فهو قد قرر بناء حصن ضخم على غرار ما فعل بقصوره معتمداً المغالاة في المقاييس البنائية. وكانت خطته ترمي إلى بناء سور يبلغ محيطه «١/٢٠ من محيط الأرض». ولأجل تحقيق ما يصبو إليه، سخّر ثلث أبناء مملكته ممن كانوا يتمتعون بأجسام سليمة من شعراء وكتبة ومجرمين وأسرى حرب، عملوا جميعهم جنباً إلى جنب تحت ظروف مناخية قاسية، فالرياح السيبيرية القاسية كانت تلسع أجسادهم في أيام الشتاء وأشعة الشمس المحرقة تحرقها خلال أشهر الصيف.

تراوح عرض السور الذي بناه أولئك الصينيون بين أربعة وخمسة أمتار، أما ارتفاعه فقد تراوح بين ستة وسبعة أمتار، ولكنه بلغ عشرة أمتار عند ممر نانكود (Nan-Kow)، وقد أقيم برج حصين عند مسافة كل مئة متر من السور.

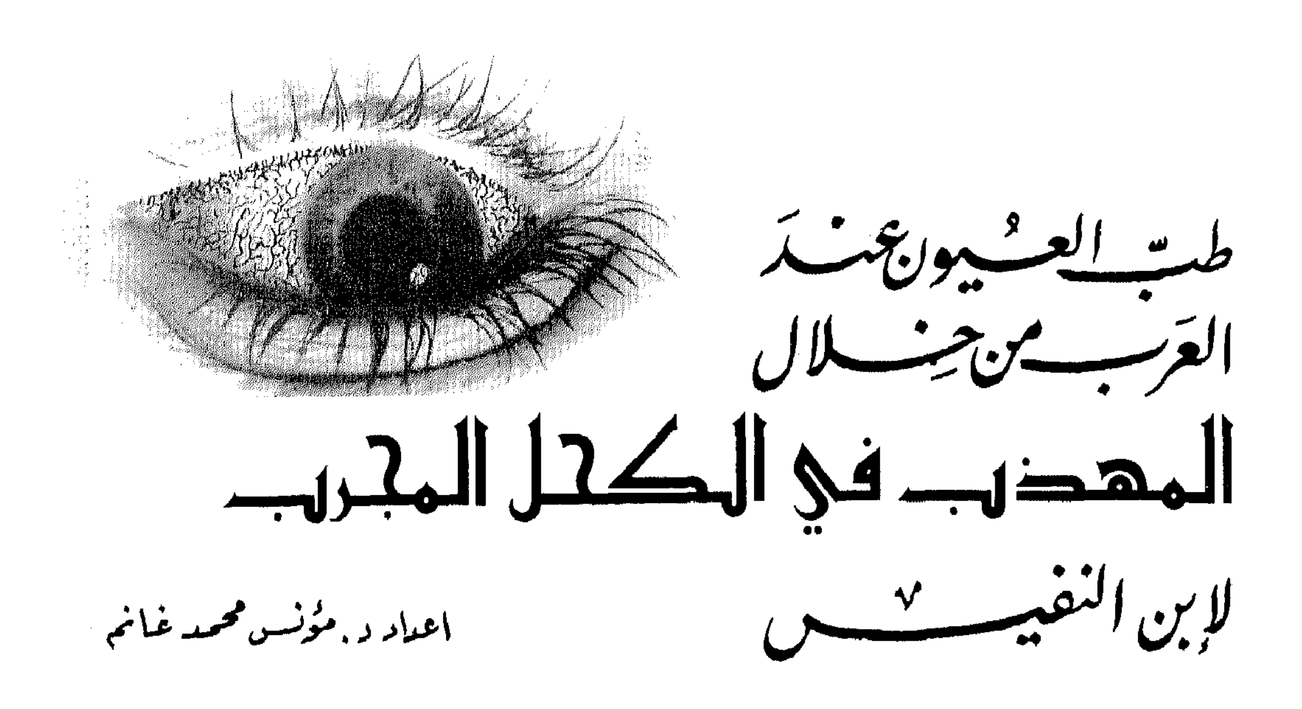
ولكن بالرغم من هذا الإنجاز الضخم، فإن السور العظيم لم يشكل عائقا أو عقبة في وجه جنكيز خان زعيم المغول الذي استطاع فيما بعد أن يكتسح الصين كما استطاعت أيضا حشود جيوشه اختراق ذلك الحاجز الحجري القرميدي الضخم الذي ما لبث أن امتلأت خنادقه بالدماء على حدٍّ ما جاء في مرثاة شاعر صيني.

لم يكتمل في عهد تشي هوانغ – تي (Shi Hwang-ti)، سوى بناء نصف السور، أمّا القسم الباقي منه والذي يتعرّج ويتلوى عبر تلال الجبل المهجور والصحاري الحارة، فقد اكتمل بناؤه خلال عهود الأباطرة اللاحقين لحكم الإمبراطور السابق ذكره.

توفي تشي هوانغ – تي (Shi Hwang-ti)، سنة ٢١٠ قبل الميلاد. وهذا الأمر لم يكن في حسبان الإمبراطور الصيني، لأنه كان يظن نفسه خالداً لا يطالُه الموت. وقد أوعز بتلك الفكرة إلى أفراد حاشيته الذين اقتنعوا هم أيضاً بقول إمبراطورهم إلى درجة لم يستطيعوا معها تصديق نبأ وفاته. ولهذا نجدهم قد وضعوا جثته على محفة خشبية وأخذوا يطوفون بها أنحاء البلاد، ولم يكونوا ليتوقفوا إلّا ليتيحوا لجمهور المحتشدين فرصة مشاهدته.

إستمر هذا العرض مدة تسعة أشهر، إضطر بعدها الصينيون إلى دفن جثة حاكمهم بسبب رائحتها الكريهة التي كانت قد أخذت تطغى على كل رائحة أخرى.

وأخيراً، فإن سور تشي هوانغ – تي (Shi Hwang-ti) العظيم الذي عاش ألفي سنة لكي يصبح احدى عجائب الشرق الكبيرة، لا يزال حتى الآن يتمتع بشكل أفضل بكثير من السور المشهور، الذي بناه الإمبراطور هادريان (Hadrian) في شمالي إنجلترا. ▪



طب العيون عند العرب من خلال المهذب في الكحل المجرب لابن النفيس

اعداد د. مؤنس محمد غانم

مخطوط لابن النفيس، توجد نسخة منه لم تنشر بعد وما تزال مخطوطة ومحفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم / ٨٤٣٥/.

وصف المخطوط:

يحتوي على نمطين، يضم النمط الأول جملتين، ويضم النمط الثاني سبع جمل.

النمط الأول: الجملة الأولى:

تبحث هذه الجملة في الجزء النظري من قواعد صناعة الكحل، وهي تحتوي على أربعة أبواب.

الباب الأول يقسم بدوره إلى فنين، الفن الأول يحتوي على عشرة فصول، وهو يبحث في تشريح العين، والفن الثاني يحتوي على عشرة فصول أيضاً وهو يبحث في الأبصار (فعل العين).

الباب الثاني يبحث في أمراض العين.

الباب الثالث يحتوي على فصلين، وهو يبحث في أسباب أمراض العين.

الباب الرابع يحتوي على فصلين أيضاً، وهو يبحث في علاقات أحوال العين.

ابن النفيس توفي (٦٨٧هـ - ١٢٨٨م)

هو علي بن أبي الحزْم القرْشي، علاء الدين الملقب بابن النفيس، رجل فكر وعلم، يُعد أعلم أهل عصره بالطب، أصله من بلدة قرْش ومولده في دمشق، أما وفاته ففي مصر. له كتب كثيرة مطبوعة ومخطوطة منها: «الموجز» اختصر فيه قانون ابن سينا، وهو في الطب، «فاضل بن ناطق» في الفلسفة، «شرح الهداية لابن سينا» في المنطق، «المهذب» في الكحل، «الشامل» في الطب، ومخطوطات عدة في جامعة ستانفورد بكاليفورنيا والمكتبة الظاهرية بدمشق. وكانت طريقته في التأليف ان يكتب من حفظه وتجاربه ومشاهداته ومستنبطاته، وقلّ أن يراجع او ينقل. وقد خلف مالاً كثيراً ووقف كتبه وأملاكه على «البيمارستان المنصوري» في القاهرة، عندما مات كان في الثمانين من عمره.

الجملة الثانية:

تبحث هذه الجملة في قواعد الجزء العملي من صناعة الكحل، وهي تحتوي على بابين،

الباب الأول: كلام علي في حفظ صحة العين.

الباب الثاني: وفيه خمسة فصول، وهو يبحث في علاج أمراض العين.

النمط الثاني: وهو يحتوي على سبع جمل،

الجملة الأولى: تبحث في أدوية العين، وتحتوي على بابين،

الباب الأول: وفيه خمسة فصول، وهو يبحث في الأصول العملية في أمر هذه الأدوية،

الباب الثاني: وفيه فصلان، وهو يبحث في أحكام أدوية العين الجزئية.

الجملة الثانية: تبحث في أمراض الجزء الخارجي من العين، وتحتوي على بابين.

الباب الأول: يبحث في أمراض الجفن، ويحتوي على ثلاثين فصْلاً،

الباب الثاني: وهو يبحث في أمراض المؤق، وفيه ثلاثة فصول.

الجملة الثالثة: تبحث في أمراض الجزء المتوسط من العين، وتحتوي على أربعة أبواب.

الباب الأول: يبحث في أمراض الملتحمة ويحتوي ثلاثة عشر فصلاً،

الباب الثاني: يبحث في أمراض الطبقة القرنية، ويحتوي على سبعة فصول،

الباب الثالث: يبحث في الأمراض المنسوبة إلى الطبقة العينية ويحتوي على ثلاثة فصول.

الباب الرابع:وهو يبحث في الأمراض المنسوبة إلى الحدقة، وهو يحتوي على ثلاثة فصول،

الجملة الرابعة: تبحث في أمراض جملة المقلة، وتحتوي على ثلاثة أبواب:

الباب الأول: يبحث في الحول.

الباب الثاني: يبحث في الجحوظ.

الباب الثالث: يبحث في غؤور العين وضمورها.

الجملة الخامسة: تبحث في الأمراض المنسوبة إلى القوة الباصرة، وتحتوي على سبعة أبواب.

الباب الأول: وهو يبحث في ضعف البصر،

الباب الثاني: يبحث في العشا (الشبكرة).

الباب الثالث: وفيه بحث عن الجهر (الخفش).

الباب الرابع: يبحث في الغُمور (ضعف رؤية القريب).

الباب الخامس: يبحث في نقرة العين من الضياء.

الباب السادس: يبحث في بطلان البصر.

الباب السابع: يبحث في تشوش البصر.

الجملة السادسة: وهي تبحث في أحوال الرطوبات وأرواح المقلة، وتحتوي على أربعة أبواب،

الباب الأول: يبحث في أحوال عارضة للرطوبة البيضية.

الباب الثاني: يبحث في أحوال عارضة للرطوبة الجليدية.

الباب الثالث: يبحث في أحوال عارضة للرطوبة الزجاجية.

الباب الرابع: يبحث في أحوال عارضة لما في العين من الروح.

الجملة السابعة: وهي تبحث في الأمراض المنسوبة إلى باقي طبقات العين، وتحتوي على بابين.

الباب الأول: يبحث في الأمراض العارضة لباقي طبقات العين.

الباب الثاني: يبحث في الأمراض العارضة للعصب النوري.

النص الحرفي لبحث السبل عن (مخطوط المهذب في الكحل المجرب) لابن النفيس.

السبل يقع في الفصل الثامن من المخطوط. وهذا المخطوط توجد نسخة منه ما زالت مخطوطة لم تنشر بعد... في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم / ٨٤٣٥/.

السبل هو غشاوة يشاهد في العين ذات عروق محمرة، واختلف فيها فقيل أن جميع أجزائها طبيعية، لكنها في الصحة صغيرة خفية عن الحس، وإذا نمت وامتدت في الأقطار كلها وعظمت، ظهرت للحس وأضرت بالعين وبالبصر. وقيل أن جميع أجزائها مرضية فإنه لو كان شيء منها طبيعياً كان قطعة وخاصة إذا تكرر ضاراً بالعين، وللأولين أن يحتجوا بأن من تلك الأجزاء عروق وأجزاء عصبية وهذه لا يمكن حدوثها بفعل الطبيعة فكيف بالمرض؟.

والحق أن هذا الغشاء ليس بطبيعي مطلقا وإلا لم يمكن تكونه واغتذاؤه، وكان إذا تكون يبلى على طول الزمان بذاته إذ لا قوة فيه تحيل الوارد إلى طبيعته بل هو طبيعي من جهة أنه حادث عن فعل الطبيعة، وغير طبيعي من جهة أنه إنما يحدث بحدوث حالة للعين غير طبيعية، وذلك لأن العين إذا ضعفت وكثرت فيها المواد أحالت الطبيعة تلك المواد الزائدة إلى ما هو للعين كالغطاء وكالجلد لتقيها من الآفات التي يتوقع حدوثها لها عند الضعف، وهذا كالظفرة، فإنما السبل إنما يخالف الظفرة لأنه في الأكثر يعم المقلة، ولا كذلك الظفرة، وإنما اختصت العين بذلك لما قلناه أولاً وهو أنها معراة من الجلد فيكون حالها كحال العضو. المسلوخ عنه جلده أو المتآكل جلده بقروح ونحوها.

وإنما لا تفعل الطبيعة في حال صحة العين لاستغناء العين حينئذ بقوتها عن زيادة التقوية على ما يحصل بالجفن، ولقائل أن يقول لو كان الأمر كما قلتم لوجب أن يتكون مثل هذا الغشاوة على الكمرة بعد قطع القلفة وجوابه أن الكمرة لا يكن عندها من المواد ما يتخلق فإنها كثيرة الرطوبة بجوهرها وبما ينتقل إليها من الدماغ فتكون المادة عند القوة متوفرة فلذلك أمكن أن يحدث عنها هذا الغشاء دون الكمرة على أن نقول أن الكمرة لا بد وأن يكون لها بعد قطع الكلفة تكاثف ينقص بسببه انفعالها عن الملاقيات فيجوز أن يكون عروض ذلك بحدوث شيء مثل هذا الغشاء لكن ما لم يظهر لذلك الحادث ضرر لم يجعل ذلك مرض ولم يعالج بالقطع ونحوه، بخلاف هذا الغشاء فإنه يضر بالإبصار بمقدار ما يستر من الحدقة فإن قيل لو كان هذا الغشاء من فعل الطبيعة لما لزمه ضرر وليس كذلك فإنه يضعف الإبصار حتى يصير كأنه من وراء ستار متغلغل، ويحدث الحكة والدمعة في العين ويهيئها لكثرة الرمد ونحوه من الأمراض الامتلائية، ويجعلها تنفر من ضوء الشمس وعن ضو السراج، وكثيراً ما تصغر له العين.

قلنا حدوث هذه المضار لا تنافي أن يكون هذا الغشاء بفعل الطبيعة أما أضراره بالبصر فظاهر فإنه قصد الطبيعة به زيادة الستارة للعين وذلك وإن نفع العين فهو يضر بالبصر، وذلك الإضرار لا ينافي المقصود، وأما الحكة والدمعة فلما يلزم هذا الغشاء من احتباس فضول العين تحته ولا ينافي ذلك نفعه بما هو ساتر ·ويلزم هذا الفضول كثرة الأمراض المادية.

وأما النفرة من ضوء الشمس والسراج فلما يلزم كثرة الضوء من تحريك تلك الفضول وأما صغر العين فلما يضعف من هضمها بسبب كثرة الفضول وكما ينصرف من غذائها إلى غذاء هذا الغشاء على أن حدوث الضرر بالشيء لا ينافي أن يكون حدوث ذلك الشيء عن الطبيعة ولذلك فإن السمن الزائد لأخف في اضراره وبأنه من فعل الطبيعة، وكذلك العضو الزائد ونحو ذلك، على أن الجرم في هذا بعيد وقد يحدث من كثرة امتلاء العروق الغائرة التي في الملتحمة واحتباس المواد والفضول تحت صفاتها حالة تشبه السبل وتسمى أيضا سبلاً وأكثره من نزلات إلى العين عن طريق الحجب الداخلة ولذلك يكثر معه العطاس خاصة عند الضوء الشديد لتسخينه المواد وتهييجه لها ويكون معه خربان في قعر



تشريح العين، لوحتان من مخطوطة للطبيب العربي حنين بن اسحاق (القرن التاسع م.) دار الكتب - القاهرة.

العين لتمديد المواد عند نفوذها من هناك.

والسبل يكثر في الرطوبيين الأدمغة لكثرة مواد وسمم ويكثر في جربي الأعين لاضعافه للعين وجذب ألمه للمواد إليها، ويكثر بعد الرمد الحار إذا بولغ في التبريد فيقل معه التحلّل وتحتبس الفضول، ولذلك قد يكثر في البلاد والأزمان الباردة بل وفي الأبدان الباردة أيضاً لقلة انحلال فضولها. والسبل من الأمراض المعدية بسبب استنشاق الهواء المخالط لما يبخر منه فيحيل الدماغ ونواحيه إلى طبيعته فلذلك إذا ضاق المسكن كان عدده أشد. وهو مما يتوارث في النسل لأن ما ينفعل من عين صاحبه من المني يكون كثير الفضول فتكون العين المتولدة منه كذلك.

العلامات: أما السبل الحقيقي فيعرف بمشاهدة هذه الغشاوة الظاهرة من عروق فيها حمر ممتلئة أو حمرة في العين لأجل الوجع والحكة وكثرة الفضول وبوجود ما ذكرناه من الأعراض اللازمة له وغير اللازمة. وتحدث معه حمرة في الوجه لكثرة ما ينزل إليه من السمحاق ودرور في العروق كذلك، وخربان في الصدغين لمزاحمة المواد النازلة للشريان الذي هناك، وإذا جذب الجفن الأسفل يشاهد ارتفاع طرف هذا الغشاء من الملتحمة، وأما القرني فيشاهد عليه شيء كالدخان مع عروق محمرة وإذا كان هذا السبل حاراً جداً كثرت الحمرة في العين وكثرت الحكة، وسيلان الدمع. وأما الغائر فيعرف بما ذكرناه ومشاهدة شيء كالغمام تحت صفاق الملتحمة مع حمرة يسيرة.

العلاج:

يجب أن يبدأ أولاً بتنقية البدن والرأس ونواحيه وتلطيف الغذاء ووجب تدهين الرأس بالدهن واجتناب ما يبخر وبالجملة جميع ما ينبغي لصاحب النوازل اجتنابه، ولقصد المآقين نفع ظاهر ولا بد من الغراغر والسعوطات ونحوها مما ينقي الرأس والبدن، فإن كان السبل خفيفاً وغليظاً فلا بد من لقطه، وكيفية ذلك: أن

يستلقي العليل وتفتح عينه إما بالفتاحات أو بإبهامي الخادم، فإن انزلق الجفن لترطبه ونحو ذلك فاجعل بينه وبين الإبهام قطن أو قطعة من خرقة وليحذر في هذا الفتح من أن ينقلب الجفن فيحدث في الأكثر الإلتصاق، وكذلك ينبغي أن ترفع الأهداب لئلا يقطعها المقراض، ثم يبدأ الأسى فيعلق السبل أولاً من عند المآق الأكبر بصنارة وعند الأصغر بأخرى وعند وسط

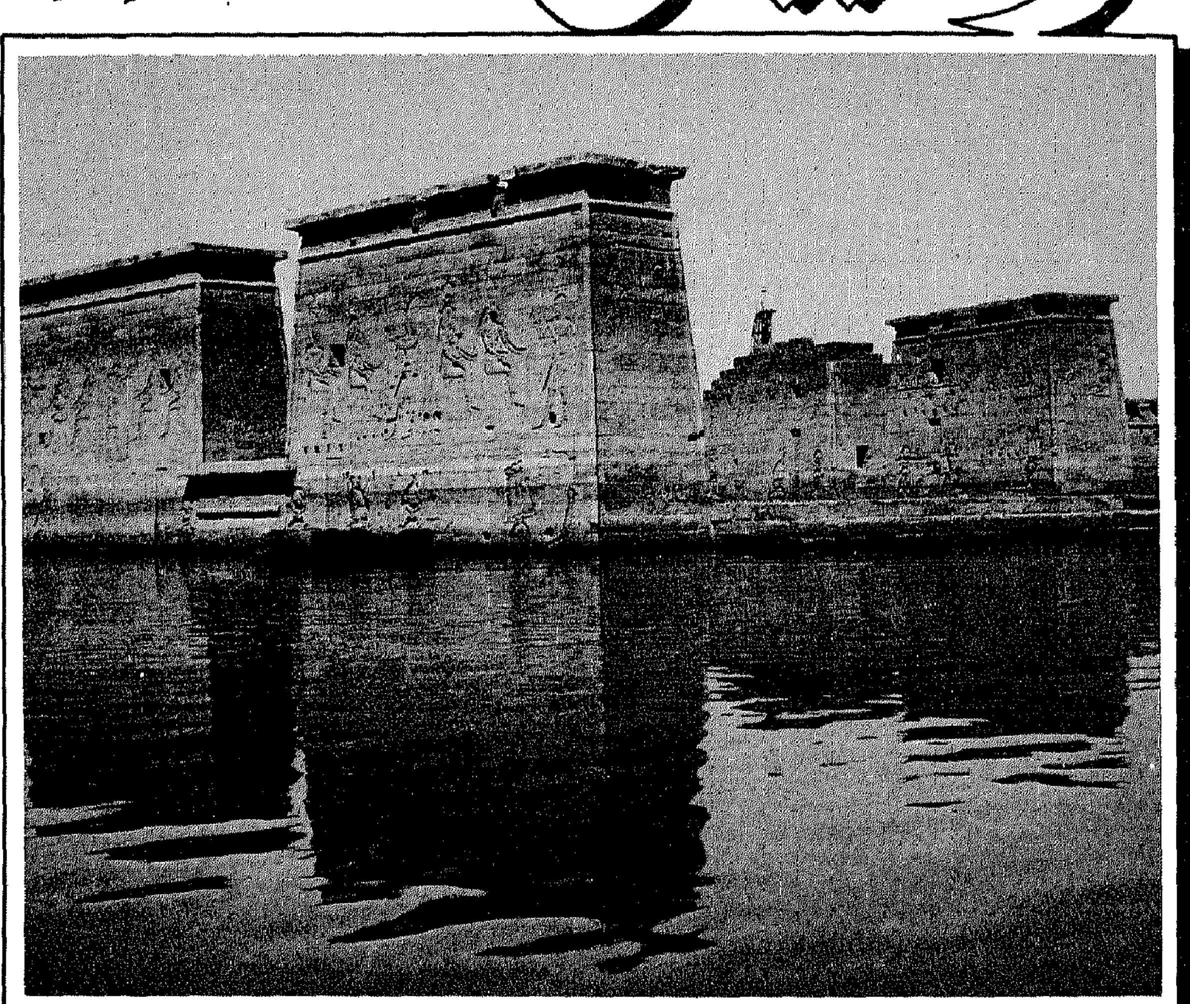
الملتحمة مما يلي أصل الجفن الأعلى باثنتين، وتفعل كذلك من جهة الجفن الأسفل ويقرض عند اللحاظ بقدر ما يدخل فيه المسلخ وتنفذ على الملتحمة إلى الموق الأكبر ثم تأخذ في القطع من اللحاظ مما يلي أصل الجفن الأعلى فإذا انتهى إلى الموق الأكبر قطع كذلك مما يلي أصل الجفن الأسفل، فإذا لم يبق تعلق إلا من ناحية القرني إجذب الصنانير قليلاً وحركها ليتم الكشاط مما هو على الإكليل ثم تقطعه من جهة اللحاظ إلى جهة الموق الأكبر وتخرج الجميع قطعة واحدة كالحلقة والفاصل من الانتباه يفعل ذلك بخفة وسرعة وتستأصل طبقات الغشاء كلها دفعة واحدة بحيث تنقى الملتحمة من غير معاودة للقطع والتعليق المؤلمين للمريض.

وقد لا يتهيأ ذلك فيقطع الجزء الذي يلي الأعلى أولاً ثم الذي يلي الجفن الأسفل، وقد يحتاج إلى معاودة التعليق والقطع إذا اتفق أن بقي بعض طبقات السبل وذلك بأن يكون تفويض الصنانير بحيث لا تنتهي إلى الملتحمة، ويعرف نقاء الملتحمة بإمرار المسلخ على ظاهرها فإن لم يتعلق شيء فقد نقيت، وكذلك ظهور بياضها وخلوها من شيء من أجزاء السبل. وإذا قطع عند المآق الأكبر فليحذر أن يقرض فتنتقص لحمة الموق ويعرض ما ذكرناه من المضار في موضعه، وإذا تم القطع وسال من الدم قدر الكفاية لف على طرف الميل قطنة ونقيت بها العين من بقايا الدم، ثم يبصق في العين لتسكين الوجع وغسل ما يحتبس فيها من الدم ثم يقطر فيها الريق المقصور من الكمون والملح المضوغين المصرورين في خرقة كتان صفيقة ثم بعد ذلك يقطر فيها دهن الورد المتخذ من الشيرج مضروبا بصفرة البيض وتغمد العين بقطنة مغموسة في دهن الورد وصفرة البيض، ويعاد تقطير ذلك في العين مراراً في ذلك اليوم وليلته مع كثرة تقليب المقلة والتحرز من النوم في تلك الليلة، ثم في أول النهار يغسل الوجه بماء طبخ فيه ورد، أو بماء خرج فيه ماء الورد، ثم تتأمل تحت الجفن بأن ندير تحته الميل الملفوف عليه القطن المغموس في دهن الورد، فإن وجدت فيه التصاقا فشقه بالمسلخ ثم تعاود تقطير الريق بعد مضغ الكمون والملح، وإلا فيعاد تقطير دهن الورد مع صفرة البيض وبعد ثلاثة أيام تستعمل هذه الذرور ثلاثة أيام أخرى وصفته: أترروت وسكر سليماني ونشا من كل واحد لصدر زبد البحر نصف درهم، زعفران، ربع درهم، صبر سوس درهم. فإن عرض في العين رمد عولج بعلاجه وإلا فيدخل الحمام ثم يكحل بالأكحال الجيدة وينبغي ترك اللحوم بعد اللقط ثلاثة أيام أو أربعة أيام مع الإجتهاد في تحريك العين لئلا يلتصق الجفن، هذا إذا كان السبل خفيفا وغليظا، أما الغايص والحقيقي الرقيق جداً فبعد التنقية وتقوية الدماغ بالروائح العطرة ولتكن محللة إلى حرارة لطيفة كالعنبر والند والغالية وكذلك الإشتمام من ماء الآس بقليل مسك. وهجر الأطعمة الغليظة كالكرنب والعدس واللبن والسمك والباقلي واللوبيا، والكثيرة التبخير وإن كانت حارة كالبصل والثوم، وتقبل على الأكحال الجلاءة المحللة كالروشنايا والباسليقون وكذلك أشيان الرازج والأشياف الأخضر وليكن الإكتحال بأن تقلب الجفن وتحك العين بالدواء وبعد سكون الحرقة تعاود الكحل. ثم بعد ذلك تكحل بالرمادي وماء البرود الهندي ونحوها. وقد يقارن السبل رمد فتكون العمدة على الإستفراغ والتنقية دون البردات والمخدرات ولا غبر حينئذ جيد، وإن كان مع السبل حرارة نفع منه شياف السماق ويتخذ من ماء السماق المنقوع المعقود بالصمغ والأترروت، وقد يتخذ من السماق وحده، وهو أيضا ينفع من الرمد المقارن للسبل ومما جرب للسبل الخفيف قشر البيض الطري في الخل ويجفف في الظل ويستعمل ناعما وأيضا المرقشيتا مع الرمادي، وأيضا برادة النحاس القبرصي بالبول وكذلك أشياف الأصطفطيفان والأحمر اللين والأحمر الحاد وطرخماطيقون ودوا مغناطيس، وفصد المآقين جيد للسبل وكذلك دوام اشتمام المرزنجوش، والتسعط بمثل هذا الدواء. وصفته: كندس يصدر مروانقان حضض ربع درهم، صبر أربعة دراهم دوانيق تعجن بماء المرزنجوش وتحبب كالعدس ويستعمل كل يوم حبة بلبن جارية، وكذلك الكندس وقصب الدريرة والورد أجزاء تدق وتنفخ في الأنف، والله تعالى أعلم. ■

النيل

من جبال القمر إلى أقدام كليوباترا

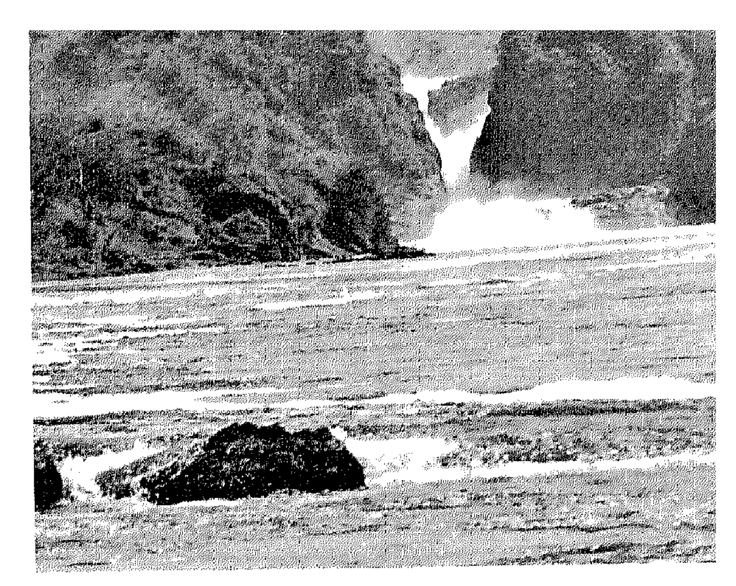
اعداد: سامي زكي



اعتبر المصريون أيام الفراعنة، نهر النيل إلها رهيبا صاحب نزوات. ومع ذلك فإن تمثاله الشهير والضخم في متحف الفاتيكان تظهره في مظهر أكثر وداً: فالتمثال يظهر النهر ممدداً بين القصب، يلف خصره الصيادون المحليون، وتعتلي رأسه باقة ورق بردي، وتحيط به من كل جانب مجموعة لا تحصى من الأولاد عند أقدامه، أو على صدره يحاولون أن يشدوا لحيته.

وبالنسبة للأوروبيين في العصر الحديث يعتبر النيل ذلك النهر المثير الذي أحضر نابليون لدراسته مجموعة من الجغرافيين وخبراء رسم الخرائط، فأعطيت لهم مرتبة الجنود في الحملة.

وكتب واحد من هؤلاء، وهو الرسام الشاعر



النيل الأزرق: سيولة الصاخبة مصدر الخصب

دومينيك فيفان – دينـون: «**منذ هيـرودوتس لم يجـرؤ المسافـرون على مغـادرة مراكبهم والابتعاد عنها على هذه الضفة أو تلك من النهر**». في تلك المرة، عندما نزل القائد الفرنسي إلى البر العصري، كان الوضـع مختلفاً. لأن العلمـاء انتهزوا فـرص الهدنـات لينزلـوا إلى الضفاف ويبتعدوا ما أمكن عن النهر في عمليات إستكشاف، ويجمعوا من كل موقع أثري ما يحلو لهم حمله.

ويقول سونيرون في كتابه «المصرلوجيا» (علم تاريخ الفراعنة ومصر القديمة) أنه «**عندما كان الجيش يهم بالرحيل، كانت ترسل فرق لجمع العلماء من مواقعهم، التي تفرقوا فيها. هكذا حصل في الدلتا. وكان الجنـود يرافقـونهم لحمايتهم**».

وإلى جانب عمليات «النهب التاريخي» التي قامت بها بعثة نابليون، فإن القـائد الفـرنسي استطـاع، بمن أحضرهم معـه من الموظفـين الأكفاء، أن يجهز هذه المناطق في مصر العليا والسفلى، وفي مدى أشهر قصيرة، بجهاز إداري مركزي شديد التماسك، مستعـد لكل وسـائل العمـل المتاحـة، من أجل تسخـير نشـاطـات المصريين لخدمة فرنسا. ولم يمض طويل زمن حتى أخذ الاهتمام بالآثار المصرية يعم، وعمليات الإحصاء والحصر تتزايد. وبدأ قياس أهم الآثار: فبلغت مساحة قاعدة الهرم الأكبر ٥٢ألف متر مربع، فيما تبين أن عدد الكتل الصخرية التي استخدمت في بنائه بلغ مليونين ومائتين وخمسين ألف كتلة، كل منها يزن ٢٥٠٠ كيلوغرام. كذلك قيس اتساع عين أبي الهول: متران.

ومضت عملية الإستكشاف إلى أبعد من ذلك. فاتجه العلماء إلى ضرورة الكشف النهائي عن «سر النيل» للتأكد من حقيقة خـرافة «جبـال القمر»، التي قيل أن منبع النيل فيها، وهو النهر الذي كان معظم مجراه لا يزال حتى ذلك اليوم محاطا بالغموض.

وصنمم الجغرافيون على ضرورة إستكشاف طول النيل (٦٧٠٠ كيلومتر) باتجاه المستنقعات السودانية أولًا، حيث يتشعب تشعبا لا حد له مشكلًا نوعاً من الدلتا الداخلي، وحتى البحيرات الكبرى: بحيرة البرت، بحيرة كيوغو، وبحيرة فكتوريا التي لم تكتشف إلا في العام ١٨٦٣.

بعثات علمية أم تجارة

وكمـا يفترض أسـاسـاً من مقـاصد هـذه الحملات «العلمية»، أخذت تفقد شيئـاً فشيئا طابعها العلمي المتجرد. فتحولت سريعاً إلى سباق سرعة بين فريقي إستكشاف، **هدفهما تقاسم** السيطرة على مناطق النفوذ والاستعمار. وأصبح المبدأ في المعسكرين: «**غرس العلم يعطي الحق في** التملك الوطني». وفيما بدا الفرنسيون والإنجليز متواطئين على مصلحة أبنـاء البلاد، إذا بهم يتحولون إلى التنافس المسلح، فيبرز في الساحة نوع جديد من الإستكشاف. كذلك، بدأت الأمور مشرقة مع مبشرين من نوع ليفنغستون، ولكن لم يلبث أن ظهر في أثرهم مهربو العاج وتجار الرقيق. ومن الخرطوم المركز التجاري الأهم للنيل السوداني، أخذت تنطلق من كل الطرق المتاحة، قوافل تهريب خشب الأبنوس باتجاه عدن، على الشاطىء الآخر من البحر الأحمر. ومعروف أن «رامبو» الشاعر الفرنسي الشهير، الذي عرف بأنه مهرب سلاح على هذه الطرقات، إتهم أيضاً بأنه تاجر بالرقيق.

ففي رسالة للسويسري الفريغ إلغ، مستشار الإمبـراطـور الحبشي منليـك، بتـاريـخ ٢٣آب (أغسطس) ١٨٩٠، قال المستشار لرامبو: «**أما العبيد، فاعذرني إن كنت لا أستطيع أن أهتم بهم. فأنا لم أشتر يوماً العبيد ولا أريد أن أبداً**».



مثوى الموت في «الأهرام» ومصدر الحياة في مياه النيل.

وهذه الرسالة التي تساق عادة كدليل مادي على متاجرة رامبو بالرقيق، تضاءلت صفتها الإتهامية بعض الشيء حين نشرت أخيراً (١٩٦٥) رسائل رامبو إلى الفريغ إلغ. وكان رامبو قد طلب من صديقه أن يؤمن له «للإستخدام الشخصي» بغلاً جميلاً جداً وولدين عبدين. وهذا يضعه في خانة شراة الرقيق، دون أن يثبت تهمة الإتجار.

لكن ثمة شيئاً يبقى أكيداً، وهو أن مسارعة المستعمرين إلى الاتجار بالرقيق من الخرطوم إلى عدن، مروراً بأديس أبابا، قادتهم بشكل غير مباشر إلى عمليات إستكشاف «للنيل الآخر»، النيل الأزرق، الذي تعتبر سيوله الصاخبة مصدر فيضان النيل، أي مصدر قوة النيل الإخصابية العظيمة.

مساواة على مستوى السلطة ولكن...

ولقد كان لمصر القديمة عنوانان للسحر: النيل، وكليوباترا. والواقع أن اسم كليوباترا ليس غير إسم واحدة من سبع ملكات مصريات عرفن به. وقد ملكن بلا منازع. تضاف إليهن الملكة الكبيرة حتشبسوت، التي خلفت تحوتمس الثاني. ولا بد للمناسبة من الإشارة إلى مدى تقدم الحضارة المصرية القديمة، التي منحت المرأة وضعاً قانونياً بارزاً في المجتمع، لم تبلغه لا قبل ولا بعد.

لم تكن الحال، كما يعتقد، أن سيطرة الرجال تخللتها بعض فترات سيطرت فيها النساء لصدفة معينة. بل كان الوضع المتوازن دائماً. فالرجل كان سيد الأسرة حقاً، لكن الميراث كان ينتقل عبر النساء.

لكن المساواة بين الجنسين لم تكن مماثلة لما يقابلها اجتماعياً. فالفلاح كان مقموعاً بشدة. ولم يكن راضياً كما يشاع اليوم عن الفلاح المصري. ففي أثناء عملية بناء الأهرام الكبرى، قامت إضرابات عظيمة عن العمل، حتى إن الكتابات الهيروغليفية، على عدد من الآثار، تحدثت عنها، منذ خمسة آلاف سنة.

إن في أوبرا «عايده» لفيردي، لحناً شهيراً اصطلح الموسيقيون على تسميته: «أغنية النيل العاطفية». ولعل هذا ما يجب أن تسمعه من النهر العظيم حين تقصده. ◘

معركة عين جالوت

حسن الأمين



«جاء الصليبيون من بلادهم جياعاً وشبه عراة يقودهم أمراء مفاليس. وإقطاعيون من حملة الألقاب عجزوا في بلادهم عن كبح جماع الفقراء الذين كانوا يسخرونهم في أراضيهم بعد أن ظهرت حركات تمرد وعصيان في معظم الممالك الأوروبية وإقطاعاتها. وساعدهم اليهود والمتموّلون فموّلوا تلك الحملات الهمجية. فأثقلوا أعناق الأمراء والملوك بالديون والفوائد. واتخذوا من النعرات الدينية، وسيلة لتحريض شعوبهم وتحميسهم لاحتلال بلاد العرب والمسلمين بعد أن جاءتهم تقارير من الحجاج الأوروبيين، ومن بعض السكان المسيحيين في منطقة الشرق الأدنى عن الكنوز والثروات والذهب والفضة والحجارة الكريمة الموجودة في قصور ملوك العرب وحكامهم.

ويقال مثل ذلك عن المغول الذين خرجوا من بلادهم جياعاً عراة للانقضاض على بلاد العرب والمسلمين. بقصد احتلالها. فأحرقوا العواصم كبغداد ودمشق، ودمروا المدن وقتلوا مئات الألوف من السكان في وحشية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً.

وتعتبر معركة «عين جالوت». التي قادها ملك مصر المظفر قُطُز والأمير ركن الدين بيبرس قائد جيش الحملة وكلاهما من العنصر الشركسي،من أعظم معارك العرب والإسلام ونقطة تحول في التاريخ العربي إذ لولا انتصار العرب في هذه المعركة، لاحتل المغول سائر الأقطار العربية ولكانوا أبادوا الملايين من سكانها كما فعلوا في بغداد ودمشق.

عندما زحف المغول بقيادة هولاكو، بأعظم قوة عسكرية على الشرقين الأوسط والأدنى. كانت هذه البلاد ما تزال دماؤها تنزف لما أصابها من جروح ثخينة من جراء تلك السلسلة الجهنمية من الحروب الصليبية السبع المتشابكة الحلقات. والتي دامت ١٦٢ عاماً أي من عام ١٠٩٨ وهو تاريخ الحملة الصليبية الأولى إلى عام ١٢٦٠ وهو التاريخ الذي جرت فيه «معركة عين جالوت».

وكان العالم العربي تحكمه قُوّتان: السلجوقيون يحكمون شماله الشرقي أي خراسان «فارس» والعراق وأقسام من آسيا الصغرى، والفاطميون ومن بعدهم الأيوبيون ثم المماليك البحرية يحكمون جنوبه أي مصر وسوريا وفلسطين ولبنان.

الحملة الصليبية الأولى

زحفت الحملة الصليبية الأولى عام ١٠٩٨ بقيادة المحرض الراهب بطرس الناسك وغوتيه سان زافوار في مقدمة الجيش اللجب، ولكنها هلكت ولم تتمكن من إحتلال القسطنطينية، عندئذ زحفت المؤخرة بقيادة بودوين الأول، وغودفروا دي بويون، فانتزعت من السلجوقيين «إمارة الرها» وراء نهر الفرات، وأنطاكيا بعد قتال عنيف، وتمكنت من تثبيت أقدامها في شمال وادي العاصي، فاحتلت معرة النعمان، ولم تتمكن من احتلال طرابلس وبيروت وصيدا، فاتجهت شرقاً وزحفت على القدس لمحاربة الفاطميين فحاصرتها واستولت عليها وسلطت سيوفها على سكانها في مجزرة شنيعة عام ١٠٩٩. وحولتها إلى مملكة لاتينية، نصب غودفروا دي بويون نفسه أميرا عليها لسنة واحدة. وبعد موته خلفه أخوه بودوين، وحاول ريموند دي سان جيل احتلال طرابلس. فأخفق فأقام عليها الحصار سنة ١٠٩٩ ولكن ما لبث أن مات عام ١١٠٥ دون أن يتمكن من فتحها.

وزحف بودوين على المدن الشاطئية في فلسطين ولبنان وحاصر طرابلس بمساعدة أسطول

البندقية «جنوا» وتمكن من احتلالها عام ١١٠٩ وحرق مكتبتها الكبرى وكان فيها ١٠٠ ألف كتاب.. وهكذا استطاع الصليبيون أن ينشئوا في وطننا العربي ثلاث إمارات: الأولى في القدس والثانية في أنطاكية والثالثة في طرابلس.

وبعد انتصار الصليبيين في الأناضول على السلجوقيين، قام عماد الدين زنكي زعيم الأتابكة الأتراك، فاستولى على القسم الداخلي من البلاد رغماً عن أنه كان حليفاً للسلجوقيين – وأسس فيه سلطنة جديدة جعل قصبتها «الموصل» وعين أسد الدين شيركوه الأيوبي – وهو من تكريت – قائداً لجيوشه.

ولما توفي عماد الدين خلفه ابنه نور الدين زنكي، فهاجم مدينة الرها سنة ١١٤٤ وحاصرها بمساعدة الأمراء المعنيين «الأوائل» وغيرهم من العرب والمسلمين ثم انتزعها بالقوة وطرد منها الصليبيين.

الحملة الصليبية الثانية

بعد ثلاث سنوات من إسترداد إمارة الرها، ووصول أنباء سقوطها بأيدي العرب إلى أوروبا، تشكلت حملة صليبية ثانية بقيادة كونراد الثالث أمبراطور ألمانيا، ولويس السابع ملك فرنسا. وقد حاولت هاتان القوتان التغلب على قوات نور الدين زنكي ولكن عبثا، وفشلت محاولتهما باسترداد الرها ومنيت بهزيمة مريرة، فعاد الملكان الى بلديهما خائبين.

وفي سنة ١١٦٨ زحف الصليبيون من فلسطين على مصر ليعوضوا خسائرهم بامارة الرها، فأوفد نور الدين زنكي قائد جيوشه أسد الدين شيركوه الأيوبي من دمشق لنصرة القاهرة، التي كانت ما تزال تحت حكم الفاطميين، واصطحب معه ابن أخيه الفارس صلاح الدين الأيوبي. فتقهقر الصليبيون، وتولى أسد الدين منصب الوزارة للخليفة الفاطمي العاضد، ولكن أسد الدين توفي بعد سنة، فحل صلاح الدين الأيوبي محله، وفي عام ١١٧١، ثم استتب لصلاح الدين الملك في مصر واستقل بها بعد وفاة نور الدين زنكي عام ١١٧٤.

وبعد سنتين هب صلاح الدين لتأديب الإسماعيليين «الحشاشين» فقهرهم في عكار وجبال العلويين.

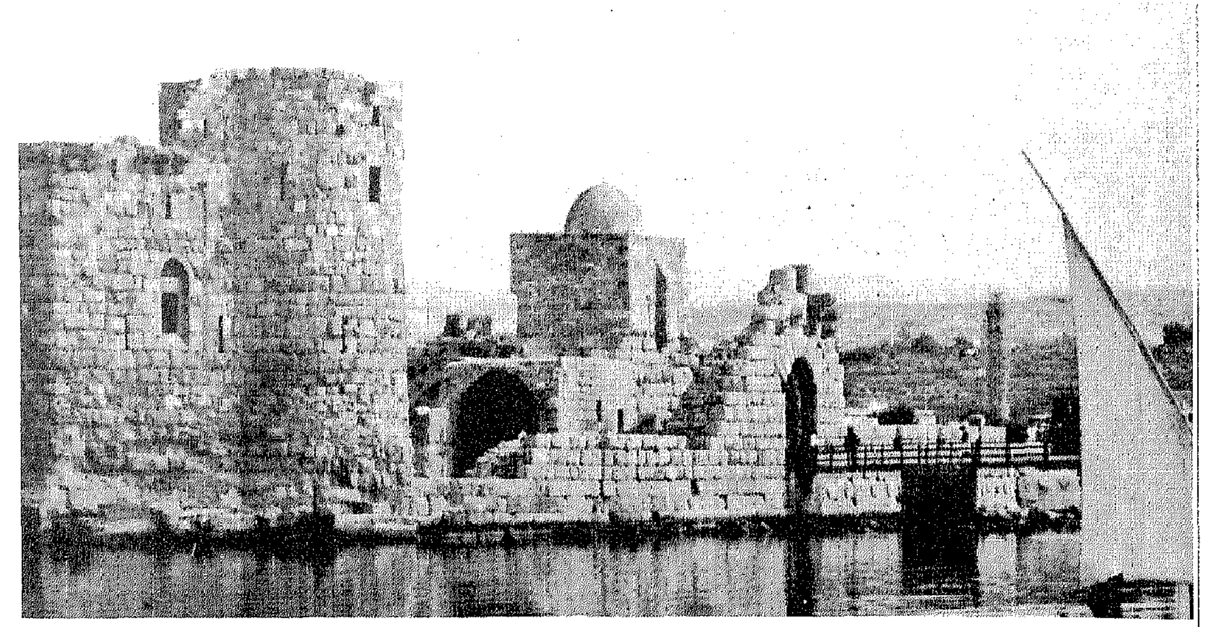
وعندئذ، انفسح أمامه المجال ليكرس نفسه لحرب الصليبيين، فأعد لهم ما إستطاع من القوة والرباط، وانضم إليه الأمراء الشهابيون في حوران، وبذلك تمكن من توحيد القوات المصرية والشامية، وشرعت كماشته من الشمال ومن الجنوب تضيق الخناق على الصليبيين المحصورين بين فكيها. وكانت تلك خطته الكبرى التي استطاع بها التغلب على الصليبيين. وهي خطة محكمة ما أحوجنا إليها في صراعنا الدامي مع الصهاينة.

وكانت فاتحة معارك في تلال حطين المشرفة على مدينة طبريا «فخاض غبارها وشرى وباعا» وهزم أعداءه واستولى على طبريا، ومن بعدها استرد عكا، وبذلك انكشفت القدس، فزحف إليها وقطع عنها الإمدادات وهو محاصر لها، وأخيراً طلب سكانها الصلح والتسليم، فسلموه مفاتيح المدينة، على أن يخرجوا منها آمنين بأموالهم وأولادهم لقاء الفدية.. واستسلم ملكها غي دي لوزنيان. ثم زحف صلاح الدين على المدن الشاطئية في فلسطين ولبنان فحرر معظمها، ولم يبق في أيدي خصومه سوى صور وطرابلس وأنطاكيا. وكان رائده في هذه الحملات التسامح والعفو عند المقدرة.

الحملة الصليبية الثالثة

ولما أراد صلاح الدين إطلاق سراح غي دي لوزنيان ملك القدس السابق، طلب إليه أن يخلد إلى السكينة وشرط عليه شروطاً بذلك. ولكن هذا غدر وخالف الشروط فزحف مع القوات التي تمكن من حشدها سراً على عكا، وأرسل إلى أوروبا في طلب نجدة عاجلة، فجاءت عام ١١٩٢، بقيادة فردريك أمبراطور ألمانيا الذي قاد القسم الأول من هذه الحملة فزحف وهو في طريقه إلى عكا على قيليقيا في جنوب آسيا الصغرى، ولكنه غرق مع العديد من رجاله في أحد أنهارها ورجع الباقون إلى أوروبا.

وقاد فيليب أوغيست ملك فرنسا القسم الثاني في هذه الحملة، فمخر بمراكبه البحر متوجها إلى عكا. وقاد ريكاردوس ملك الإنكليز، القسم الثالث في هذه الحملة، فأبحر بمراكبه إلى قبرس، وهناك



قلعة البحر في صيدا مبنية على أنقاض مباني معابد فينيقية قديمة كان يحتلها العرب تارة والصليبيون تارة أخرى ثم عادت إلى أهلها في النهاية.

وافاه دي لوزنيان وزحفا إلى عكا واندلع القتال من جديد مع صلاح الدين وقواته ودامت الحرب طويلاً، ثم انتهت بعقد هدنة لمدة ثلاث سنوات من شروطها أن تبقى المدن التي احتلها صلاح الدين في حوزته وترك قسماً من الساحل يمتد من صور إلى يافا بأيدي الصليبيين، وما بعد الساحل أي في داخل البلاد فهو لسكانها العرب.

وفي سنة ١١٩٣ كان مرض صلاح الدين بالحمى قد اشتد عليه فعاد إلى دمشق، وكان ذلك من أسباب عقده الهدنة المذكورة أعلاه، وهناك وافاه الأجل، عن عمر حافل بالمآثر والبطولات ومكارم الأخلاق، تاركاً مهام الحرب لورثته الأيوبيين.

الحملة الصليبية الرابعة

جاءت هذه الحملة بقيادة بودوين الرابع فأسس مملكة له في القسطنطينية من سنة ١٢٠٤ إلى سنة ١٢٦١.

الحملة الصليبية الخامسة

وصلت هذه الحملة إلى دمياط سنة ١٢٢١ في عهد الملك العادل شقيق صلاح الدين وكانت مؤلفة من الجرمانيين، فلم يستطع أن يحتمل الصدمة فقضى غير مأسوف عليه وكانت وصيته لابنه الملك الكامل: «عليك بإخراج الصليبيين من دمياط مهما كلف الأمر..» ونفذ الملك الكامل وصية أبيه فنازل المحتلين قرب المنصورة، وأغرق «عامداً» السفن المصرية في نهر النيل، فحال بذلك دون تقدم المحتلين، الذين وجدوا أنفسهم محصورين بين البر والنهر وأخيراً طلبوا الصلح وجلوا عن دمياط بعد أن احتلوها زهاء ٤٠ شهراً.

الحملة الصليبية السادسة

والغريب في الأمر أن الملك الكامل الذي لم يتخاذل أمام أعدائه في دمياط، تخاذل في فلسطين، عندما وصلت الحملة الصليبية بقيادة فردريك الثاني امبراطور ألمانيا، وإذا به يعقد معه صلحاً بأبخس ثمن مجللاً نفسه وسمعته بالخزي والعار، فتنازل للأمبراطور الجرماني عن القدس والمنطقة الساحلية الممتدة من صيدا إلى عكا، وأطلق سراح الأسرى من الصليبيين، مقابل تعهد من الأمبراطور الجرماني بالدفاع عنه ضد أعدائه أبناء صلاح الدين، فنشب صراع دام بينه وبينهم، وعلى الأخص من بينهم الملك المعظم حاكم دمشق. ثم اندلعت الحرب بين الفريقين فاستنجد الملك الكامل بالخوارزميين الذين زحفوا على البلاد العربية قادمين من بلاد التتر.. وبذلك

تمكن من محو العار الذي لحقه فاسترد القدس وبعض المدن الساحلية عام ١٢٤٤ وعاش بعدها تسع سنوات وأخيراً توفي عام ٦٣٥ هجرية. فتولى بعده الملك ابنه الأمير سيف الدين الملقب بالعادل وهو الأصغر في حين كان أخوه الأكبر الأمير نجم الدين الملقب بالصالح يحكم دمشق وبلاد الشام.

وعلى أثر موت الملك الكامل حدث إضطراب كبير في مصر فانقسم سكانها إلى طوائف متناحرة، بعضها يؤيد الملك العادل «الجديد» والبعض الآخر يطالب بتولية الإبن الأكبر وهو الأحق بالوراثة أي الأمير نجم الدين الملقب بالصالح. وكان من هذه الفئة المماليك الذين أصبحوا كتلة لا يستهان بها.

وكان الأمير نجم الدين حاكم دمشق متزوجاً من فتاة شركسية مملوكة تدعى «شجرة الدر» وهي التي لعبت دوراً بارزاً في سياسة مصر.. فراحت تراسل المماليك أبناء جلدتها وتحرضهم على الملك العادل. فنجحت باستمالة قلوبهم إلى زوجها، ووصلتها منهم رسائل تشجع زوجها نجم الدين على دخول مصر ليكون له ما يريد.. ولما كاشفت زوجها بما فعلت أكبر همتها وشرعا يُعدان العدّة للسفر خفية إلى القاهرة.

ووصل الأمير نجم الدين مع زوجته شجرة الدر ومماليكه وأعوانه إلى القاهرة، ونزل في ضيافة المماليك، فأعدوا مؤامرة للانقضاض خفية على قصر الملك العادل، ولكن الخطة اكتشفت على باب القصر، فوقع قتال عنيف بين أعوان الأخوين المتناحرين على الملك إنتهى بهروب الملك العادل من القصر إلى بلبيس، فاقتفى نجم الدين أثره وقبض عليه وعامله معاملة حسنة، وفرض عليه الإقامة الجبرية - وهكذا نصب نجم الدين ملكاً على مصر والشام باسم الملك الصالح سنة ٦٣٧ هجرية..

وانتشرت في عهده الفتن والمؤامرات في مصر فكان كلما تمكن من إخماد فتنة إشتعلت أخرى، ولما استتب له الأمر أخيراً، أصبحت بلاد الشام مسرحاً للفتن والمؤامرات. فسافر إلى دمشق وراح يعمل على إطفاء نيران الفتن واحدة بعد أخرى، حتى نُهك وأصيب بالعلل، فأطال مدة إقامته فيها حتى يُبل، وفي أحد الأيام تلقى رسالةً من زوجته شجرة الدر تخبره فيها أن الصليبيين يحتشدون في قبرص ويستعدون للانقضاض على مصر.. فأسرع بالعودة إلى القاهرة.

الحملة الصليبية السابعة

جاءت هذه الحملة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا سنة ١٢٤٨. فنزل في قبرص ريثما يستعد، ثم أبحر منها إلى دمياط فاحتلها. وفيما كان الملك الصالح يعد العدة للهجوم على دمياط. أصيب بإعياء شديد وعاوده مرضه القديم فأدركته المنية قبل نشوب المعركة. فأستُدعي ابنه وولي عهده طوران شاه من حصن كيفا على شاطىء دجلة، للعودة إلى مصر، وتولت «شجرة الدر» مقاليد الحكم بالنيابة.

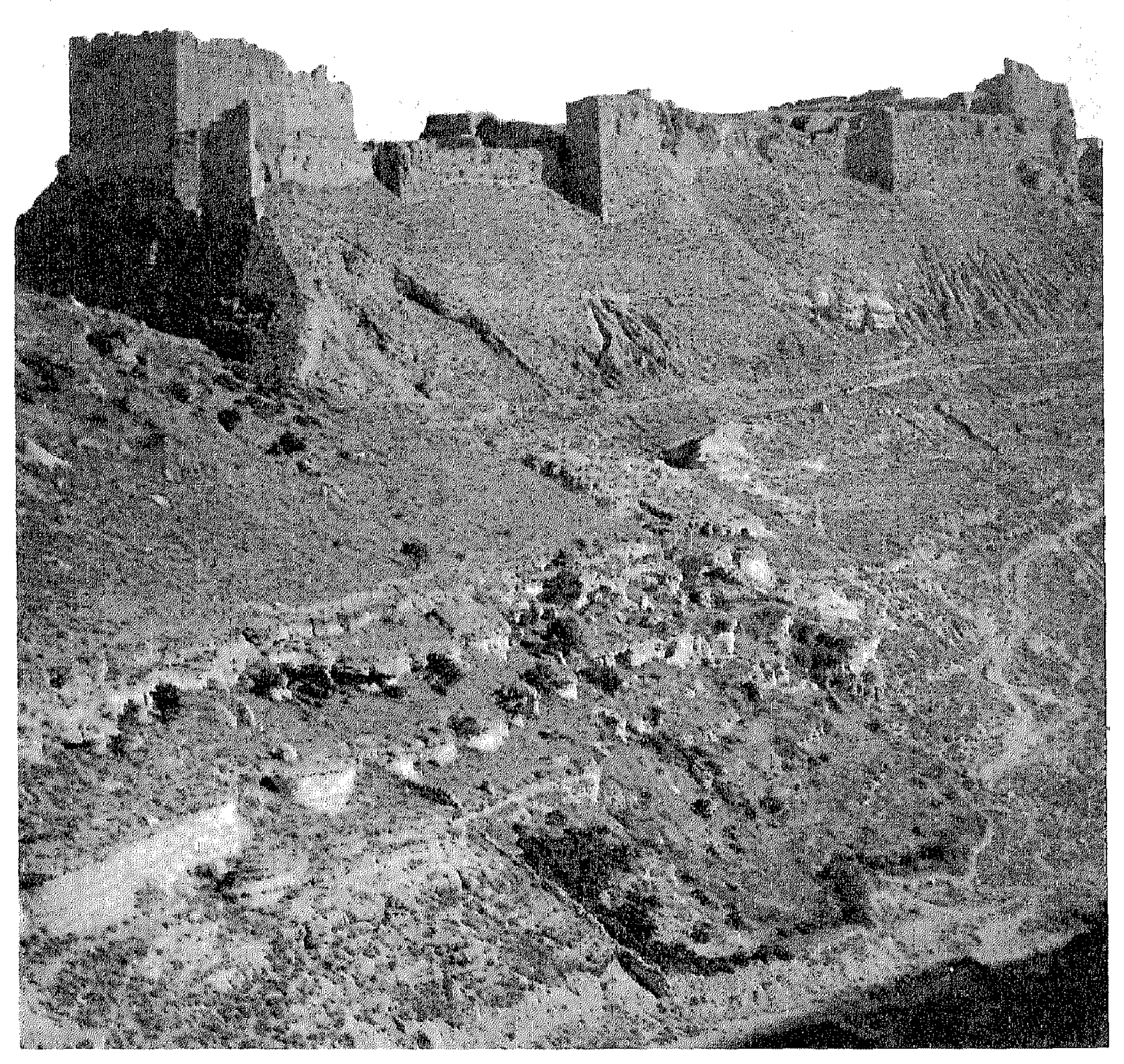
وكانت شجرة الدر قد أُخفت موت زوجها عن الشعب، ولم يكن يعلم به إلا المماليك. وفي هذه الأثناء زحف الملك لويس بقوّاته من دمياط على المنصورة، وفي أول المعركة التي قادها الأمير فخر الدين «وهو من المماليك» أبدى مقاومة باسلة وفنونا عجيبة في القتال إلى أن سقط شهيداً، فتولى زمام المعركة بعده ركن الدين بيبرس والذي سنشاهده عما قريب مع الملك سيف الدين قُطز يحارب المغول. فانتصر بيبرس على رأس المماليك ودحر الصليبيين الذين عادوا إلى دمياط وتحصنوا بها.

وما كاد طوران شاه يستلم الملك بعد أبيه حتى أخذ ينفذ وصيته بطرد العدو من بلاد العرب.

وبعد معارك طاحنة بين الفريقين انتصر المصريون، ووقع الملك لويس أسيراً فأحسنت معاملته ووضع، في دار القاضي فخر الدين بحراسة الطواشي لقمان وبعد فترة افتدى لويس نفسه بـ١٠٠ ألف دينار فعاد إلى جنوده ورحلوا جميعاً فاشلين إلى عكا سنة ١٢٥٠ ومنها انتقل إلى بلاده خائباً بعد أربع سنوات من القتال الشديد.

وبعد عشر سنوات زحف المغول على بلاد العرب حيث التقى الجيشان العربي والمغولي في «عين جالوت».

ولتكملة مسلسل الأحداث، فقد قتل طوران شاه وتولى الحكم عنه بالنيابة حسام الدين..



قلعة الكرك بناها الصليبيون في القرن الثاني عشر على أنقاض قلاع سابقة بنيت في عهد الأنباط. وفي القلعة متحف قديم يعد من أروع المتاحف المماثلة.

وبدأ القادة المماليك يفكرون فيمن يولونه بعد طوران شاه، ولم تطل مدة تفكيرهم فقرروا بالإجماع تولية «شجرة الدر» ملكة على مصر، فاحتلت القلعة المنيفة الرابضة على قمة جبل المقطم المطلة على القاهرة التي أقام فيها من قبل صلاح الدين والورثة والمغتصبون من بعده. ثم اضطرت أمام حملة التشكيك بها الى الزواج من الأمير عزالدين ايبك ونصبت الأمير الأشرف موسى الأيوبي وهو في السادسة من عمره شريكاً لها في الحكم. وبحكم زواجها من الأمير عزالدين أصبح حاكماً لمصر بإسم «المعز ايبك».

وبدأت تصل إلى مصر انباء تتحدث عن حشود المغول الزاحفة على إيران والعراق وهنا قرر المعز ايبك توحيد الأمة لتقف كلها صفاً واحداً أمام الخطر المحدق بالبلاد، فطرد الأمير الصغير موسى الأيوبي من الحكم، فأصبح بذلك الحاكم المطلق في مصر، وعقد صلحاً مع الناصر يوسف الأيوبي حاكم حلب وأخمد ثورة قام بها بعض الأعراب في أطراف مصر، ثم شرع يدبر مؤامرة لقتل زعيم المماليك فارس الدين أقطاي وكان رفيقه بالجهاد وتم تنفيذ المؤامرة في القلعة.

ولما علم المماليك بمقتل زعيمهم اجتمعوا سبعمائة فارس تحت أسوار القلعة بقيادة ركن الدين بيبرس وهموا باقتحام أبوابها، فرمى إليهم المعز برأس زعيمهم أقطاي فدهشوا ووقع الخلاف فيما بينهم، وأخيراً قرروا الهروب إلى حلب.. فسارع المعز وقبض على الباقين منهم فقتل بعضهم وسجن البعض الآخر.

ورحب الملك الناصر الأيوبي حاكم حلب بالمماليك الملتجئين إليه ومنحهم الأموال وخلع عليهم. وكانوا في الحقيقة فرساناً أشداء وهم الذين قضوا على حملة الملك لويس التاسع.

وبث الملك المعز عيونه وأرصاده على المماليك اللاجئين في حلب، فعلم أنهم يحرضون الملك الناصر على غزو مصر، فكتب إليه يحذره من المماليك، ولكن التحذير وصل بعد فوات الأوان، لأن الملك الناصر كان قد أعد جيشاً وزحف به لغزو مصر ومعه فرسان المماليك المغضوب عليهم.

والتقى الجيشان قرب العباسية في مصر، ولكن المعركة ما لبثت أن تحولت إلى عتاب ومصالحة، فعقد الملكان بينهما صلحاً من شروطه العفو عن المماليك وعدم ملاحقتهم بأي أذى.

وهكذا استطاعت المصلحة الوطنية التغلب على النزعات والأحقاد الشخصية تجاه الخطر المغولي الداهم الذي بدأ يتحرك من الشرق لا يترك بلداً إلا دمرها أو أرضاً معمورة إلا وفرقها وقتل من فيها ولا دياراً مسكونة إلا وأشعل فيها النيران، لقد خرجوا من عرائنهم كالأعاصير المدمرة، ليس لهم من أرب أو مقصد إلا تدمير الحضارة الإسلامية التي شيدها العرب في عدة أجيال بأيّام معدودة.

ووقع الخلاف بين «شجرة الدر» وزوجها المعز أيبك فهجرها، وفي لحظة من لحظات تغلب الشر على الخير أعدت له مؤامرة في القصر، وكانت قد استدعته وصالحته ولما دخل الحمام انقض عليه المماليك وفي أيديهم السيوف وقتلوه أمام عيني زوجته التي راحت تبكي بعد أن مس الندم شغاف قلبها. وفي نفس العام قُتلت «شجرة الدر» بيد ضرتها فدفنت داخل مقصورتها في المسجد المعروف باسمها بجوار السيدة نفيسة في القاهرة.

وبموتها زالت دولة الأيوبيين من مصر، الذين جاهدوا بأنفسهم وأموالهم في رد هجمة الصليبيين عن البلاد العربية، وبأفول نجم الأيوبيين تألّق نجم المماليك الذين اشتراهم ملوك الأيوبيين من أسواق النخاسة. فعلموهم ودربوهم وأسلموهم قيادة جيوشهم، ويشاء الله أن يكون خلاص الأمة العربية من المغول البرابرة على أيدي سلاطين المماليك.

بعد الملك المعز ايبك تولى الحكم إبنه الملك المنصور علي، عام ٦٥٧ هجرية ، ثم جاء بعده الملك سيف الدين قطز وفي أيام هذا زحف المغول على بغداد ثم دمشق ونكلوا بهما شر تنكيل.

معركة عين جالوت

لا أحسب أن أمة نُكبت بمثل ما نكبت به هذه الأمة في الغزو المغولي الذي بدأه جنكيز خان وأكمله هولاكو. ولا أحسب أن شعبا إستهدف لمثل ما إستهدفت له الشعوب التي جاءت على طريقة هؤلاء الغزاة المرعبين الذين تجاوزوا كل حد في القتل والتدمير والغدر والإباحة، والذين أنسوا كل ما سطّره التاريخ من أهوال.

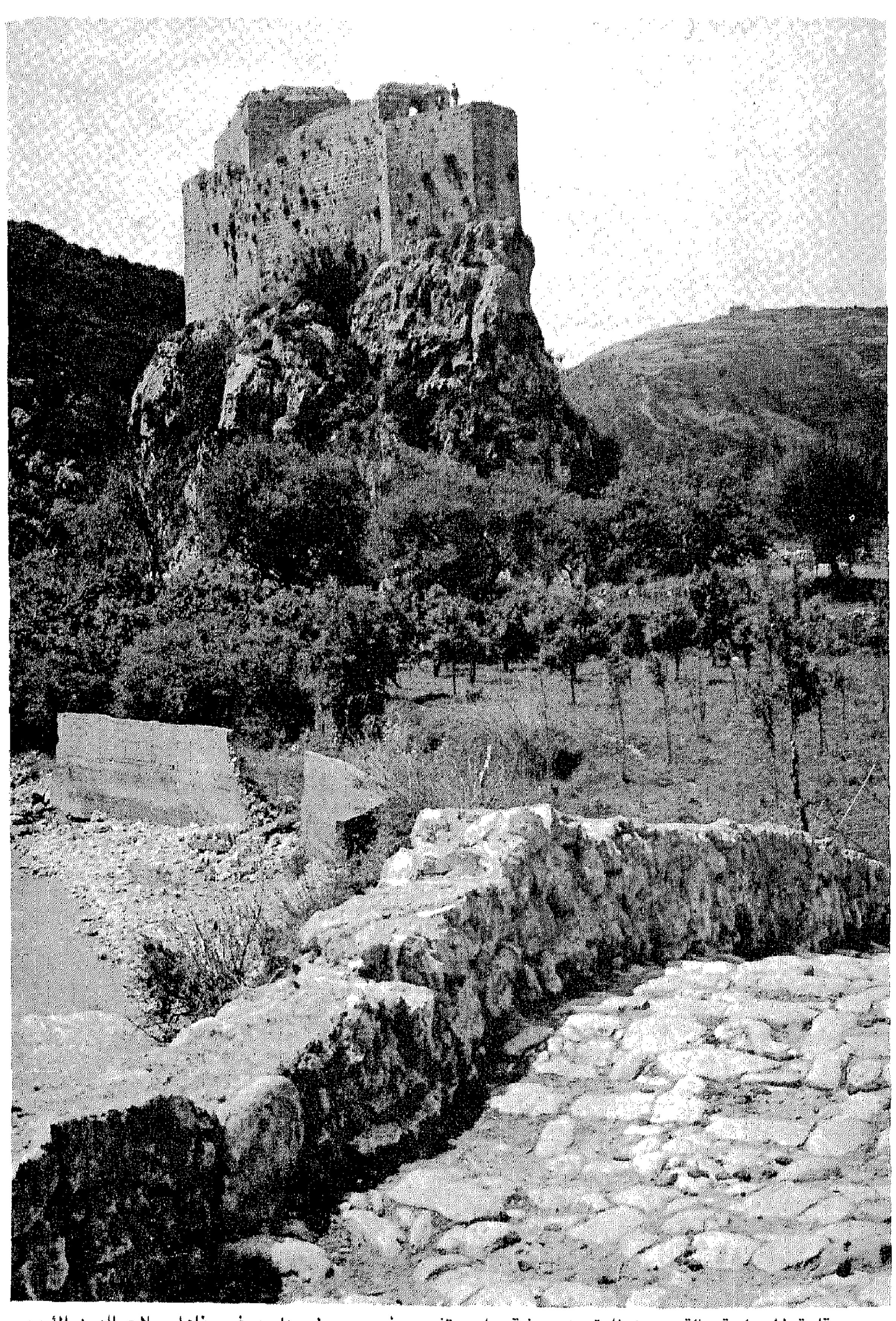
فلم تكن غايتهم توسيع ملك، وحكم شعوب، واحتلال بلاد مما يمكن أن يكون غاية كل فاتح مجتاح. ولا كان الدافع حسب السيطرة والتحكم والاغتناء فحسب، بل كان الدافع حقد الوثنية على التوحيد وكره الجهل والعماية للعلم والهدى.

ومن هنا لم ينفع الناس مقاومة ولا تسليم. ولم يجدهم أمان ولا إيمان، فالمدافعون المهزومون يبادون، والمصالحون المستأمنون يقتلون، ثم بعد كل ذلك إحراق للكتب واستئصال للعلماء.

ومضى هولاكو على هذا السبيل. فدمر إيران وقوض العراق، ثم نفذ إلى الشام مستهدفاً مصر لتعمّ كارثته وتطغي مصيبته.

وبينما كان يهم بالخطوة الجديدة، بلغه نعي أخيه ومليكه «منكوقاآن» وترامى إليه أن نزاعاً بين أهله يوشك أن يحل، فلم يشأ أن يستأثر غيره بسيادة الموقف الجديد، فآب إلى بلاده مخلفاً جيوشه الكثيفة على أهبتها لغزو مصر. بعد أن دكت صروح دمشق، بقيادة «كيتوبوقا» اشرس قواده.

وكان هولاكو قد أنفذ قبل رحيله نذيراً إلى حاكم مصر الملك المظفر سيف الدين قُطُز مع



قلعة المسيلحة بالقرب من البترون، مبنية على مرتفع صخري وسط سهل صغير بناها صلاح الدين الأيوبي أثناء الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر بعد معركة حطين الشهيرة سنة ١١٨٧.

واحد وأربعين رجلاً من رجاله الأشداء.

وكانت أنباء مجازره وانتصاراته قد عمت الدنيا وملأتها رعباً، وما كان ذلك إلا ليزيد جيوشه نشوةً ببأسها، وفظاعة بتمثيل جرائمها. وكانت الجماهير في كل مكان يوقنون بالفشل إن قاوموه بعد أن كسر في زحفه ما لا يكسر وفتح ما لا يفتح. وبعد أن تشرّدت شعوب جمة وهامت على وجوهها. فالناجون من إيران فروا من الموت إلى الهند والمفلتون من الويلات في العراق إتخذوا الطريق الصحراوي مفزعاً إلى الحجاز والذين نجوا من مذبحة دمشق هاموا على وجوههم متجهين شطر البلاد العربية إلى فلسطين ثم إلى مصر.

في ذلك الجو المشحون بالهزائم المفعم بالرعب والفزع والتخاذل مضى وفده يحمل إلى حاكم مصر ذلك الكتاب:

«إن الله تعالى قد رفع شأن جنكيز خان وأسرته ومنحنا ممالك الأرض برمتها، وكل من يتمرد علينا، ويعصي أوامرنا، يقضى عليه مع نسائه وأبنائه وأقاربه والمتصلين به وبلاده ورعاياه، كما بلغ ذلك أسماع الجميع، أما جيشنا الذي لا حصر له فقد بلغ الشهرة كقصة «رستم وأسفنديار» فإذا كنت مطيعاً كخدم حضرتنا، فأرسل إلينا الجزية واقدم بنفسك وأطلب الأمان وإلا فكن مستعداً للقتال».

ذلك هو الإنذار المخيف الذي حمله رسله الواحد والأربعون مغولياً إلى سلطان مصر، وذلك هو التهديد المروع الذي داهم القاهرة – وكانت كل جملة في ذلك الكتاب صحيحة صادقة، فقد دانت لهم ممالك الأرض، وكل من تمرد عليهم أهلك وخربت بلاده. وكانت شهرة جيوشهم أعظم من أن يُنوّه بها وصار عظماء الدول وكبراؤها خدماً في الحضرة المغولية.

وهبط الوفد مصر جباراً متكبراً، يزلزل بخشونته العزائم، ويوهي بمظاهره المتنمّرة الهمم هبط مصر وهبط معه تاريخ أسود من الإنتصارات الكاسحة وشهرة ترتعد من أهوالها الفرائص. وكان كل ذلك كافياً لا بل ومُحثّاً على التسليم، لولا أنهم جوبهوا بحمية شماء، ورجولة أنوفة، وبطولة من أخص خصائصها الفداء، والحرص على الموت في ميدان القتال.

وكان قد سبق الوفد المغولي إلى مصر شراذم وجموع الناجين والمنهزمين من البلاد المنكوبة، التي أطاحت بها الضربات المغولية، فتساقطت بلداً بعد آخر، وتجمع العديد من الناجين في مصر – وهاهم المغول يلاحقونهم إلى القاهرة وينازلونهم على النيل.

وكان الأمر أخطر من أن يقطع به إنسان واحد، وكانت مصر آخر معقل فإذا هوت.. لم تقم بعدها للإسلام قائمة. لذلك لم يجرؤ رجل فرد مهما أوتي من سداد الرأي وقوة العزم أن ينفرد بالقرار، فجمع الحاكم المصري الملك المظفر قطز مؤتمر عسكرياً، حضره فرسان المماليك وعلى رأسهم القائد الكبير ركن الدين بيبرس.

وكان المؤتمر العسكري في محاوراته ونقاشه في أرفع مستوى عرفه التاريخ من الإجتماعات العسكرية والمؤتمرات الحربية. وجرت فيه المداولة بصراحة كاملة إقتضتها خطورة الموقف.

قال المظفر سيف الدين قطز للمؤتمرين: «لقد توجه هولاكو من توران إلى إيران بجيش جرار، ولم يكن لأي مخلوق من الخلفاء والسلاطين والملوك طاقة على مقاومته واستولى على جميع البلاد، ثم جاء إلى دمشق ولو لم يبلغه نعي أخيه لألحق مصر بالبلاد الأخرى، ومع هذا فقد ترك في هذه النواحي كيتوبوقا. وهو كالأسد الهصور، والتنين المهول في الكمين، وإذا قصد مصر فلن يكون لأحد قدرة على مقاومته فيجب أن تتدبروا الأمر قبل فوات الفرصة».

ذلك هو البيان الموجز الذي أفتتح به الحاكم المصري الملك المظفر مؤتمره العسكري. لقد بسط الأمر على حقيقته لا يحاول أن يهول ولا أن يهوّن، وخير ما فيه هذه الشورى، أو إذا شئت بلسان العصر الحاضر، هذه الديمقراطية السليمة. فبالرغم من أن المتكلم هو الملك والجيوش جيوشه، والبلاد بلاده، وبالرغم من أنه مستطيع أن يفرض الرأي الذي يريده، فإما تسليم أو قتال، فإنه لم يشأ إلا أن يشرك وجهاء البلد ورجال الدين وفي مقدمتهم الشيخ عبد السلام الشاذلي وممثلي البلاد الذين لجأوا إلى مصر منهزمين أمام المغول وأن يستمع إليهم.

أصغى المؤتمرون إلى بيان الملك المظفر بتفهم وإستيعاب فكان أول المتكلمين ناصر الدين



مصيف صافيتا على الساحل السوري وهي مبنية على أنقاض البرج الأبيض للفرسان الهيكلية وقد إستردها السلطان بيبرس من الصليبيين سنة ١٢٧١ ميلادية، ويشاهد البرج العالي فوق القمة.

القيمري فقال من جملة كلام له: «أن البلاد الممتدة من تخوم الصين إلى مصر هي الآن، بقبضة هولاكو، فلو ذهبنا إليه بطلب الأمان، فليس في ذلك عيب وعار، ولكن تناول السم بخداع النفس واستقبال الموت أمران بعيدان عن حكم العقل، لأنه ليس بالإنسان الذي يُطمأن إليه، وهو لا يفي بعهده وميثاقه، فإنه قتل فجأة الخليفة العباسي المستعصم بالله وخورشاه، وحسام الدين، وصاحب أربيل بعد أن أعطاهم العهد والميثاق. فإذا أسرنا إليه فسيكون مصيرنا مصيرهم».

فرد الملك المظفر قائلاً: «أن بلاد ديار بكر وربيعة والشام كافة ممتلئة بالمناحات والفجائع، والبلاد من بغداد حتى الروم أصبحت خراباً يباباً، وقد قضي على معظم من كان فيها من حرث ونسل، فلو أننا تقدمنا لقتالهم فسوف تخرب مصر خراباً تاماً كغيرها وينبغي أن تختار واحداً من ثلاثة: الصلح أو القتال أو الجلاء عن الوطن. أما الجلاء عن الوطن فأمر متعذر وذلك لأنه لا يمكن أن نجد مقراً لنا إلا في بلاد الغرب وبيننا وبينه مسافات بعيدة».

وكان يبدو من لهجة الملك المظفر أنه ميال إلى المسالة ولكن الحقيقة أن المسالة لم تكن من رأيه - كما تبين فيما بعد - ولكن لم يشأ أن يفرض الحرب بل فضل أن تكون الحرب بقرار إجماعي أو أن يفوض الأمر إليه، وعندئذٍ يقررها «أي الحرب» اعتماداً على التفويض وهكذا كان..

فقد رد ناصر الدين القيمري قائلاً: «وليس هناك مصلحة أيضاً في مصالحتهم إذ أنه لا يوثق بعهودهم».

وهكذا أصبح الطريق ممهداً لإتخاذ قرار مشرف، فالمسؤول الأول في مصر يبرهن على استحالة الجلاء، والقميري يبرهن على استحالة المصالحة، ولكن بقي رأي آخر باستطاعته أن يبرهن على عقم المقاومة - على أنه بعد صدور الرأيين السابقين وما فيهما من وضوح. لم يعد باستطاعة أحد أن يصدر الرأي الثالث أو يلجلج به، لذلك رأينا بقية الحاضرين - وكان الكثير منهم قد ذاق مرارة الهزيمة أمام هولاكو فخمدت عزائمهم وضعفت هممهم ومالوا إلى التسليم، فيقولون للملك المظفر: «ليس لنا قدر ولا طاقة على مقاومتهم فَمُرْ بما يقتضيه رأيك» فقال الملك المظفر: «أن الرأي عندي هو أن نسير جميعاً إلى القتال فإذا ظفرنا وهذا هو المراد، وإلا فلن نكون ملومين أمام العباد».

وجاءت كلمته كالسيف حاسمة قاطعة، فقر الرأي على وجوب المقاومة ورأى بعضهم اعتماد المفاجأة واتخاذ ما يدل على الحزم والمضي في القتال دون هوادة، وبقطع الطريق على أي دعوة إنهزامية، فأشاروا بقتل رسل المغول، فاستصوب الملك هذا الرأي وأمر بصلب الرسل في الليل.

ورُبّ قائل يقول: «وما ذنب الرسل، وهم في كل الشرائع لا يقتلون.. ولكن المطالب بهذا ينسى أن المغول امتهنوا كل الشرائع، وغدروا بالرسل وخانوا المستأمنين ونقضوا الوعود وإن كل ما يمكن أن يرهب أولئك القوم هو حلال في كل شريعة صحيحة، وإن الأمر كما قال الإمام علي ابن أبي طالب: «الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله».

وكانت طلائع المغول قد شارفت غزة في جنوبي فلسطين. فعسكر فيها جيش المقدمة بقيادة القائد بايدر، الذي راح يعد العدة للهجوم على مصر. فلما أتاه خبر صلب الرسل، إرتاع وذعر وتردد محجماً عن التقدم. ورأى أن يراجع قائده الأعلى كيتوبوقا الذي كان يعسكر بالقرب من مدينة بعلبك، فاستشاط غيظاً وأمر بايدر بأن لا يتقدم قبل وصوله.

واستعدت مصر كلها للجهاد، وتوارد الناس من كل حدب وصوب، وجاءت القبائل العربية من الصعيد، وجمع رجال الدين والطرق الصوفية جموعهم وبرزوا إلى خارج مدينة القاهرة، حيث يحتشد الجيش بقيادة الملك المظفر والقائد ركن الدين بيبرس، وكان على رأس المشايخ الصوفية الشيخ عبد السلام الشاذلي الذي ترددت أصداء خطبه الحماسية الداعية للجهاد والدفاع عن حوزة الإسلام، وكنانة الله، في جميع أنحاء مصر والعالم العربي.

وارتفعت الأعلام حتى غطت ضواحي القاهرة، وكانت أعلام أصحاب المذاهب الصوفية بألوانها العديدة الزاهية الخفاقة، وطبولهم ودبادبهم وصنوجهم وطاراتهم منظراً مثيراً لا ينسى..

وكان المصريون قد تخلو عن مبدأ الدفاع، وعزموا على أن يكونوا المبادرين بالهجوم، فاقتحم جيشهم اللجب «غَزّة» وطاردوا القائد المغولي بايدر وفلوله حتى نهر العاصي فزاد هذا التحدي من غضب كيتو بوقا فهرع بجيوشه المتعطشة لسفك الدماء كعادتها لتأديب المصريين واثقاً من نفسه ومطمئناً إلى شهرته في القمع والطغيان.

وأدرك المصريون بأن الشجاعة وحدها لا تحسم الموقف وأن الإستماتة لا تكفي لرد الأعداء، فلا بد من إعمال الرأي.. لأن جيش العدو القادم كثير العدد عظيم الخطر مرهوب الجانب، لذلك تعمد الملك المظفر وقادته المماليك اللجوء إلى الخدع الحربية والمماليك أسياد هذا المجال، فعبأ جيشه تعبئة محكمة وقسمه إلى أربعة جيوش، ثلاثة منها سيرَّ كل جيش منها في وجهةٍ لتكون ثلاثة كمائن تبرز فجأة من ثلاث جهات في الوقت المحدد، وخرج الملك المظفر ببضعة آلاف للقاء المغول وجهاً لوجه في «عين جالوت» الواقعة بين بيسان ونابلس في فلسطين. «وقد حدثت المعركة في رمضان سنة ٦٥٨ هجرية، ١٢٦٠ ميلادية»

وما إن أطل جيش العرب المسلمين بأعلامه الخفاقة وأصوات الفرسان والمحاربين تلعلع «بصيحة الحرب» الله أكبر.. الله أكبر.. حتى رشقهم المغول بسهامهم وكانوا من أبرع خلق الله برمي السهام. وانهالت سهام المغول على الجيش المصري كزخات المطر، وراحوا يكرون عليه كرّاتهم المغولية المعروفة لإخافة المحاربين.. فأشار الملك المظفر بالتراجع حسب الخطة الموضوعة، وهكذا راح يستدرجهم إلى المكان الذي أعده للمعركة الفاصلة، وتبعهم المغول وراحوا يتناوشونهم بسيوفهم، إلى أن سقطوا في الفخ ومنطقة الكمائن، وفجأة طلعت عليهم الكمائن الثلاثة بصيحات القتال: الله أكبر.. من ثلاث جهات، وصمد الملك المظفر بالقلب، وأعرب المماليك عن فروسيتهم المشهورة، وكان القائد ركن الدين بيبرس على رأس الجموع المحدقة بالمغول فصدموهم صدمة عنيفة زلزلوهم فيها عن مراكزهم.

ومع ذلك فقد إستنجد المغول بكل طاقاتهم وخبرتهم الحربية، ولكنّ عنصراً قيّماً من عناصر القتال كانوا قد فقدوه وهو حرية الصولان والجولان والكر والفر، لأن جيوش المصريين الثلاثة والجيش الذي قام مقام القلب في المعركة، أحاطت بهم وأفسدت عليهم طريقتهم المثلى المذكورة أعلاه بالقتال.

وبقيت المعركة من الفجر إلى منتصف النهار، ومع ذلك إستقتل الفريقان. ولكن المفاجأة المصرية والخطة الشاملة. أثمرت ثمارها في زعزعة صفوف المغول، فلم تلبث أن لاحت تباشير النصر للمصريين ولم تلبث الجموع المغولية أن تفككت وأخذت بالتصدع والإنحلال، ومن ثمّ احاقت بهم الهزيمة.

وأبى القائد كيتوبوقا المغولي أن ينهزم وآثر الموت على الفرار وصمد يجالد بسيفه جلاداً عنيفاً، ولكن هيهات.. فالمماليك أرباب السيوف في المعارك، كما أن المغول أرباب الرمي بالسهام.. والمجال الآن للسيوف في ذلك الإلتحام الدموي.

وفي النهاية سقط كيتوبوقا أسيراً فسيق مكبلاً بالحديد إلى الملك المظفر سيف الدين قطز. فعنفه أشد تعنيف، وذكره بمجازره، التي ارتكبها بالسكان العزل وأعمال الذبح التي أجراها بالنساء والأطفال، وندد بعهوده وعهود مولاه هولاكو التي نكثاها.

فعاد المغولي يهدد ويتوعد قائلاً: «إن سنابك خيل المغول ستطأ الأرض الممتدة من أذربيجان إلى مصر وستحمل رمال مصر في مخالي خيولهم إلى بلادهم وإن لهولاكو ثلاثمائة ألف فارس مثل كيتوبوقا فأفرض أنه نقص واحداً»

ولكن هذا التبجح لم يفد كيتوبوقا الخاسر، ولا بد أن صيحة الحرب الأخيرة قد تردد صداها في تلك اللحظة: «الويل للمغلوب» ومع هذه الصيحة طاح رأس كيتوبوقا عن جسده، ومضى المصريون يطاردون المغول في الديار الشامية، ويطهرونها من أقدامهم النجسة حتى وطأت سنابل خيولهم شطئان الفرات.

ومضى تهديد كيتوبوقا في الهواء، ولم يكتب لسنابل خيل هولاكو أن تعود فتطأ تراب الشام ورمال مصر مرة أخرى.

□


المقاومة الشعبية
السرية ضد النازية
ترجمة:
تاريخ
العرب
والعالم

على طول سنوات الحرب العالمية الثانية، شهدت جميع دول أوروبا حركات المقاومة ضد العدوان النازي، وهي حركات لعبت أدوارا لا يمكن انكارها أو تجاهلها في التعجيل بيوم النصر النهائي، وانشأت تراثا غنيا في تاريخ الانسان المعاصر لأساليب ووسائل وقوف الشعوب للدفاع عن كيانها وحريتها، كما كشفت عن مختلف الأبعاد الوطنية و العقائدية و السياسية والاجتماعية والنفسية ذلك أن المقاومة هي - في وقت واحد - موقف وطني ونضال عقائدي وصراع سياسي. وهذه الحوافز الثلاثة للمقاومة تختلف في أهميتها باختلاف الزمان والمكان، وبالتالي فان أساليب المقاومة ووسائلها تختلف باختلاف هذه الأهمية. لكن المحك النهائي لنوعية المقاومة ومعناها يتوقف على موقف كل فرد وكل فئة وكل طبقة، اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وفكريا من العدو، كما يتوقف على نوع العدو ومدى قدراتها في كل مرحلة من مراحل النضال ضده.



وفي الواقع، فان أوروبا عرفت المقاومة قبل الحرب العالمية الثانية، في الحركات المعادية للفاشية في ايطاليا منذ عام ١٩٢٢، وفي الحركات المعادية للنازية في ألمانيا منذ عام ١٩٣٤، وفي النمسا منذ ضمها الى ألمانيا في عام ١٩٣٨، وفي تشيكوسلوفاكيا منذ مارس / اذار/١٩٣٩.

وعندما بدأ الغزو الهتلري لأوروبا في سنة ١٩٣٩، بدأت تشكل حركات مقاومة في الأراضي المحتلة، وهي تحمل أسماء مختلفة ولكنها تقوم بمهمة واحدة هي: رفض الاستسلام والمساومة مع المعتدين والعمل لانزال الهزيمة بهم، ومساعدة القوات المسلحة النظامية على النصر النهائي. وأصبح الاختيار المطروح أمام كل مواطن في أوروبا - بصفته الفردية أولا وبصفته الاجتماعية ثانيا - هو: المقاومة أم الهلاك؟

وفي البداية تقبل كثيرون من الناس في أوروبا هزيمتهم العسكرية أمام جحافل النازيين كأمر واقع. وظهر منهم من يدعو الى التعاون مع الغزاة أو الوصول معهم الى حلول وسط. وكان البعض لا يرى في الحرب التي تجري من حوله إلا مصدراً لبعض المضايقات، مثل نقص التموين وتوزيعه بالبطاقات، ومثل الافتقار الى بعض المواد المعتادة والكمالية، ومثل الاضطرار، بسبب الحرب، عن الانفصال عن الأبن أو الأب الذي في الميدان، أو عن الأقارب والأحباب.

وكان كثيرون يدعون بصراحة الى موقف الانتظار والتروي، بل وقد غرتهم في البداية أساليب التعقل والتأدب التي تظاهر بها العدو وقواته في معاملاته وتصرفاته، أو أثرت فيهم دعايات النازية عن قوة ألمانيا الهائلة، وحسن تدريب جنودها وضباطها، وحتمية انتصار أسلوب حياة «أوروبا الجديدة» في النهاية.

لكن ما إن مرت الأيام بعد الصدمة الأولى حتى تبين الكثيرون أبعاد المؤامرة النازية، وحتى أدركوا أن «أوروبا الجديدة» الهتلرية ليست سوى أوروبا المحرومة من الحرية، المحرومة من حق الوجود، ولم يكن أمامهم سوى أن يقاوموا العدوان الهتلري عليهم بجميع الوسائل المتاحة، وأن يطوروا مقاومتهم، حتى بلغت مبلغ التجربة التاريخية الشاملة التي يؤرخ لها المؤرخون حتى أيامنا هذه.

ويتضمن «تاريخ الحرب العالمية الثانية» الذي صدر في بريطانيا، فصولا كاملة من تاريخ المقاومة بمختلف أساليبها، نقدم منها





تخريب..

— هنا — تلخيصا جديرا بالدراسة والتفكير فيه والاستفادة منه.

السرية المطلقة

أول ما تلاحظه على حركات المقاومة الأوروبية، في ظل الاحتلال النازي، هو السرية، والسرية المطلقة.

وبعد ذلك نلاحظ أن المقاومة تبدأ بالكراهية السلبية للعدو، ثم تتطور الى العداء النشط المنظم، ثم تبلغ ذروتها في النضال اليومي الدائب لكل مواطن ولكل فئة ولكل جماعة.

والحد الأدنى من المقاومة هو المقاومة السلبية.

وتتخذ المقاومة السلبية شكل ردود فعل فردية سلبية، أو شكل ردود فعل جماعية. وميزتها هي أنها نوع من المقاومة المأمونة العواقب والتي يستطيعها كل فرد دون أن يتعرض لخطر جسيم.

وفي أوروبا، وفي بداية الغزو النازي، اتخذت المقاومة السلبية عدة أشكال منها ابطاء الموظفين عمدا في أداء مهام وظائفهم، ووقوع المهندسين والعمال عمداً في أخطاء وعيوب أثناء عملية الانتاج وبدون أن يصل الأمر الى حد التخريب، والتكاسل والبلادة أو الحماس الأجوف الزائد على الحد، أو مجرد الغياب عن العمل، أو الامتناع عن سماع دعايات العدو.

وإلى جانب المقاومة السلبية، توجد المقاومة النشيطة، أي المقاومة باستخدام جميع الأسلحة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والنفسية.

ومن أساليب المقاومة النشيطة التي عرفتها أوروبا في ظل الاحتلال النازي، توزيع المنشورات والصحف السرية، والاستماع الى الاذاعات المعادية للعدو، ونشر كلمة «المقاومة» وضرورتها بين الناس، وتجميع المعلومات عن تحركات العدو وأعماله، ومساعدة الفدائيين الذين يتسللون الى الأراضي المحتلة للقيام بعمليات التخريب والغارات المسلحة.

ولقد دلت تجربة المقاومة في أوروبا المحتلة على أن رجل المقاومة هو مثل الطيار: فكما أن الطيار يحتاج الى مساعدات أرضية متعددة، فان رجل المقاومة يحتاج الى كثيرين يساعدونه من وراء خط المقاومة.

على أن الهدف النهائي لجميع أشكال المقاومة السلبية والنشيطة كان دائما في أوروبا المحتلة هو الوصول الى مرحلة المقاومة المسلحة الشعبية واعداد الأرض لعمليات القوات المسلحة النظامية في جهودها لانزال الهزيمة العسكرية النهائية بالعدو.

تجارب هامة

وإذا استعرضنا على هذا الأساس العام أهم سمات حركات المقاومة في مختلف البلاد

الأوروبية فاننا نلاحظ:

في هولندا:

كانت المقاومة في البداية مقاومة فئات اجتماعية مختلفة: رجال الدين - الطلبة - الأطباء - اليهود - الشيوعيون. واتخذت المقاومة أساسا شكل الاضرابات العمالية، والمقاطعة الادارية، وأعمال المخابرات، وتوزيع المنشورات والصحف السرية، وذلك لصعوبة القيام بأعمال مقاومة مسلحة واسعة النطاق نتيجة ان هولندا بلد سهلي، والمواصلات بها عديدة، وكانت أبرز قوى المقاومة تتركز في صفوف الطبقة العاملة.

TRAVAILLEURS

sabotez la production de guerre allemande

Hitler après avoir fait travailler le peuple allemand depuis 8 ans, à un rythme épuisant pour sa guerre, n'a pu former assez d'armes pour la victoire.

Il compte maintenant sur le travail de l'Europe asservie pour soulager son peuple, reculer la défaite.

Chaque pièce sabotée, chaque minute de travail perdue sauvera une vie humaine

Suivez l'exemple de la zone occupée, de la Belgique, de la Hollande, des hommes au cœur libre. La production de votre usine que Vichy laisse partir pour l'Allemagne, SABOTEZ-LA, RALENTISSEZ-LA.

UN DÉFAUT DANS LA MACHINE-OUTIL. UN ÉCROU DESSÉRÉ. UN TROU D'ÉPINGLE DANS LA BOITE DE CONSERVE. HATERA LA DÉFAITE ALLEMANDE.

من المنشورات السرية الفرنسية الموجّهة الى العمال لتخريب وتعويق الانتاج

في فرنسا:

كانت شبكة المقاومة معقدة شديدة التعقيد بسبب وجود منطقة غير محتلة عرفت باسم منطقة حكومة فيشي الحرة، وكانت حكومة هذه المنطقة تساوم ضد المقاومة مستغلة بذلك سمعة المارشال بيتان، أحد أبطال الحرب العالمية الأولى، كما كانت تستغل الكراهية التقليدية للفرنسيين تجاه الانجليز.

لكن معظم الفرنسيين كانوا غاضبين على الجمهورية الثالثة، واستجابوا على الفور لنداء الجنرال ديجول بالمقاومة الذي أذاعه من لندن في ١٨ يونيو (حزيران) ١٩٤٠ واشتركت في حركة المقاومة الفرنسية أحزاب سياسية مختلفة: ديجوليون، وشيوعيون، وراديكاليون، واشتراكيون، وجمهوريون ومستقلون.

وكان من أبرز القوى المشتركة في المقاومة الطلبة الذين نظموا الاضرابات المتتالية، والعمال وخاصة عمال السكك الحديدية الذين شنوا على العدو حربا خفيفة عرفت بعد ذلك باسم «حرب البيانات» حينما كانوا يقومون بوضع بيانات خاطئة على الصناديق الألمانية المشحونة بالقطار، فأحدثوا بلبلة وعرقلة ملموسة للمجهود الحربي الألماني. كما كانت فرق المقاومة المختلفة تقوم باغتيال الجنود الألمان واعدام من يتعاون معهم.

في بلجيكا:

أثرت سرعة الهزيمة العسكرية في مايو (أيار) ١٩٤٠ على البلجيكيين، فأصابت الكثيرين منهم بالبلبلة، كما تظاهر العدو بالتصرف المهذب تجاه الأهالي، ونجح في التأثير على عقول الكثيرين بزعمه أنه المنتصر.

وساعد على ذلك أيضا وجود خلافات قومية بين البلجيكيين أنفسهم، وبقاء الملك ليوبولد في البلاد وتعاونه مع الألمان.

ومع هذا، فقد استطاع الشيوعيون البلجيكيون أن يكونوا جيش تحرير من مجموعة صغيرة كرست نفسها للمقاومة، واستيقظت في قلوب البلجيكيين روح التقاليد الوطنية العميقة الجذور، ودخلت قوى وطنية عديدة في ميدان المقاومة، تخرب وتصدر الصحافة السرية وتقوم بأعمال المخابرات ضد العدو، كما ظهرت مقاومة مدنية في الجامعات والبيوت.

ونظراً لكل هذه الظروف، لم تنجح جميع الجهود التي بذلت في توحيد فرق ومجموعات المقاومة في بلجيكا حتى انتهاء الحرب.


شيوخ وشبان، معاً، لمقاومة الألمان


فلاحان يلغمان خط سكة الحديد.

في الدانمرك:

لم تعرف الدانمرك مقاومة للغزو النازي، إلا في شكل أعمال محدودة من أعمال المخابرات، وذلك بسبب نجاح الألمان في بلبلة الأفكار بحجج قانونية عن استقلال الدانمرك واستمرار نظامها الملكي.

في النرويج:

عرفت النرويج رئيسا للوزراء متعاملا وعميلا للألمان أصبح اسمه في التاريخ علما على كل خائن لوطنه وهو «كويسلنج» وقد قام كويسلنج هذا بضرب كل حركة مقاومة ظهرت، وبتحذير الشعب النرويجي لكي يتقبل نظام هتلر «الجديد».

ومع هذا، فقد نشأت حركة مقاومة نرويجية صغيرة وسرية جدا، ألفها – اساسا – العسكريون، وقررت أن تتجنب الدخول في أي صدام عسكري مع العدو قبل الأوان، لكنها ساعدت – سراً – الغارات التي كانت تقوم بها قوات «الكوماندو» البريطانية على مراكز العدو المتطرفة.

في تشيكوسلوفاكيا:

بدأت المقاومة عقب اتفاقية ميونيخ التي عقدت في سبتمبر (أيلول) ١٩٣٨. وتميزت بوحدة الأحزاب اليمينية والشيوعيين، تحت قيادة الرئيس بنيش الذي كان موجودا في لندن. كما تكونت حركة المقاومة من الضباط أساسا، وضمّت سياسيين ومثقفين وعمالا.

وكان أسلوب المقاومة في تشيكوسلوفاكيا هو أسلوب الاضرابات، والمنشورات والصحف السرية، واجتماعات التوعية الجماهيرية.

في ألبانيا واليونان:

اتخذت المقاومة في البانيا أسلوب التخريب، وعمليات «الأنصار» اللاجئين في الجبال.

أما في اليونان، فقد عانت المقاومة من الانقسام الشديد في الرأي العام الوطني، ومن استمرار حدة الصدام داخل صفوف المقاومة بين الاتجاهات السياسية والعقائدية المختلفة.

في يوغوسلافيا:

كانت المقاومة معقدة بسبب تعقد قضية القوميات اليوغوسلافية: العرب، والكروات، والسلافيون. والمونتجريون، والمقدونيون، وبسبب تعدد قوى الاحتلال: الألمان والايطاليون والبلغاريون والمجريون، وبسبب قيام حكومتين «مستقلتين» عميلتين في كرواتيا وصربيا – الأستاش والتشتنيك – وبسبب وقوف الفلاحين موقف سياسة الانتظار ومع هذا، فقد استطاعت حركة المقاومة، بقيادة جوزيف بروز،



ء خطوط الألمان

..يذهبون الى أعمالهم وبأيديهم «أسلحة»!

الذي أصبح معروفا باسم «تيتو» أن تنمو، وأن تخلص البلاد من الاحتلال الأجنبي.

في بولندا:

لم تضع بولندا وقتا في تنظيم المقاومة، إذ سرعان ما ظهرت فيها مقاومة تلقائية نشيطة جماعية لأن شعب بولندا قد اعتاد منذ قرون طويلة على النضال من أجل حريته، وتعتبر حركات المقاومة السرية احدى تقاليده الوطنية التليدة. ولم تكن هناك ضرورة لاستثارة أي حوافز في صفوف شعب بولندا لكي يهب للنضال عن كيانه وحريته.

وضمت المقاومة جميع الطبقات والفئات في وحدة رائعة. وساعد على النجاح ضعف المواصلات، وكثرة الغابات والمستنقعات، وانضمام المثقفين والموظفين الى حركة المقاومة، وعدم ظهور أي «كوبلنج» أو خائن.

ولم تكن قوات المقاومة في أوروبا المحتلة تحمل اسما واحداً. فلقد كانت هناك حركات «الجويريللا» - وهو الاسم الذي أطلقته حركة المقاومة الاسبانية ضد غزو نابليون على نفسها. وكانت هناك فرق «البارتيزان»، أو الأنصار. وكانت هناك فرق «الماكي»، ثم كانت هناك فرق «الكوماندو».

وكانت فرق «الكوماندو» مجموعات صغيرة، لا يزيد عدد أفراد كل منها على مائة جندي نظامي، وجنودها مدربون .

وقد تميز جنود «الكوماندو» بالشجاعة، وشدة التحمل البدني، وروح المبادرة، ودقة الأحكام، والنشاط، والاعتماد على النفس، وروح الكراهية ضد العدو، والتخلص من كل خوف من الحرب أو الموت، والقدرة على العمل لساعات أطول وفي مهام أشق وبفترات راحة أقصر، مع خبرة واسعة في الاستطلاع من ملاحظة وتخف، والقدرة على الحركة فوق أي نوع من أنواع الأرض بالليل أو النهار.

وهكذا، فان حركات المقاومة، تحتل اليوم مكانة بارزة وجوهرية في تاريخ الشعوب في نضالها الدائب من أجل الدفاع عن كيانها وحريتها. وهي تمثل - على حد قول مؤرخي الحرب العالمية الثانية - أعظم مهمة يمكن أن يقوم بها المواطن والجندي، بدون روتين مكتبي، وبدون انتظار لعلاوة أو ترقية أو تبدل. والنجاح في عمليات المقاومة يعتمد فقط على النفس وعلى الذين يشاركون فيها.

وكما يقول الدكتور جان - ليون شارل، في تاريخه للمقاومة الأوروبية، فان المقاومة ضد العدوان الأجنبي هي ذروة الثورية في كل زمان ومكان. ◘

تاريخ طوابع الجزائر

ميشال اسطفان

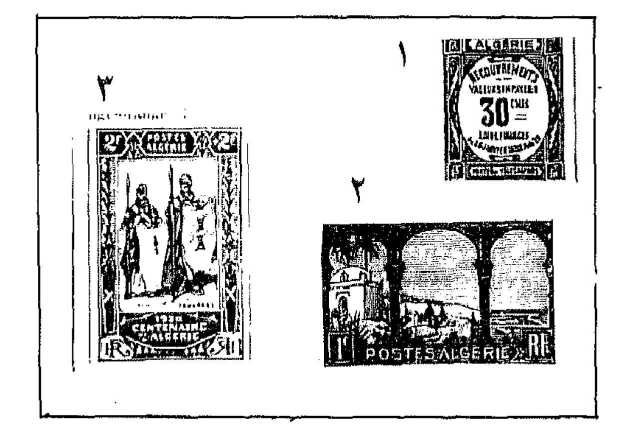


اجتاحت الجزائر سنة ١٨٣٠ حملة عسكرية فرنسية وانتهت إلى استسلام الباي حاكم البلاد في ٥تموز/يوليو ١٨٣٠، إلا أن المقاومة الداخلية بقيت مدة طويلة حتى استسلم أخيراً الزعيم عبدالقادر في ٢٣كانون الأول/ديسمبر سنة ١٨٤٧.

منذ ذلك التاريخ، وبالرغم من مناهضة لاحقة من الوطنيين، تمركز أوروبيون كثيرون في الجزائر.

أما الطوابع البريدية، فمنذ ظهور الطوابع الفرنسية ولغاية سنة ١٩٢٤، كانت تستعمل في الجزائر الطوابع الفرنسية بدون أدنى توشيح، إلى أن أصدرت السلطات الفرنسية بتاريخ ٨أيار/مايو سنة ١٩٢٤ أول مجموعة من الطوابع الفرنسية إصدار سنة ١٩٠٠/١٩٢٥ موشحة بكلمة: «ALGERIE»، وكانت مؤلفة من ٣٣طابعاً من فئة ½سنتيم إلى ٥فرنكات، حدث من بينها أربعة أخطاء بتوشيح مكرر أو مقلوب، أصبح قيمة كل منها ما بين ٢٥و١٥٠ جنيهاً استرلينياً.

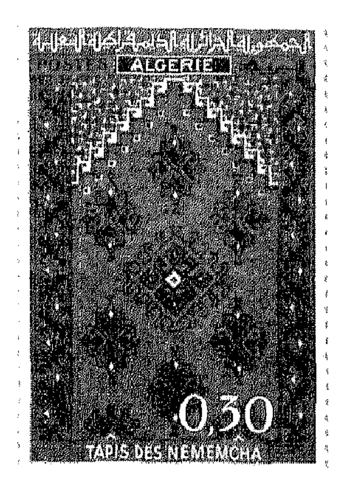
وفي أول أيار/مايو سنة ١٩٢٦ صدرت مجموعة للأجور المستحقة مؤلفة من ١١طابعاً من فئة ٥سنتيم إلى ٣فرنكات، والمعروف أن طوابع الأجور المستحقة تستعمل عادة على الرسائل الناقصة الأجرة لكي يُحصَّل النقص من المرسل إليه. لكن في التاريخ ذاته، أصدرت السلطات



مجموعة مؤلفة من ٦طوابع من فئة سنتيم واحد إلى ٢فرنك، وخُصِّصت لتغطية الأجور المستحقة المرفوضة الأداء من قبل المرسل إليه. وهكذا كانت هذه الطوابع تستعمل على تلك الرسائل ثم تحصَّل القيمة من المرسِل، عندما ترجع الرسالة إليه (صورة١).

وفي حزيران/يونيو سنة ١٩٢٦، صدرت مجموعة مصورة (صورة نموذج واحد٢) مؤلفة من ٣٦طابعا من سنتيم واحد إلى ٢٠فرنكاً. قيمتها اليوم نحو ٣٥جنيها استرلينياً.

وهناك مجموعة أخرى كبيرة مؤلفة من ٣٣طابعا مُصوراً صدرت سنة ١٩٣٦ (صورة نموذج واحد٣)، من فئة سنتيم واحد إلى ٢٠فرنكا. وهكذا درجت الحال في الاصدارات المختلفة للمناسبات الوطنية حينا والعالمية أحياناً، وخصوصاً المناسبات التابعة للبلد المستعمر، فصدرت مثلاً مجموعة لمعرض باريس الدولي سنة ١٩٣٧، وطابع للذكرى العشرين ليوم الهدنة سنة ١٩٣٨، ولمعرض نيويورك سنة ١٩٣٩،



سجاد وطني.



بمناسبة مؤتمر الأطباء
العرب في الجزائر
سنة ١٩٦٣.



الدربكة والدف
(رسم محمد رسيم)

وللمارشال بيتان، وطابع لكل من الذكرى السابعة والثامنة لدعوة ديغول لحمل السلاح سنة ١٩٤٧و١٩٤٨، موشحاً بصليب اللورين المعروف والذكرى ١٦٠٠ لمولد القديس أوغسطينوس، وذكرى المارشال لوكلرك، الخ. وكان عدد الطوابع التي صدرت أثناء الإحتلال الفرنسي ٤٣٠طابعاً كان آخرها طابع من فئة ٢٠فرنك + ٥فرنكات لصندوق مؤسسة المارشال دي لاتر، صدر في ٢٠تموز/يوليو سنة ١٩٥٨. ومنذ ٢٢تموز/يوليو سنة ١٩٥٨ ولغاية حصول البلاد على استقلالها، استعملت في الجزائر الطوابع السارية في فرنسا أنذاك، وذلك بسبب الثورة المشهورة التي اندلعت منذ أول تشرين الثاني/نوفمبر سنة ١٩٥٤، ضد السلطات الفرنسية المستعمرة، والتي تدخل من أجلها الجنرال ديغول وتوصل إلى وقف إطلاق النار في ١٨آذار/مارس سنة ١٩٦٢، وكان ذلك بعد رحيل جميع الفرنسيين المقيمين والذي ألحق باستفتاء شعب الجزائر، الذي أتى لصالح الإستقلال، وتثبت بتاريخ ٣تموز/يوليو سنة ١٩٦٢.

وتجدر الاشارة هنا، أن منظمة الجيش السري الفرنسي أمرت بتوشيح ١٥طابعاً فرنسياً بثلاثة أسطر «ALGERIE/ FRANCAISE /13MAI 1958» ووضعت في التداول في أوران والبلدان المجاورة في شهر شباط/فبراير سنة ١٩٦٢. وقاومت بذلك الإستقلال الجزائري الذي كان في حينه مسيطراً أيضاً في أوران. وكانت هذه الطوابع تباع بضعف قيمتها، وأما الفرق فكان يعود لصندوق المنظمة. وهناك توشيحات مماثلة ظهرت بين الفترة ١٩٦١و١٩٦٢، ولكن ليس هنالك إثبات أنها استعملت فعلاً في تلك المنطقة، بعكس الـ ١٤ طابعا من أصل الـ ١٥المذكورة آنفاً التي استعملت فعلاً على المراسلات البريدية.

تاريخ الطوابع في عهد الاستقلال:

صدرت الأوامر في ٢٧حزيران/يونيو سنة ١٩٦٢ إلى جميع مديري البريد في الجزائر، بأن يوشحوا خمسة طوابع بريد وخمسة أخرى للأجور المستحقة من الطوابع الفرنسية بحرفي «E.A.» أي «ETAT ALGERIEN»، وتشطيب كلمتي: «REPUBLIQUE FRANÇAISE»، وقد تم ذلك بواسطة ختم يدوي من المطاط في مكاتب كثيرة جداً من البلاد، وقد لوحظ أكثر من ٢٥٠نوعا مختلفاً من هذا التوشيح، وقليل من المكاتب أظهر التوشيح بكامل حروفه: «ETAT ALGERIEN»، وقد نُفِّذت الأوامر في أمكنة، باستعمال القلم الجاف بدلاً من الختم، وقد حُدِّدت مدة استعمال هذه التواشيح بشكليه الآنفي الذكر لغاية ٣١تشرين

الأول/أكتوبر سنة ١٩٦٢. صدرت المجموعة البريدية في مدينة الجزائر، وصدرت مجموعة الأجور المستحقة في مدينة تيزي أوزو.

قلنا أنه صدرت أول مجموعة فرنسية في عهد الاستقلال موشحة كما ذكرنا أعلاه بحرفي «E.A.» توشيح باليد مؤلفة من خمسة طوابع فقط، قيمتها اليوم حوالي ٢٠جنيها استرلينياً، وكان ذلك في ٤تموز/يوليو سنة ١٩٦٢، وفي التاريخ ذاته صدرت مجموعة للأجور المستحقة الفرنسية، موشحة أيضاً كسابقتها مؤلفة من خمسة طوابع، ولكن قيمتها اليوم لا تتعدى السبعة جنيهات استرلينية.

وفي شهر آب/أغسطس سنة ١٩٦٢ أعيد توشيح الطوابع الفرنسية ذاتها بحرفي «E.A.» كالسابق، ولكن عن طريق المطبعة وصدرت في مدينة الجزائر قيمتها اليوم لا تزيد على خمس جنيهات استرلينية، وبالتاريخ ذاته أعيد توشيح مجموعة الأجور المستحقة الفرنسية بالتوشيح ذاته كالسابق، لكن عن طريق المطبعة وصدرت في مدينة تيزي أوزو، قيمتها اليوم حوالي ٢٠جنيهاً استرلينياً.

وهناك طابع واحد طبع محلياً وصدر بتاريخ أول تشرين الثاني/نوفمبر سنة ١٩٦٢، خصص ريعه لصندوق أيتام الحرب، وهو من فئة فرنك واحد كرسم للبريد + ٩فرنكات للصندوق، وقد أصبح قيمته اليوم يزيد على ٦٠جنيهاً استرلينياً.

ثم درجت المجموعات العادية والتذكارية للمناسبات الوطنية والعالمية، طبعت في المطابع الأوروبية العالية المستوى، وحملت رسوماً فنية حديثة تعطي لمحات وألواناً شرقية جذابة كما في بعض الصور التالية:



لمناسبة حماية الأم والطفل





أزياء جزائرية للأجال والنساء.



■ ليست الحياة كمالاً ولكنها سير نحو الكمال، والتعلق بدنيا الكمال عند المثاليين مراهقة واحترام الواقع عند الواقعيين قناعة.

حكمة ألمانية

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

مدير التحرير
عبد العزيز السيد احمد

صدر العدد الاول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥
تصل اعدادها الى ايدي نحو ١٠٠٫٠٠٠ قاريء

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :

- مجموعة من الابحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشؤون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- ابواب ثابتة : تقارير — وثائق — يوميات — ببليوجرافيا
- ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد : ٤٠٠ فلسا كويتيا أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج « بالبريد الجوي » .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٥٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

العنوان : جامعة الكويت — كلية الاداب والتربية — الشويخ — دولة الكويت

ص.ب : ١٧٠٧٣ (الخالدية)

هاتف : ٨١٦٨٠٧—٨١٦٧٩٩—٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير



رسائل الماجستير والدكتوراه

استجابة لرغبة المجلة في تعريف العرب بتاريخهم، عبر دراسات علمية ومسؤولة، واستجابة لدعوتها الأساتذة والمؤرخين وطلاب الدراسات العليا لنشر موجز عن رسائلهم الجامعية، فقد وصلنا من الأخ عبدالحسن عبدالأمير محمد الشمري عرض موجز لرسالته الماجستير «التحف المعدنية المغولية »، تطلعنا على جانب مثير ومهم لم يشمل بدراسة وافية بعد. ونحن في فتحنا هذا الباب نتمنى ان نزيد من اطلاع قرائنا على نتاج باحثينا الشباب مؤملين سد ثغرة في مكتبتنا العربية وفهارسها المعتمدة، لما يفيد الجميع.

التحف المعدنية المغولية دراسة أثريّة فنّيّة

عبدالحسين عبدالأمير محمد الشمري.

ماجستير من كلية الآثار - جامعة القاهرة ١٩٧٦ - باشراف د. سعاد ماهر محمد

لمحة موجزة عن الموضوع:

تميّزت الأمة العربية الإسلامية عن بقية أمم الدنيا بما لها من تراث حضاري تفاخر به بقية الأمم. وتعد التحف المعدنية ميدان من الميادين الهامة في الفنون العربية الإسلامية التي لم تدرس دراسة كاملة، اللهم إلّا تلك الدراسة التي ضمنها آرثر بوب (Arthur Popo)في موسوعته (A Survey of Persian Art). هذا فضلاً عن أن الكثير من التحف المعدنية التي تزخر بها متاحف العالم لم تحظ حتى الآن بأي نوع من الدراسة الوافية، إلّا أن بعضاً من التحف المعدنية في شرق العالم الإسلامي والتي تعود لفترات معينة قد نالت اهتمام بعض الباحثين فقاموا بإعداد دراسات عنها.

لذلك وجدت من المفيد أن أتابع هذه الدراسة لأكشف قسماً منها هي: التحف المعدنية الإسلامية المصنوعة خلال العصر الأيلخاني في العراق وإيران والتي سبق القول أنها كثيرة ولم تدرس دراسة علمية جادة شاملة.

لقد وقع اختياري على هذا الموضوع بعد أن لمست أهميته الأثرية والفنية والتاريخية ومن ثم اختمرت في ذهني فكرة إعداد بحث يؤدي الغرض المطلوب، كما دفعني إلى الكتابة فيه جدّة الموضوع وطرافته، وخلو المكتبة العربية من كتاب يبحث فيه حتى أن أمهات المراجع التي كتبها العلماء والخبراء في الفن الإسلامي تكاد تكون شاغرة في هذا المجال الهام.

لقد تمخضت الدراسة المذكورة عن حصر (ست وثلاثين) قطعة معدنية صنعت في تلك الفترة، منها (تسع عشرة) قطعة لم تدرس من قبل كما أن (ست عشرة قطعة) من هذه التحف تنشر لأولّ مرة.

لقد اشتملت الرسالة على مجلدين، احتوى المجلد الأول على مقدمة تاريخية وثلاثة أبواب مع وصف عام للتحف وخاتمة وقائمة للمراجع والرسوم والتخطيطات اليدوية. واحتوى المجلد الثاني الصور الفوتوغرافية.

تضمّنت المقدمة بعض جوانب العراق وإيران التاريخية خلال العهد المغولي الأيلخاني للتعرف

على تاريخ المنطقة من الناحية السياسية والإقتصادية والفنية.

وتضمّن الباب الأول التحف المعدنية المغولية الأيلخانية، وقد قسمته إلى فصلين:

الأول: التحف المعدنية المصنوعة قبل العصر الأيلخاني، وفي الفصل الثاني قمت بدراسة تفصيلية (لخمس وثلاثين) قطعة معدنية إيلخانية مؤرخة وغير مؤرخة.

أما الباب الثاني: فقد خصصته لدراسة الطرق الصناعية، وتضمن ثلاثة فصول: ففي الفصل الأول تعرضت لطريقة الطرق، وفي الثاني تكلمت عن طريقة الحز، وفي الثالث تحدثت عن طريقة هامة في صناعة التحف المعدنية هي التطبيق.

أما الباب الثالث، فيضم بحثا مفصلاً للزخارف المنقوشة على تلك التحف المعدنية، وقد اشتمل على أربعة فصول، تتناول العناصر الزخرفية المختلفة، الفصل الأول منها يتناول الرسوم الأدمية والحيوانية، والفصل الثاني يتناول الزخارف النباتية، والفصل الثالث يتناول الزخارف الهندسية والفصل الرابع والأخير يتناول الزخارف الكتابية.

وأفردت بعد هذا الباب وصفا تفصيليا للتحف الواردة قيد البحث حيث تطرقت إلى أماكن تواجدها ومقاساتها ووصفها من حيث الشكل العام وطبيعة الزخارف وقراءة النصوص الكتابية، واستخدام الدراسة المقارنة لرد التحف المعدنية غير المؤرخة إلى أقرب عهد تعود إليه.

هذا وتضمّن البحث في نهايته على خاتمة حَوت أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي ومنها:

أولاً: على الرغم مما امتازت به الفترة الأيلخانية في بداية عهدها من ظلم وإرهاب وتخريب للحضارة العربية والإسلامية، لكننا في الوقت نفسه نجد الايلخانيين يشجعون الفن والفنانين وبصورة خاصة بعد أن استقرت دولتهم، فقد طغت المعارف الإسلامية العربية والفارسية، ووفد على البلاط في بغداد وتبريز ومراغة وسلطانية رجال الفن والحرفيين من مختلف الجنسيات ومن شتى الأقاليم، وإن ما وصل إلينا من آثار معمارية وتحف منقولة يشار إليها بالبنان، فمن كل ما تقدم تستطيع الكشف عن وجود فترة من الإنتعاش الفني في العراق وإيران خلال ذلك العهد (٦٥٦ - ٧٣٦هـ/ ١٢٥٨ - ١٣٣٦م)، في الوقت الذي أطبقت المراجع التاريخية وأقلام الباحثين عن ذلك.

ثانياً: إن التحف المعدنية، تعد وثائق تاريخية هامة حيث أنها تمدنا بمعلومات هامة عن الفترة الأيلخانية، وكذلك تزودنا بمعلومات فنية هامة في ميدان الآثار والفنون الإسلامية في العراق وإيران خلال العهد الأيلخاني وذلك بدراسة ما عليها من نقوش كتابية وزخرفية تذكر أسماء وألقاب السلاطين والملوك والأمراء والولاة وسنوات حكمهم وكذلك تدلنا على المدن والأماكن الصناعية التي كانت مزدهرة في تلك الفترة، كما أنها تشير إلى الناحية الإقتصادية من خلال استعمال معادن الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها. كما ويمكننا من خلالها التوصل إلى المستوى العلمي للفيزياء والكيمياء وذلك من خلال التحليل المختبري للمعدن المصنوع في تلك الفترة وطرق التركيب والخلط - كالتنزيل في المعدن، وهو استخدام خيوط للتطبيق على الرغم من أن أسلوبها في التطبيق يعتمد على وحدات متعاقبة كتزيين الفولاذ بخطوط متموجة، كالتي تميز السيوف الدمشقية، أو استعمال مادة النيلو - وهي مادة مكوّنة من خليط فاحم اللون تملأ به خطوط الرسوم المنقوشة على الصفائح المعدنية، والطلاء بالمينا والخلط، كاستخلاص البرونز من النحاس الأحمر والقصدير والنحاس الأصفر وذلك بخلط النحاس الأحمر والزنك... إلخ. من كل ذلك وجدت أن الطرق الصناعية في تلك الفترة كانت مختلفة ومعقدة، ذلك مما يدل على أن أدواتهم كانت كثيرة ومتنوعة، كما تثبت تمرسهم في علم الكيمياء وفهمهم التام لخواص المعادن والفلزات.

ثالثاً: إن التحف المعدنية التي ظهرت في إيران خلال الفترة الإسلامية الأولى كانت تطابق تماما التقليد الساساني، والإقتباس عن الزخارف الساسانية وطرق الصناعة واضح عليها وخاصة الأواني الفضية التي كانت كثيرا ما ينسب بعضها خطأ إلى العصر الساساني.

رابعاً: بدأت مرحلة جديدة في تطور صناعة التحف المعدنية وهي الإبتعاد شيئاً فشيئاً عن التقليد القديم، كما ونرىٰ عليها ميلاً إلى الروح العربية الإسلامية، حيث بدىء في استخدام الكتابة العربية والزخرفة العربية (الأرابسك).

خامساً: ظهور مدرستان رئيسيتان لصناعة التحف المعدنية في العصر السلجوقي، مدرسة تنتج القطع البرونزية المصبوبة والمحفورة، والأخرىٰ تنتج القطع المصنوعة من النحاس الأصفر المطبق بالنحاس الأحمر والفضة وأحياناً نادرة بالذهب.

سادساً: ومع ظهور الايلخانيين، حدث تغير تدريجي في إنتاج التحف المعدنية وأصبحت حياة البلاط متألقة وباهرة، واستبدل صغار الحرفيين النحاس الأحمر بالنحاس الأصفر المطبق بالذهب والفضة، حيث أخفق النحاس الأحمر في إشباع ذوق المغول الذي يميل إلى الفخفخة.

سابعاً: كان شك لدي بعض الباحثين في العلاقة والنفوذ المتبادل بين مدرسة الموصل في العراق ومدرسة إيران في إنتاج التحف المعدنية خلال القرن السابع الهجري (١٣م) من حيث، أي من المدرستين استعارت من الأخرىٰ الأساليب الفنية على نطاق واسع؟.

وقد تبينّ من دراستي للتحف المصنوعة في هذه الفترة، بأن التحف التي تعود للفترة المبكرة للتسلل المغولي من الصعب أحياناً تمييزها عن التحف الموصلية المتأخرة، ولكن خلال القرن السابع الهجري (١٣م) يطل الخط الفاصل بين القطع الموصلية العراقية وبين القطع الإيرانية،فأن سقوط العراق أو بالأحرىٰ سقوط الموصل أمام جحافل المغول، شتت الفنانين الموصليين المشهورين الذين هاجروا إلى الأقطار المجاورة، ولعل بعض الحرفيين قد نقلهم المغول إلى عاصمتهم، وأن الأساليب العراقية والإيرانية بدأت تمتزج مع بعضها، وليس سبب ذلك هو أن الفنانين الفرس رحلوا في اتجاه الجنوب قبل الغزو المغولي، بل لأن المغول أنفسهم من مكان حكمهم استدعوا الفنانين من كل ممتلكاتهم ليعملوا في خدمتهم.

ثامناً: لا بد لي أن أشير إلى الخطأ الذي وقع فيه بعض الباحثين في قراءة تاريخ بعض التحف المعدنية الأيلخانية وقمت بتصحيحها.

تاسعاً: قمت بتعريب كلمة «التكفيت»، الفارسية، التي كانت مستعملة ولا تزال تستعمل من قبل بعض الباحثين إلى كلمة «التطبيق» العربية التي كانت مستعملة في عصر العباسيين، وأن المقصود بهاتين الكلمتين، هو معنىً واحد، وهو زخرفة المعدن الأصلي بمعدن آخر أغلىٰ منه قيمة، ويختلف عنه في اللون، كتطبيق النحاس بالذهب أو الفضة أو بكلا المعدنين، أو تطبيق البرونز بالفضة أو النحاس الأحمر بالنحاس الأصفر وبالعكس.

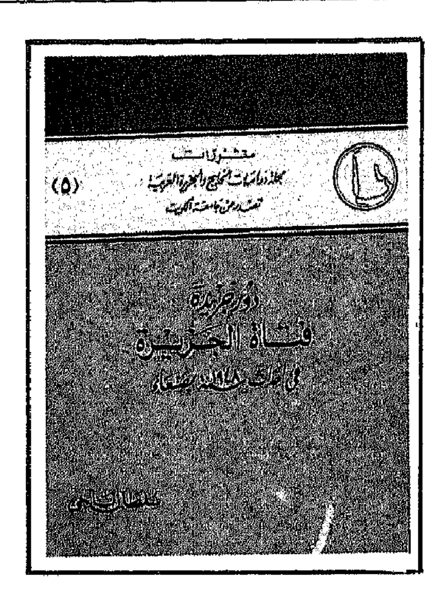
عاشراً: استطعت أن أصحح بعض الآراء الخاطئة، والتي كونها بعض الباحثين بشأن تطبيق التحف المعدنية الأيلخانية، ومن تلك ما أشار إليه أحد الباحثين وهو الأستاذ هراري بقوله: أن النفوذ المغولي كان سبباً في التوقف التدريجي بالنسبة للتطبيق، كما ذكر باحث آخر وهو الأستاذ أرنست كونل: بأن التطبيق أصبح عابراً أو معدوماً في هذا العصر. ولكن ماذا يعني هؤلاء الباحثون بعد أن وجدنا على أغلب التحف المعدنية الأيلخانية تطبيقاً غزيراً بالذهب والفضة والنحاس.

وقد فندت تلك الآراء معتمداً في ذلك على الأمثلة التي وصلت إلينا من ذلك العصر والتي قمت بدراستها في هذا البحث.

أما بالنسبة للرسوم والتخطيطات اليدوية التي تضمنها المجلد الأول فقد بلغت مائة وخمسة عشر رسماً، منها مائة وأحد عشر رسماً ينشر لأول مرة، وقد جاءت الرسوم متنوعة وشاملة ودقيقة لكي تؤدي الغاية المرجوة منها، فبعض الرسوم كانت توضيحية، وكان البعض الآخر رسوماً تحليلية وتفريغاً للعناصر والوحدات الزخرفية كرسوم التصاوير الآدمية والحيوانية والزخارف النباتية والزخارف الهندسية، كما شملت تحليل بعض النصوص الكتابية وتفريغ حروفها.

أما المجلد الثاني من الرسالة، فقد تضمن سبعاً وثلاثين لوحة فوتوغرافية صورت من جميع الجهات كل قطعة على انفراد، منها تسع لوحات تنشر لأول مرة. ◘

مراجعات



دور جريدة فتاة الجزيرة

سلطان ناجي

تؤرخ هذه الدراسة الوثائقية لجانب من جوانب نشاط حزب الأحرار اليمنيين في عدن خلال الفترة (١٩٤٤ - ١٩٤٨) وهو جانب التهيئة والتوعية والدعاية والتحريض لثورة ١٩٤٨. وهو موضوع لم يسبق أن تطرق إليه أحد من قبل ويمكن تبرير كثرة المقتبسات - شبه الكاملة في بعض الأحيان - من نصوص هذه الأدبيات في متن البحث بأنه من أجل أن يستطيع أن الرجوع إليها من يشاء من الباحثين في أي جانب من الجوانب التي تطرقت إليها ويقتبس منها ما يريد وذلك لأن الرجوع إليها في مضامينها الأصلية الآن يكاد يكون مستحيلاً بسبب عدم وجود أرشيف لصحافة تلك الأيام في المكتبات العامة أو الخاصة ثم لأن تلك الصحف ذاتها قد توقفت عن الصدور منذ مدة.

نزوح طلائع الأحرار إلى عدن

بعد عدة أشهر من فشل ثورة ١٩٤٨ كتب الأستاذ محمد علي لقمان المحامي، رئيس تحرير صحيفة «فتاة الجزيرة» الأسبوعية التي احتضنت قضية الأحرار منذ البداية سلسلة مقالات (٧ حلقات) بعنوان «قصة الثورة في اليمن» ونقتطف هنا وصفه لوصول أول طلائع الأحرار إلى عدن، وهو المطيع دماج، وذلك يوم ١٤ أبريل ١٩٤٤م.

«هذا يوم ستتذكره فتاة الجزيرة بخير كثير لأنه مطلع شعور اليمن بضرورة السير في موكب الحضارة الإنسانية. وصل في هذا اليوم المطيع دماج وكان حوالي الظهر في بيتي في حافة حسين، لم أسمع به من قبل ولم أعرفه ولم يأت إلي بتوصية من صديق.

وكان يلبس سترة بيضاء قصيرة وإزارا يمانياً إلى الركبتين، وعلى رأسه عمامة وحذاء من الجلد الذي يلبسه البدوي عادة في الصحراء. وعندما وصل كان متحمساً، كثير الألم، بل كانت كلماته عنيفة حزينة. قال: جئنا إلى فتاة الجزيرة... نحن شعب مظلوم ونحن شعب ما لنا حق ولا حرية.

وبهرتني صراحة الشكوى... وسيعذرني القارىء إذا علم أنني إستمعت إليه دون أن أبدي رأيا. وهل تستطيع أيها الأخ أن تشرح لنا هذه المظالم؟ بل كل يماني على وجه الأرض يستطيع

ذلك. ما أسهل شرح الظلم في اليمن إنني ضيق بالحالة التي وصلنا إليها في اليمن. إن الذي أغراني على السفر هو ما قرأت في صحيفتكم عن اليمن..

وأخذ المطيع دماج يشرح سوء الحال في اليمن.... وسألته إن كان يستطيع أن يكتب هذه الآلام باسمه الصريح. وكان الإيجاب من المطيع دماج. وظهرت فتاة الجزيرة تحوي مقالاً للمطيع دماج... لم يكن هذا المقال سهلاً كما يبدو للقارىء. أن الذي يعرف اليمن يدرك مدى هذا التصريح في جريدة سيارة باسم صريح، لصاحبه أقارب في اليمن نفسه.

ثم تناولت المقالات النقدية التي بدأت تظهر على صفحات «فتاة الجزيرة» وأخذت تتقاطر على عدن قوافل الأحرار.

إلا أنه ما كادت مثل هذه المقالات تظهر حتى انبرى المقربون إلى الحكومة الإمامية يدافعون عنها. وقد أفسحت «فتاة الجزيرة» المجال لأنصار الحكم الإمامي في أن يردوا على نقاد الحكم الامامي. إن الدور الذي لعبته جريدة «فتاة الجزيرة» في أحداث ١٩٤٨ بصنعاء دور هام ومثير يستحق منا الدراسة والمتابعة. ◘



بريد القراء

● **مازن حلباوي - دمشق - الجمهورية العربية السورية**

«أرسل اليكم أسمى عواطفي بمناسبة العام الجديد متمنياً لكم ولمجلتكم العزيزة على قلوبنا دوام التقدم لقد كانت حقاً نبرساً لشبابنا ينير لهم تاريخ أمتنا العربية، لقد صقلت معارفنا وجعلتنا نفضلها على مجلات علمية كثيرة لما فيها من توسع تاريخي ولأسلوبها الرفيع البديع وصورها وغلافها...»

■ نشكر للأخ مازن عواطفه، ونُعاهده، كما خططنا دائماً، أن نبقى أوفياء للعلم والحقيقة والفن.. ملبّين حاجة شبابنا الى المعرفة الحقة، وليوفقنا الله.

● **حيدر مجيد ياسين العزاوي - بغداد - العراق.**

■ نشكر الأخ حيدر على عواطفه النبيلة بمناسبة الأعياد ونتمنى له ولجميع القراء كل نجاح وتقدم وسعادة. كما نشكره على مساهمته التي أرسلها ونتمنى عليه وعلى جميع الذين يودون الكتابة أو المساهمة في المجلة طبع رسائلهم على الآلة الكاتبة.

فيصل محمد شقير - دمشق - سوريه

■ شكراً لعواطفك الطيبة تجاه المجلة ونأسف لعدم تمكننا من تلبية رغبتك بالنسبة للمقالات التي أرسلتها، بسبب مخالفتها للنظام المتبع في جميع المجلات الثقافية في جميع أنحاء العالم، كما ذكرتم بالفعل في رسالتكم. كما أننا نأسف مرة أخرى لعدم تمكنكم من استلام رسالتنا المضمونة والمعنونة باسم كريمتكم، ولعل السبب كما نوهت ابنتكم لنا في آخر رسالة لها، هو صغر سنها. على أي حال نحن غير مسؤولين في هذه الحالة عن عدم استلامكم الحوالة البريدية.

● **جرجيس عبدالله سليم - الموصل العراق**

■ استلمنا المواد التي أرسلتها ونشكرك على مساهمتك وعلى غيرتك على المجلة ونتمنى لك كل خير وسعادة ونجاح. سنحاول نشر ما أرسلته في الأعداد القادمة. ولكن نرجو منك في المستقبل أن ترسل المواد مطبوعة على الآلة الكاتبة حتى تصبح صالحة للنشر.

● **الاء محمود الحاج قاسم - الموصل - العراق**

■ نشكر الآنسة الاء على عواطفها الطيبة وعلى مساهمتها وعلى إعجابها بمجلة «تاريخ العرب والعالم» ونأمل أن نبقى عند حسن ظنها. وسننشر مساهمتها في أقرب فرصة ممكنة.

● **امزابي الحسين - مراكش - المملكة المغربية**

■ نشكر للأخ امزابي تقديره للمجلة ونشكره على مساهمته القيمة «سامرا في عهد الخليفة المعتصم وحرسه» وكنا نفضل أن تكون المقالة مطبوعة على الآلة الكاتبة لنستطيع نشرها في أقرب فرصة ممكنة. على كل ستحاول «فكّ» بعض كلماتها لتصبح صالحة للنشر.

● **صلاح زين الدين - بعقلين - لبنان**

■ نقدر عاطفتك نحو المجلة ونعتذر عن عدم تمكننا من نشر ما أرسلته لنا بسبب نشره في جريدة محلية.

● **سمية محمود الحاج قاسم - الموصل - العراق**

«في الوقت الذي أبدى اعجابي الشديد بمجلتكم القراء، أرجز الاكثار من المواضيع التي تبرز مساهمات العلماء العرب والمسلمين في مختلف العلوم العربية، حيث أنني اعتبر ذلك من الأمور الضرورية وخاصة والقرن الخامس عشر الهجري قد أطل على العالم الاسلامي فيكون ذلك مساهمة منكم في اعطاء أولئك العلماء حقهم وخدمة للجيل الصاعد من هذه الأمة الكريمة».

■ نشكر الآنسة الصديقة سمية على عواطفها الطيبة ونعدها بنشر المزيد من مساهمات العلماء العرب والمسلمين كما أننا نثمن مساهمتها وسوف ننشرها في أقرب فرصة ممكنة.

● **أمين محمد - بغداد - العراق**

■ نشكر للأخ أمين تقديره للمجلة والعاملين فيها. لقد درسنا ملاحظاتك وسوف نسعى لتنفيذ الممكن منها. أما بالنسبة للأسعار المطبوعة على الصفحة الثانية، فأننا ننشر أسماء الدول التي تدخل المجلة أسواقها فقط.

وبالنسبة لموريتانيا البلد العربي العريق، فان عدم وصول المجلة سببه، بكل أسف، تكاليف الشحن الباهظة. نأمل أن نستطيع في المستقبل القريب إيجاد حل لهذه المشكلة.

● **عماد محمد خشان - بعلبك - لبنان**

«أحر التهاني وأطيب التمنيات أرسلها اليكم والى القراء في عيد مجلتنا الثالث راجيا من الله أن تستمر وتستمر لتبقى دائماً وأبداً المجلة الأولى نوعا وقيمة في العالم العربي».

■ تحية خاصة للأخ عماد على تهنئته الحارة ونعاهده بأننا سنبقى على الخط الذي حافظنا عليه منذ العدد الأول. أما بالنسبة للموضوع الذي أرسلته فأن هيئة التحرير بصدد تقييمه. «وتاريخ العرب والعالم» تقدر مساهمتك وتتمنى لك دوام النجاح والتقدم.

● **محمد أحمد معبر القحطاني**

«لقد سعدت أيما سعادة عندما وجدت العدد الأخير من مجلة «تاريخ العرب والعالم» وأخذت التهم سطورها وصفحاتها لما تحتويه من ذخيرة تاريخية وكنز دفين عثرت عليه من تاريخ وطننا الاسلامي والعالم ككل.»

■ شكراً للأخ محمد على عواطفه النبيلة ونفتخر بانضمامه الى قائمة الأصدقاء.

□

القراء يكتبون

بدء الحرب العالمية الثانية



كان فرانسيزك بارتوسك يؤدي واجبه في خندقه في ويستربلات ببولندة على البحر البلطيق وكان يفكر في وجبة الافطار عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية في المنطقة الواقعة خلفه.

ومن بارجة المانيا تدعى شلسويك - هولستاين قبل أربعين عاماً، كان يبدو أن ويستربلات ستنقلب رأساً على عقب .. وبعد ست سنوات من بداية الحرب وعندما ساد السلام فأن الحضارة نفسها قد تغيرت، فقد مات الملايين وانقسمت أوروبا وأصاب الدمار آسيا، وزلزلت من الأساس الامبراطوريات العظمى كبريطانيا وفرنسا، والنتيجة ما زالت تلمس، لقد تحولت القوة من قلب أوروبا - المانيا وفرنسا وبريطانيا - إلى الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة، وبدأ عصر الذرة.

لقد بدأت الحرب العالمية الساعة الرابعة وخمس وأربعين دقيقة، يوم الجمعة ١ سبتمبر ١٩٣٩، وقد تلاشى ضباب الصباح، وكان اليوم الأول للحرب مشمساً ودافئاً. وقال بارتوسك: «كانوا يعتقدون أننا كنا نياما». وقد أصبح عمره الآن ٦٧ عاماً، وهو كابتن صيد متقاعد ولكنه كان في الحرب من ضمن ١٨٠ جنديا بولنديا في مركز الذخيرة البولندي المعزول.

لقد جاءت أولى قذائف الحرب العالمية الثانية من مدفعين عيار ٢٨٠ مم من البارجة الألمانية شلسويك - هولستاين، وهي بارجة تدريب عملاقة، وكانت كأنها في الظاهر تقوم بزيارة ودية لهذه المدينة التي بقيت لمدة عشرين عاما «مدينة حرة» كانت تدعى «دانزيغ» وأسمها البولندي الآن هو «دانزيك» وتبعد ٤ أميال جنوب ويستربلات.

بعد خمس عشرة دقيقة من بدء القتال على منطقة الميناء في ويستربلات وهي على شكل شبه جزيرة، بدأت القوات الألمانية تندفع عبر الحدود البولندية. وقال بارتوسك: «لقد كانوا يعتقدون أنهم سيدمرون خطوط دفاع ويستربلات خلال خمس عشرة دقيقة، وكانوا يريدون أن يقدموها لهتلر كهدية على بدء الغزو» .. لقد صمدت الدفاعات لمدة سبعة أيام، ضد هجوم القوات الألمانية وسلاح المدفعية وشلسويك - هولستاين وقنابل شتوكا الغاطسة. «ولقد انتهى الطعام ولم تبق لدينا المؤونة». واستسلمت حامية ويستربلات بعد مقتل ١٥ جنديا وجرح ٦٠، وتقول المصادر البولندية أنه قد قتل ٢٦ ألمانيا وعدد لا يحصى من الجرحى، وأنه لم تكشف عدد الاصابات لا في المانيا الشرقية ولا في الغربية.

لقد أصبح الآن موقع القتال منتزها، ونمت الأزهار حول الدمار وبقايا الحطام لقيادة الحامية، وهناك دبابة من صنع روسي وضعت كعلامة على قبر يضم خمسة عشر جندياً بولندياً، ويزور المنتزه الآن حوالي ٣ آلاف زائر في اليوم، ويلاحظ القليل منهم أن قمم الأشجار القديمة قد طارت نتيجة القصف المدفعي قبل أربعين عاماً.

لقد كان بارتوسك يبلغ من العمر حينئذ ٢٧ عاماً وكان معاوناً بحرياً ثانياً في ويستربلات منذ خمسة عشر شهراً قبل إندلاع الحرب. وكانت دانزيغ المدينة الحرة قد احتفل بها المنتصرون بالحرب العالمية الأولى وكان لها ممر بولندي إلى بحر البلطيق، وقد أدارت بولندة محطة ويستربلات، وسكة الحديد ومحطة الاتصال والبريد وكانت بالمدينة مصلحة الجمارك .. وكان ٧٠٪ على الأقل من سكانها البالغ عددهم ٣٥٦,٠٠٠ كانوا ألماناً، ومع ذلك وفي عام ١٩٣٩

نعتذر من القراء الأعزاء ومن الأخ **محمد حسن عليق** عن سقوط اسمه، سهواً، من رأس مقاله «**قلعة الشقيف، قلعة صمود وتحدّ**» في العدد الماضي ٢٨/٢٧/ ص٨٨، فعذراً.

كان هناك رأي قوي لضم المدينة لما كان يدعى نازي الرايخ الثالث.

وكانت البارجة شلسويك - هولستاين قد حملت سراً بثلاث كتائب من الجنود في ٣١ أغسطس حسب المصادر البولندية .. وفي اليوم التالي ومن بعد ٤٠٠ ياردة أطلقت النار من قنال قرب ويستربلات، وكانت القذائف الأولى قد دمرت الجانب الجنوبي من المركز. وقال بارتوسك: «كنا في خندقنا، وعند بزوغ الفجر كنا نفكر بالذهاب لتناول وجبة الافطار ثم إلى فراشنا».

وقال البولنديون أن القوات الألمانية كانت قد أخذت مراكز استعداد لإطلاق النار على مباني المدينة حيث يمكنهم مشاهدة ويستربلات، وقال بارتوسك وقد أشار إلى كنيسة بعيدة: «كانوا قد نصبوا مدفعاً رشاشاً على تلك القلعة، وكانت هناك قلعتان، ولكننا أطلقنا النار على القلعة الثانية، وأعتقد أنه كان لدينا مدفع واحد من عيار ٧٥ مم، وقد أطلقنا منه ٢٨ قذيفة قبل أن يصاب ويدمر». وكذلك أصابت نيران الألمان الأولى بيت عامل محطة سكة الحديد (وجتك نايسارك). «لقد تحدثت معه ليلة واحدة قبل الغزو. ولقد جاء إلى مركز القيادة وأخبرته أنه من الأفضل له أن ينضم لنا». وبعد ساعات قتل نايسارك بينما كان يحاول النجاة من نافذة بيته. وأضاف بارتوسك: «وفي اليوم الثاني للمعركة وبعد أن دمرت وسائل الاتصال بالراديو سبحت إلى جدينا لمسافة ثلاثة عشر ميلاً طلباً للنجاة». وأردف قائلاً «ولم أكن قد أخذت أذنا» فأن القائد البولندي هنريك سشارسكي قد أخبر أنهم بحاجة لكل جندي في ويستربلات. وأحاطت المصادر الرسمية سشارسكي بعدم توفر الامداد العسكري. وعندما استسلمت حاميته كان القائد الألماني الجنرال فريدريش ايبرهارت قد أعاد السيف لسشارسكي وحياه. لقد مات سشارسكي في ايطاليا عام ١٩٤٦ وقد دفن حسب رغبته في ويستربلات.

لقد أمضى بارتوسك السنوات الثلاث التالية في ستالاك ١ - أ وهو معسكر اعتقال قرب ما كان يدعى مدينة كونيسبورج ببروسيا الشرقية وهي حاليا كالينجراد المدينة الروسية ... ويقول بارتوسك: «في عام ١٩٤٢ تمكنت من الهرب مع رجل آخر». ..«وقد سألت نفسي أنهم ربما سيشنقوني أو سيقتلوني .. ولكنني لن أظل معتقلاً أكثر من ذلك.».

لقد منح بارتوسك أعلى وسام عسكري وهو «جندي الشرف» لأنه كان من ضمن خمسين جنديا حيا في المعسكر البولندي حتى آخر لحظة. ولقد أخرجت البارجة الألمانية عن العمل في ١٨ سبتمبر ١٩٤٤ بواسطة طائرات الحلفاء الحربية في ميناء جدينا، كما أن القوات الألمانية المنسحبة قد دمرتها لمصلحتهم في ٢١ مارس من نفس السنة.

ترجمة: خليل عبد الكريم

المهراس أو المهاريس

مهراس - بالكسر ثم السكون، وآخره سين مهملة: ماء بجبل أحد قاله المبرد ومعنى مهراس أو المهراس يطلق على كل حجر منقور يمسك الماء: وهو معروف بأقصى شُعب أحد يجتمع من المطر، في نقر كبار وصغار هناك. والمهراس اسم لتلك النقرة أو النقر ورُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم عطش يوم أحد فجاءه عليّ في درقته بماء من المهراس فوجد له ريحاً فعافه وغسل به الدم عن وجهه وصب على رأسه. ونلاحظ عليه أنهما علاوة على المهاريس الصغيرة مهراسان لا مهراس واحد، أحدهما يقع بأقصى شعب أحد من الجهة الشرقية وطريقه يتصل بالطريق الصاعد إلى البناء المعروف اليوم بقبة هارون، الواقعة فوق قمة جبل أحد. والمهراس الثاني يقع في الناحية الغربية. وطريقه وعر يضطر راكبه لتسلق بعض الصخور

المرتفعة فيه ومن القصور تعريفات مؤرخينا القدماء ترانا لا ندري أي المهراسين الذي جيء للنبي صلى الله عليه وسلم بالماء منه. الشرقي أم الغربي؟ كما أننا نجهل أيهما الذي عناه ابن الزبعري في بيته الآتي:

فسل المهراس ما ساكنه
بين أفراس وهام كالحجل

والزبعري هو عبدالله بن الزبعري القرشي.

وكلا المهراسين مقيل للمتنزهين اليوم لوجود الماء العذب القراح فيهما وبخاصة في فصل الشتاء، لكثرة هطول الأمطار بالمدينة في هذا الفصل فتنساب المياه من أعالي هضاب الجبل إلى هذه النقر فتمتلىء وتفيض على المهاريس وغيرها وبذلك يتجدد ماؤها ويصفو فيصبح لذة للشاربين وإذا انقضي الشتاء، ومكث الماء بالمهراسين أمداً طويلاً أو تأخر نزول المطر عن وقته فإن ماءهما يتغير طعمه ولونه وريحه وتعلوه قشرة من الطحلب ويتوالد فيه حيوان الماء فلا يصلح للشرب ونستنتج من هذا البيان مما سبق ذكره من وجود النبي صلى الله عليه وسلم ريحاً بماء المهراس حين قدم له، في غزوة أحد، وهذه الغزوة إما أن تكون وقعت في موسم الصيف أو في وقت سبقه عدم نزول الأمطار بالمدينة لمدة مديدة. وإذا تأخر هطول المطر زمناً أطول غاض ماء المهراس كما شاهدناه مراراً. والطريق إلى المهراسين: من قبور شهداء أحد ويتجه إلى الشمال وبعد نحو ربع ساعة بسير الأقدام يفترق الطريق إلى شعبتين شعبة تذهب إلى الشرق الشمالي توصل إلى المهراس الشرقي وشعبة تتجه إلى الغرب الشمالي توصل إلى المهراس الغربي.

عبدالله علي التعربي،
مكة المكرمة - السعودية.

أشور

هي العاصمة المقدسة الأولى للأشوريين واسمها نسبة إلى كبير آلهتهم آشور - تقع على بعد ١١٠ كلم من الموصل قرب قضاء الشرقاط على الضفة اليمنى من نهر دجلة وبرز اسمها ومؤسسها الملك أشور أبلط سنة ١٣٦٢ق.م الذي أراد أن ينقذ مدينة آشور من النفوذ الأجنبي ويكون له مملكة واسعة عرفت بالامبراطورية الآشورية. وقد بدأت الحياة السياسية الأولى لفجر الامبراطورية الآشورية حيث انطلقت منها نحو الجنوب والشمال موسعة رقعتها. وبقيت آشور موضع عناية الملوك لكونها مقر الههم الأعلى آشور ولا يرجع ملك آشوري من غزوته إلا ويمر أولا بهذه المدينة المقدسة ويمنحها جزءاً من غنائمه، ثم يعرج الى عاصمته التي هي مقر لحكمه.

وقد نقبت البعثة الألمانية في هذه المدينة زقورتها والسور الترابي الأول والثاني، كما يلاحظ أبنية تمتد شرقي المدينة، ومن أشهر معابدها معبد آشور الى الغرب منه القصر الملكي وبقايا لمعابد ثلاثة صغيرة للآلهة سن وعشتار ونابو.

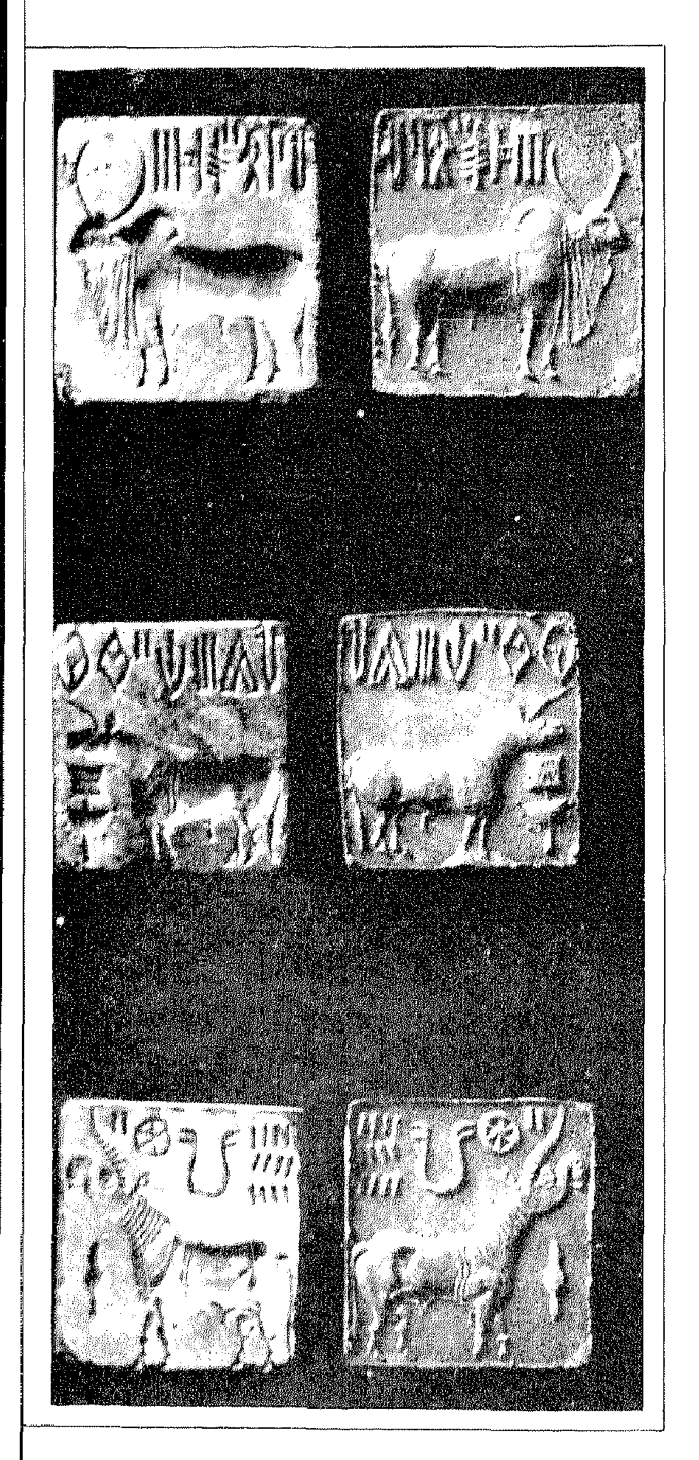
جرجيس عبدالله أشكيراني
الموصل-العراق



في العدد المقبل



البيروني



مدنية السند وعلم الآثار


للمسافر المرتبط دائماً بأعمال كثيرة يقدم
طيران الشرق الاوسط عدة رحلات سريعة إلى ١٢ مدينة
مهمة في اوروبا. والى كل مراكز الاعمال في الشرق الاوسط
وغرب افريقيا وقد اشتهر طيران الشرق الاوسط بحسن
ضيافته وقدرته على جعل كل رحلة من رحلاته
غاية في الراحة والمتعة.
هذه الأرقام الهاتفية تفتح لكم أبوابَ السَفر
إلى الشرق الأوسَط، أوروبَا وأفريقيَا
لمزيد من المعلومات الرجاء الاتصال بوكيل سفركم المعتمد
أو بالرقم ٣٦٨٠٠٠ المكتب الرئيسي للمبيعات لطيران الشرق الاوسط،
مركز جفينور أو أقرب مكتب للشركة:
٣٢٦٠٢٢ (اوتيل الكسندر)، ٨٠٣٥٦٨ (شارع فردان)، ٤١٦٣٤٠٠ (جل الديب)
٩٣٢٧٦٥ (جونيه)، ٦٢٧٢٧٥ (طرابلس)، ٧٢١٤٦٠ (صيدا)
٨٣٢١٤٤ (مكاتب الحجز تفتح ليلاً ونهاراً)
368000
First Class
MEA
MEA